2020

رامز رمضان النويصري

لا يمكن بأي حال من الأحوال اعتبار العام 2020م، سنة عادية، مع محاولات البعض إسقاطها من خط الزمن، لما مر بها من أحداث، وبشكل خاص جائحة فيروس كورونا المستجد (كوفيد 19)، الذي حبس العالم في بيته، وأربك عجلة الاقتصاد، بل وأوقف الكثير من تروسها الدائرة، وسمح للسماء بأن تتنفس ملء قطبيها بدون عوادم الطائرات.

2020 لم تكن مجرد رقم في حساب الزمن، فعندما كانت 2019 تستعد للمغادرة، توقفت كثيراً لقراءة ما كان ينشر من منشورات؛ حول هذا العام الذي يتساوى حداه 20-20 وكيف إن هذا الرقم جالب للشؤم، واستشهد الكثير ممن كتب ونشر بأقوال وحوادث تاريخية جرت في السنوات مشتبهة الحدين، حتى إن البعض عازفاً على وتر السنة، استشهد بحديث أو قول للرسول الكريم، عليه أفضل صلاة وسلام.

المنجمون وقراءة الطالع اعتبروا أن 2020 ستكون سنة غير عادية، وحذروا العالم مما تحمله، وحذر البعض من إن نهاية العالم ستكون فيها. في المقابل أعلنت ناسا أنها -أي 2020- ستشهد 15 حدثاً فلكياً.

قلت في بداية حديثي، إن أهم الأحداث في العام 2020م، هو فيروس كورونا المستجد، الذي حبس العالم وغير الكثير من سلوكياته، وأجبره على اتباع نظام حياتي محدد، لكن هذا

الفيروس عندما دخل ترك الباب مفتوحاً أمام أصحاب نظرية المؤامرة، ومروجي الإشاعات، وتجار الأزمات. فهذا الفيروس مرة سلاح بيولوجي، ومرة غضب إلهي، وأخرى حرب غير معلنة، وغيرها خطأ معملي، وهكذا حتى وصل الأمر تبادل الاتهامات بين الدول. في الجهة المقابلة؛ بدأت الإشاعة في الانتشار وهي تجد لها أرضاً خصبة في مجتمعاتنا، فنثرت بذورها وحصدت ثمارها بشكل سريع، وعلى ذات الدرب سار تجار الأزمات فارتفعت أسعار مستلزمات الوقاية، ووقع المواطن في عميق حيص بيص.

ثقافيا كانت 2020م الفرصة الكبرى لإعادة تدويل فكرة الإبداع والتواصل والاتصال، ولارتفاع صوت مناصري النشر الإلكتروني، والتواصل الشبكي، ليتحول الواقع الافتراضي إلى واقع حقيقي قائم على اتصال المبدع والحياة من خلاله وبه. وفي ظني إن الكثير ممن يعارضون مسألة النشر والتواصل الإلكتروني وجدوا ضالتهم فيه ومن خلالهم، بعدما تقطعت بهم سبل التواصل الواقعي، فالأمسيات الأدبية، والندوات والمؤتمرات صارت تدار عن طريق برامج ومنصات وتطبيقات التواصل، كل من مكانه، أو من خلال البث المباشر؛ وفي النتيجة تحول الجميع إلى الشبكة، ومازالوا!

نعم! ألغيت الكثير من المناشط والمحافل الثقافية، وبشكل خاص معارض الكتب، لكن 2020، جعلت الكاتب والمثقف يطور من أدواته؛ خاصة في ليبيا والعالم العربي، لاقتحام العالم الافتراضي، واستخدام التقنية، للمشاركة والتفاعل، والتعلم!

التعلم!! نعم!!

لقد كانت فرصة الحجر، والبقاء في البيت، فرصة كبيرة للكثير للقراءة وهو فعل ثقافي يمكن استيعابه، أما التعلم، فكيف؟ ببساطة كان لزاما على المثقف لإثبات حضوره أن يخوض غمار استخدام تقنيات حديثة للتواصل، ومن ثم الاستفادة من هذه التقنية في الوصول إلى مصادر المعرفة؛ من كتب وتسجيلات، وتجربة طرائق جديدة وحديثة في الكتابة والإبداع، في وجود كم معرفي كبير على الشبكة. وأعرف الكثير من الأدباء ممن استغلوا فترة بقائهم في

البيت، استجابة لإجراءات الحد من انتشار فيروس كورونا المستجد، إلى بناء علاقة جيدة مع الكتاب الإلكتروني، والمنشورات على النت، وأيضا الاستفادة مما يتاح من تسجيلات صوتية، ومرئية.

وهنا أقول، إنه علينا النظر بإيجابية، صحيح أن 2020 سنة فيها ما فيها من ارتباك وخيبات، فقدنا فيها الكثير من الأسماء بسبب الجائحة، سواء من الأصدقاء او الأقارب أو الزملاء، لكنها كانت فرصة لمراجعة ما مر، فرصة أن يعتزل الإنسان ويكون عالمه بيته، ليعيد ترتيب حياته وعلاقاته بداية من أسرته.

2020 ليست بائسة كما يصفها البعض، واسترسل في الوصف، هي محطة في التاريخ، مررنا بها، وعلينا أن نكون أذكياء للخروج بأكبر فائدة منها، دون أن نندب حظنا، خاصة وإننا - كليبيين- نعيش أكثر من أزمة، وسيكون من الخطأ الاستسلام لأزمة جديدة، دون أن نقاوم.

الثقافة ما بعد جائحة كورونا

سيناريوهات وتوقعات واستشراف المستقبل

امراجع السحاتي

أولاً جائحة كورونا والعالم:

بظهور فيروس كرونا كوفيد 19 في أواخر عام 2019م وبروزه بقوة في أوائل عام 2020م، وبعد أن أكد خطر الفيروس على البشر من قبل منظمة الصحة الدولية وإرسال الأخيرة إشارات بخطر هذا الفيروس على الإنسان وسرعته بالانتشار. قامت دول العالم بأتباع عمليات احترازية وشكلت لجانا ومراكز لمتابعة الأحوال الصحية لبلدانها ومكافحة الوباء، صارت هذه اللجان أو المراكز تعطي التعلمات بالخصوص الوقاية من هذا الفيروس من خلال تعاون دولي كانت منظمة الصحة العالمية طرفاً أساسياً فيه فكانت هناك من هذه اللجان أو المراكز قرارات وتعلمات توجيهية وإرشادية من خلال ملصقات وإعلانات ولقاءات عن بعد عبر الإذاعتين المسموعة والمرئية، كان من ضمن تلك القرارات الحذر والتباعد الاجتماعي، وقد تفاوت الحذر من أسبوع إلى أسبوعين وطال كافة شرائح المجتمع في الدولة، كما ظهر العزل للمصابين والمشتبه فيهم خاصة القادمين من خارج الدولة بعد أن تفشى الوباء في معظم أنحاء العالم. من ضمن المحذورات التي ظهرت خلال انتشار فيروس كورونا كوفيد 19 عدم إقامة المؤتمرات والندوات وورش العمل والمهرجانات الثقافية، وهذا شكل تهديداً للمسيرة الثقافية خاصة للدول التي تفتقر إلى وسائل اتصال متطورة والتي تعاني من انعدام الأمن والاستقرار. لم يشهد العالم ودوله شفافية في الإعلان عن أخطار هذا الفيروس مثلما شهده ظهور وباء كورونا كوفيد 19، صارت جميع دول العالم تقدم التقارير اليومية عن حالة المصابين والمتعافين والمتوفين دون أي خجل أو خوف.

صارت دول العالم تتحدث بكل شفافية عن المصابين والمتوفين والمتعافين لديها حتى الدول الشمولية وصارت دول العالم تدور في فلك واحد تتنصت لسماع لقاح يستطيع أن ينهي هذه الأزمة التي يعيشها العالم والتي تحولت دون أدنى شك إلى حرب بين البشر وهذا الكائن غير المرئي طبيعياً، فعادة الأزمة تولد حرب وحقيقة هذه الحرب المنتصر فيها إلى ألان هو فيروس كورونا كوفيد 19 حيث قتل هذا الوباء مئات الآلاف من البشر، رغم تجنيد الآلاف من الجيوش البيضاء بكافة تخصصاتهم إلا أن الوباء كان يقضي على الكثير حتى من المحصنين العارفين بأخطاره من هذه الجيوش. لقد أثرت جائحة كورونا على كافة الجوانب التي تهم الدول ومواطنيها في المجال الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والثقافي والبيئي وهذه التأثيرات ظهرت واضحة في جميع دول العالم ففي المجال الاقتصادي توقفت عجلت عربة الكثير من الأنشطة الاقتصادية مثل السياحة والصناعة والزراعة وغيرها، وفي المجال السياسي توقفت حركة الشفافية والديمقراطية من خلال توقف العملية الديمقراطية في بعض الدول كالانتخابات، وفي المجال الاجتماعي قلة الأنشطة الاجتماعية المختلفة، وتفشت البطالة وكثرت الكثير من الأمراض الاجتماعية وفي المجال الثقافي توقفت المؤتمرات العلمية والأدبية وقلت الأعمال الدرامية المرئية والمسموعة وحتى المكتوبة كما توقفت عدد من المؤسسات التعلمية وهذا اثر على الثقافة. لم تكن جائحة كورونا كوفيد19 الأزمة الوحيدة التي مرت على البشرية على مدى العصور فلقد مرت الإنسانية بالكثير من الكوارث سواء كانت طبيعية كالزلازل والبراكين والفيضانات والجفاف وتفشي الأوبئة أو غير طبيعية كالحروب والصراعات الإنسانية المختلفة وطبعاً عانى الإنسان خلالها الكثير من الويلات من المجاعة والموت والأمراض وعدم الاستقرار والأمان وتدهور الاقتصاد والضعف في الحركة الثقافية خاصة في ظل هذه الكوارث ولكن بعد أن انقضت هذه الأزمات التي خلفتها الكوارث بدأت الإنسانية تنتعش وتتنفس هواءً نقياً في نسمات من الأمل حيث صار الاقتصاد ينتعش كما صارت الحركة الثقافية تنتعش وتتمدد نحو الأفق لترسم مخزونا ثقافيا من المعرفة والفكر في الفكر الإنساني بعد أن شاهد خمولاً في ظل تلك الكوارث .

ثانياً المستقبل واستشراف الثقافة:

للتطرق لموضوع الثقافة ما بعد جائحة كورونا يتطلب أن نعرج إلى الخطوات العلمية التي بها نحصل على نتائج مهمة لمعرفة الثقافة ما بعد جائحة كورونا وما

سوف تنتجه المجتمعات البشرية من تطورات ما بعد الجائحة، إضافة إلى ما سوف تكتسبه هذه المجتمعات من آداب وفنون وعلوم في كافة حقول المعرفة والعلوم، في مثل هذا الموضوع يتطلب السير في استشراف المستقبل، هذا المنهج الذي صار الكثير من العلماء يعتبرونه علما من العلوم الحديثة وقد أطلق عليه البعض (علم المستقبل).

أ- المستقبل والاستشراف المفهوم:- أشير بان المستقبل هو مرآة الحاضر وخلاصة خبرات تجارب الماضي، أشير بأنه كلمة تطلق على كل ما هو غامض وغير معروف ولا معلوم بالنسبة للإنسان من أحداث ومواقف وعادة هذه يشعر تجاهها الإنسان بمشاعر متعددة فتارة يترقبه بفارغ الصبر منتظر الأحداث السعيدة التي تدخل البهجة على حياته لتحصل له، وتارة أخرى يخافه ويصيبه شعور القلق والتوتر، كما أشير بان كلمة المستقبل تعتبر عند الكثير مرتبطة بالأحلام والانجازات والطموحات التي تشغلهم .(1)

الحديث عن المستقبل يجرنا إلى مفاهيم أخرى مثل الاستشراف والمستقبلية حيث قيل بان المستقبلية هو مصطلح أصله فرنسي جاء من الكلمة الفرنسية "prospect"وقيل بأنها " كيفية النظر إلى الشيء"، و" هي مجموعة من الأبحاث حول التطور المستقبلي للإنسانية تمكن من استخلاص عناصر التوقع ". وقد أشير بان المستقبلية ليست نبوة أو إعطاء تكهنات حول مستقبل الإنسان، وأشير كذلك بأنها منهج يسمح بدراسة التطورات المتنوعة المحتمل حدوثها لوضع معين في زمن محدد، وقد أشير بان وظيفة الدراسة المستقبلية تحميس الإنسان لموضوع اختيارات المستقبل، وقد أشير بان وظيفة المستقبلية ليس هي إصدار وإعطاء النبوءات، إنما هدفها هو تحديد الاتجاهات وتخيل مستقبل مرغوب فيه وتقديم استراتيجيات من اجل تحويلها إلى مستقبل، وهي تساهم في مساعدة صانعي القرار من اجل الوصول إلى تحقيق الأهداف المطلوبة وإعطاء توصيات من اجل تحقيق تلك الأهداف التي يقرر صانعي القرار تحقيقها ، كما أشير بان المستقبلية يتم مقارنتها مع التاريخ حيث أن الكثير من الدول خاصة من العالم الثالث جعلت التاريخ هدف للرجوع إليه من اجل تبرير الجمود الحاضر بدل أن تواكبه. قيل "استشراف المستقبل والاستشراف يدخلنا في صراع مع الدين حيث أشير بأنه هناك ضوابط لاستشراف المستقبل والتي منها بان الغيب لا يعلمه إلا الله وان مشيئة الله نافذة حيث أن ما يريده الله يكون وما لا يريد أن لا يكون فلا

يكون. وقد قيل "استشراف " الشيء: انتصب وعلا .(2) "

هناك عدد من المفاهيم تتعلق بالاستشراف منها السحر وقراءة الكف والودع وفنجان القهوة والرمل إضافة إلى القراءات الخبرية المكتسبة من ملاحظات حدثت في الماضي خاصة التي يعلمها الكثير من الفلاحين والصيادين والمزارعين مثل وقت سقوط المطر وهبوب الرياح وذلك من خلال ملاحظة عدد من العلامات كظهور بعض النجوم في أماكن غير أماكنها ومن هبوب الرياح، وعادة فان هذه الأشياء تكون اقرب منها قراءات غيبية اغلبها يقع ويحدث بالصدفة رغم أن قراءات الفلاحين والصيادين والمزارعين فيها إرهاصات علمية، وهناك مفاهيم عمليات علمية تتعلق بالاستشراف مثل التخطيط الاستراتيجي فالتخطيط يعطي حلول لقضية وقضايا وإنجاح مشاريع سوف تحدث في المستقبل عن طريق اخذ معطيات تتطلب أشياء لكي تحل تلك القضايا وتنجح المشاريع هذا وقد أشير بان الاستشراف في المواضيع العلمية يعتمد عادة على أجهزة معينة تعطي قراءات وإشارات معينة يعرف المتخصص النتائج المتوقعة مثل توقعات الطقس والزلازل، أما في الجانب الاقتصادي والسياسي فعملية استشراف هذه الجوانب هي من عمل علماء وخبراء السياسة والاقتصاد، أما في استشراف الجانب الاجتماعي هي من علماء الاجتماع، وأشير بان استشراف الجانب الثقافي يقاس من قبل الباحثين وفق ما حدث في الماضي وأشير بان الباحث إضافة إلى استخدامه الاستشراف يقوم بالاعتماد على المنهج التاريخي حيث أن التاريخ ممتلئ بالكثير من الأحداث التي تشابه ما قد تمر به الثقافة. من المواقف أو الأحداث التي وقعت وتكاد تكون قريبة من الاستشراف هو تفسير الأحلام وإعطاء حلول لعدم حدوث الحلم تلك الرؤية التي فسرها سيدنا يوسف عليه السلام والتي جاءت في سورة يوسف، يقول الله تعالى في سورة يوسف الآية اثنين وأربعين :- " وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات... ". وكان هذا التفسير للرؤية شبه الاستشراف حيث أن الحدث الذي يقع للحالم يقع له في المستقبل واعتبار أن المستقبل هو الغد وما بعد الغد، يوسف عليه السلام لكونه نبي من الأنبياء فمن معجزاته هو تفسير الأحلام وإعطاء حلول لها جاءته رؤية وحلم الملك وكانت من الأحلام والرؤى المخيفة عرضها على كهنة المعابد وسحرتها فلم يعط احد تفسير وحل مناسب لها، وعندما عرضت على سيدنا يوسف عليه

السلام فسرها تفسيراً يشبه الاستشراف إلا أن تفسيره هذا جاء نتيجة عدد من المعطيات التي إعطاء لها برهان صادق وفق ما جاء في الحلم أضاف إلى ذلك أعطى حلاً لما سيحدث في المستقبل. هناك تشابه بين تفسير الأحلام والاستشراف في قضية أو مسالة ما ففي تفسير الأحلام يتم تفسير الرؤية والحلم بمنظور شبه علمي من خلال تحديد الكثير من الأشياء والاعتماد في التفسير على خواص وميزات وعادات الشخوص التي بالحلم، أما في الاستشراف فان رؤية المستشرف أو الباحث الذي يستخدم المنهج ألاستشرافي يعتمد على معطيات من الزمن الذي يعيش فيه والزمن الذي قبله في مثل هذه المواقف والأحداث، والباحث الذي يستخدم المنهج ألاستشرافي عادة يستخدم معه المنهج التاريخي ليعود إلى قضايا ومواقف مشابهة وتم علاجها بعدد من الوسائل. كما أن الاستشراف هو البحث عن معالجات لتحديات في الحاضر والبحث قد يكون مكتبياً عن طريق مصادر غير ميدانية من الكتب والوثائق والدوريات وحتى الكتب السماوية كالقران الكريم والإنجيل والتوراة أو عن طريق مصادر ميدانية من الاستبيان والمقابلة والملاحظة وهذه الطرق في العادة تكون في العلوم الإنسانية، ومن هذا فان المنهج ألاستشرافي هو في الغالب منهج للعلوم الإنسانية هو منهج أو أسلوب أو علم يعتمد اعتمادا كبيرا على المنهج التاريخي فمن تاريخ يتم انتقاء الكثير من المعطيات المشابهة ومقارنتها مع المعطيات التي لدى الباحث وعن طريق استنتاجاته يستطيع أن يعطي حلولا لما استنتجه من نتائج، وقد أشير بان الاستشراف العلمي يضاف إلى إذكاء الوعي حول المستقبل ويشكل وعيا بالمستقبل لتزيد مقدرة الإنسان على الاستشراف وقيل بأنه هو " التبصر في الشؤون المستقبلية لمجتمع معين، من حيث موقعه من المجتمع الدولي وبالتالي ما يؤول إليه حال البشر في ذلك المجتمع " (3).

عادة تسعى المجتمعات البشرية لرسم تصورات بديلة لما يمكن أن تكون عله الأوضاع في المستقبل حتى يتم اختياره على ضوء تلك التصورات أدوات لكي تحدث نوع من التغيير يتمشى مع أهدافها في مستقبل أفضل .

لو أخذنا وباء كورونا فان الكثير من المحللين والباحثين قد توقعوا أن يعم العالم في وقت قصير جاء استشرافهم هذا من أحداث لكوارث مشابه وقعت للعالم في الماضي مثل كارثة الطاعون الانطوني أو طاعون الأباطرة عام 165م، وكارثة الطاعون الأسود في القرن الرابع عشر

الميلادي وكارثة أنفلونزا التي حدثت خلال الحرب العالمية الأولى. هناك تدابير وإجراءات لتحقيق الرؤية المستقبلية الأستشرافية منها وضع إستراتيجية وخطة للوصول إلى الأهداف المرجوة مستقبلا والحفاظ عليها.

مما تقدم فأننا نستطيع أن نقول بان الاستشراف هو المنهج الذي سيقود الإنسان إلى الكثير من العلوم سواء كانت تطبيقية أو تجريبية، والاستشراف كذلك هو المنهج الذي يؤدي إلى العلم وهو بالتالي طريق الباحثين والعلماء إلى الوصول إلى الحقيقة التي تخص الكثير من القضايا والمشاكل التي يتعرض لها الإنسان. إضافة إلى أن استشراف المستقبل صار علم من العلوم في هذا العصر.

ب- الثقافة المفهوم:- عرفت الثقافة الكثير من التعريفات وكلها تصب في معنى واحد فنجد أن هناك من يعرفها في القواميس اللغوية بأنها " تعني صار حاذقا، خفيفا، فطنا .(4) "

كما نجد من يعرفها بأنها "ثقف، والحذق، المهارة، الإحاطة بالعلوم والفنون والآداب وبشؤون الحياة والناس.(5)"

كما عرفت بأنها " هي نظرة عامة إلى الوجود والحياة والإنسان قد تتجسد في عقيدة أو تعبير فني أو مذهب فكري أو مبادئ تشريعية أو مسلك أخلاقي، وهي البناء العلوي للمجتمع الذي يتألف من الدين والفلسفة، والفن والتشريع والقيم العامة السائدة في المجتمع "، وكذلك " هي ثمرة المعايشة الحية التلقائية في اغلب الأحيان وهي التمرس بالحياة، والتفاعل مع تجاربها وخبراتها المختلفة، ويعتبر التعلم احد مصادرها، وان الثقافة تعبير عن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية السائدة وهي ليست تعبيرا أو انعكاسا آليا مباشر ا ".

كما يقول المفكر الجزائري مالك بن نبي في كتابه " شروط النهضة " في الثقافة كما أورده الأستاذ محمد هيكل:-

"إن الثقافة دستور الأخلاق لتكوين الصلات الاجتماعية، هي دستور الجمال لتكوين الذوق العام، وهي منطق عملي لتحديد أشكال النشاط العام، وهي الفن التطبيقي الموائم لكل نوع من أنواع المجتمع أو الصناعة حسب تعبير ابن خلدون.(6) "

وقيل بأنها "جملة الأحوال الاجتماعية والمنجزات الفكرية والعلمية والتقنية وأنماط التفكير والقيم السائدة .(7)"

كما عرفت الثقافة بأنها " ذلك المركب المتجانس من الذكريات و التصورات والقيم والرموز والتعبيرات والإبداعات والتطلعات التي تحتفظ لجماعة بشرية تشكل أمة أو ما في معناها بهويتها الحضارية، في إطار ما تعرفه من تطورات بفعل ديناميكيتها الداخلية و قابليتها للتواصل والأخذ والعطاء "، وقيل بأنها هي:-

"المعبر الأصيل عن الخصوصية التاريخية لأمة من الأمم، عن نظرة هذه الأمة إلى الكون والحياة والموت والإنسان ومهامه وقدراته وحدوده .(8) "

ومن خلال ما تقدم يتضح إن الثقافة إكساب الفرد الحذق والمهارة في كافة العلوم والفنون والمعرفة بشؤون الكون بما فيه.

كما يتضح بان الثقافة لا تختلف على التربية في مضمونها العلمي إلا أن التربية هي الأساس فالمثقف بدون تربية لا شيء على الإطلاق، وبما أن الثقافة هي الإحاطة بالعلوم والفنون والآداب وشؤون الناس، ومجمل الانجازات الفكرية والعلمية والتقنية وأنماط التفكير والقيم السائدة إذن هنا نجد أن الثقافة تشمل كافة جوانب الحياة البشرية من سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية وبيئية وغيرها وهي تتغذى من هذه الجوانب.

ثالثاً الثقافة في ظل جائحة كورونا:

بالمقارنة مع ما حدث في الماضي من ظروف مشابهة لجائحة كورونا كوفيد 19 نجد أن الثقافة كانت تمر بمثل هذه الحالة وأكثر خاصة في ظل عدم تطور وسائل الاتصال والمواصلات فنجد أن الثقافة في ظل الطاعون الانطوني أو طاعون الأباطرة عام 165م والذي قيل بأنه انتشر في الكثير من دول العالم حيث أشير بأنه قد تم نقله الرومان إلى أقاليم ليبيا، وقد أشارت المصادر التاريخية كذلك بان هذا الوباء سبب في وفاة ما يصل إلى ثلث السكان في بعض المناطق ودمر معظم الجيش الروماني.(9)

كما مرت الثقافة بمثل هذا الوباء في القرن الرابع عشر خلال الفترة ما بين عام 1347 إلى 1351م وأشير بان هذا الوباء عرف باسم الطاعون الأسود وقد اعد من أكثر الأوبئة فتكاً في تاريخ الإنسانية، وأشير بأنه قد بدأ في آسيا، بعدها انتقل إلى الشرق الأوسط ثم إلى إفريقيا بعدها إلى أوروبا حيث أشير بأنه أدى إلى قتل حوالي 75 مليون شخص من بينهم ثلث سكان أوروبا. كما ذكرت المصادر بأنه قد حصد

5% من مجموع سكان الهند في القرن الرابع عشر الميلادي وقدر القتلى بنحو 17 مليون شخص، وفي اليابان كان عدد حالات إصابة 23 مليون حالة نتج عنها حوالي 390 ألف حالة وفاة، كما أصيب في الولايات المتحدة الأمريكية حوالي 28% من السكان وقد أشير بأنه نتج عنه وفاة ما بين 500 إلى 675 ألف شخص، كما أشير بأنه في بريطانيا حدثت وفاة أكثر من 250 ألف شخص، وفي فرنسا بلغوا 400 ألف شخص، وكانوا في كندا 50 ألف شخص، وهناك من أشار بان هذا الوباء ظهر من عام 1346 م إلى عام 1353 م في أوروبا وإفريقيا وآسيا وقدر عدد القتلى ما بين 75 إلى 200 مليون شخص، وخلال فترة هذا الوباء كان هناك جمود في إكساب المعرفة والعلوم والفنون وظل العالم في خمول وجمود اقتصادي وسياسي وطبعاً ثقافي وحتى اجتماعي.في ظل جائحة كورونا كوفيد 19 ظلت الثقافة تراوح في مكانها نسبياً وان كانت هناك أشياء بسيطة جداً من الجهود المبذولة من قبل بعض العلماء والكتاب الذين حاولوا أن يثروا الجانب الثقافي بشيء من إبداعاتهم من خلال بعض المؤتمرات والندوات عن بعد ومن خلال بعض الصحف والكتب الالكترونية. الثقافة في ظل كورونا أو كوفيد19 كانت أفضل ما كانت عليه في ظل الطاعون الأسود الذي انتشر في القرن الرابع عشر الميلادي ولكنها لم تكن كما كانت قبل ظهور كورونا بسنة أو خلال الثمانيات والسبعينات من القرن العشرين حيث كانت الثقافة في ازدهار.

في ظل جائحة كورونا قلة الندوات والمؤتمرات العلمية وهذا اثر على الوضع الثقافي المحلي والإقليمي والدولي فلم تعد هناك مؤتمرات وندوات وورش عمل محلية وإقليمية ودولية بل حتى أن التي تم الإعلان عنها مسبقاً قد ألغيت مما عطل مسير الثقافة التي كانت ستخرج من رحم تلك المؤتمرات والندوات، وفي ظل الجائحة لم يلتحق أفراد جدد في اكتساب مهارات في كافة العلوم والفنون والمعرفة وكانت مصادر الثقافة في جمود فعلى سبيل المثال عطلت الجائحة مصدر من مصادرها وهو التعلم حيث عطلت المؤسسات التعلمية فكافة أنواعها وتخصصاتها مما كان له اثر على الوضع الثقافي المحلي والدولي. ربما أن أزمة فيروس كورونا هذه قد تستمر إلى منتصف عام 2021 م بعد اخذ عدة قراءات، منها أن هذا الوباء قد كان له أول ظهور عام 2019م في الصين وبالمقابل كان قد تفشى وباء لفيروسات الأنفلونزا (أ) من النوع الفرعي H2N2 في الصين عام 1956م وقد استمر إلى عام 1958م، في البداية وخلال عدة شهور انتشر في كافة

مقاطعات الصين وبعد ذلك وصل الولايات المتحدة الأمريكية وقد كان ضحايا هذا الوباء الأطفال الصغار والمسنين والحوامل، وتختلف تقديرات عدد القتلى حسب المصدر، لكن منظمة الصحة العالمية تقدر الحصيلة النهائية بنحو مليونين و69800 شخص، في الولايات المتحدة وحدها، ناهيك عن باقي الدول الآسيوية والأوروبية التي شهدت تفشياً للفيروس. والحالة الثقافية في ظل هذا الوباء كانت ضعيفة مقارنة مع السنوات إلتي قبلها بسبب هذا الوباء الذي ساهم في توقيف عجلة الثقافة التي كانت تشق طريقها في ظل وباء أرعب الكثير من سكان العالم. الثقافة في ظل انتشار فيروس كورونا كانت مصادرها تخرج ببطء شديد لو أخذناها على المستوى المحلي فإنها لا تساوي نسبة ما تذكر أما على المستوى الدولي أو العالمي فلا تكاد تذكر إلا من خلال إرهاصات بعض المواقع الالكترونية، وجدت في ظل وباء كورونا بعض الشرارات الثقافية التي تحاول فك الطوق الملفوف على الثقافة ومصادرها لتنطلق إلى الآخر حيث ظهرت بعض الجهود في أثراء الثقافة ومحاولة نشرها من خلال بعض الندوات عن بعد، ومن خلال الصحف والكتب الالكترونية وكانت هذه الجهود تمثل نسبة ضئيلة مقارنة ما كان قبل ظهور وباء كورونا. وبالوضع الذي سيمر به العالم من إخفاقات في تكوين الثقافة لكون أن الثقافة هي إكساب الفرد الحذق والمهارة في كافة العلوم والفنون والمعرفة بشؤون الكون بما فيه.

إن الوضع الثقافي في كافة دول العالم في ظل جائحة كورونا هو وضع صعب لا تنساب فيه الثقافة إلى الكثير من الأفراد عدا قلة إضافة إلى جمود وخمول مصادرها كالعلوم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وغيرها.

رابعاً الثقافة ما بعد كورونا:

نعود للتاريخ في استشراف مستقبل الثقافة ما بعد وباء كورونا فنجد أن العالم قد مر بالكثير من الكوارث سواء كانت طبيعية أو غير طبيعية وحدث في ظلها جمود للثقافة ومصادرها ولكن بعدها حدث انفراج في المعرفة والفكر وأنتجت الإنسانية ثقافة جديدة مثلت هوية بعض البلدان ومخزونها المعرفي والفكري. في عام 1993م أكد كلود هانون الخبير الرئيسي في أنفلونزا 1918بمعهد باستور أنها قد جاءت من الصين، وقد تطورت في الولايات المتحدة الأمريكية بالقرب من بوسطن، وانتشرت بعد ذلك من هناك في بريست وفرنسا، ومن ثم في ساحات الحرب أثناء الحرب العالمية الأولى 1914- 1918 والى باقي العالم من خلال

الجنود والبحارة الذين اعتبروا الناشر الأساسي للوباء، وهناك أشار بان الوباء جاء من اسبانيا وكنساس وبريست. أما عالم السياسة اندرو برايس سميث فقد أشار إلى أن الوباء ظهر من النمسا في أوائل عام 1917م مستنداً على بيانات اطلع عليها من الأرشيف الحكومي النمساوي في عام 2014 م، وأشار المؤرخ مارك همفريز من جامعة ميموريال في نيو فاوندلاند في سانت جونز بان الوباء ربما كان بسبب 96 ألف عامل صيني كانوا يعملون خلف الخطوط البريطانية والفرنسية أثناء الحرب العالمية الأولى. حيث اطلع على أدلة أرشيفية على أن مرضاً تنفسياً أصاب شمال الصين، إلا أن مجلة صينية تصدرها الجمعية الطبية الصينية لم تجد دليل بان وباء عام 1918م قد نقل إلى أوروبا أو الولايات المتحدة الأمريكية عبر الجنود والعمال من جنوب شرق آسيا والصين، وأشير بان الوباء قد انتشر قبل عدة شهور أو سنوات من وباء 1918م. كما أشير بان اكتظاظ الجنود أثناء الحرب العالمية الأولى زادت من انتشار وباء الأنفلونزا كما ساهم سوء التغذية في هجوم فيروسات الأنفلونزا على البشر بسرعة قاتلة .(10)

كما استمر وباء الكوليرا بالظهور خلال الحرب العالمية الأولى وما بعدها والذي عرف بأسماء متعددة مثل الهيضة والكوليرا الآسيوية والكوليرا الوبائية، والذي كان له أول ظهور عام 1816 م بالهند حيث اجتاحها من سنة 1816 إلى سنة 1826 م فقد بدأ في ولاية البنغال ثم انتشر في باقي الهند وقد توفي بسببه 10الاف جندي من القوات البريطانية والكثير من الهنود، وكان الثاني عام 1829 إلى 1851 م، وكان وباء الكوليرا الثالث ما بين 1852الى1860، وكان الرابع ما بين 1863الى1875 ، والخامس كان ما بين 1881 إلى 1896 م، والسادس كان ما بين 1899 إلى 1923، والسابع ما بين 1961 إلى 1970 م،وقد قدرت الوفيات به في الهند ما بين عام 1817 و1860 م بأكثر من 15 مليون شخص، وفيما بين 1865 و1917 م قدرت بحوالي 23 مليون شخص، وخلال فترة زمنية مماثلة كانت الوفيات في روسيا 2 مليون شخص .(11)

من خلال ما تقدم نجد أن وباء الكوليرا كان أول ظهوره عام 1816م واستمر في الظهور بعد كل فترة وأخرى وقد كان في ظهوره السادس ما بين 1899م إلى 1923م أي انه كان زمن الحرب العالمية الأولى.

فلو أخذنا الأزمة التي عاشتها المجتمعات البشرية في ظل الوباء الذي اجتاح العالم أواخر عام 1917م واشتدت في المنتصف الأول من عام 1918 إضافة إلى الحرب

نجد انه حدث اختلال في التوازن الدولي الثنائي بعد الحرب العالمية الأولى والتي تخللها جائحة وبائية وكان لصالح فرنسا واليابان وظهور الأنظمة والحركات الشمولية لأول مرة وبروز عامل جديد له تأثير في السياسة الدولية وهو العامل الإيديولوجي فظهرت القومية والماركسية والفاشية وغيرها، كما قسمت إمبراطوريات إلى دول كما حدث للنمسا والمجر التي قسمت وظهرت منها دول مثل تشيكوسلوفاكيا وتم الإعلان عن قيام المملكة الصربية والكروات والسلوفين (يوغوسلافيا 1929)، كما فككت الإمبراطورية العثمانية والإمبراطورية الروسية وظهرت دول أخرى ذات توجهات إيديولوجية،كما انفصلت المجر عن النمسا، وظهرت دول جديدة في آسيا وإفريقيا ونجحت منظمات وحركات من صنع دول كالحركة الصهيونية التي اكتسبت اعتراف مبدئي من بريطانية بإقامة دولة وبدأت ظاهرة الاستعمار في الانحسار، كما برز في العالم مواثيق أكثر صرامة مثل معاهدة فرساى في 1918/11/9م التي أجبرت فيها ألمانيا عن التخلي عن نظام الإمبراطورية وعن منطقتي الالزاس واللورين وعن جميع الأراضي التي احتلت، كما ظهرت معاهدة سان جرمان التي وقعت في 1919/9/10م حيث أعطيت ايطاليا جنوب التيرول وشاطئ دلماسيا وشاطئ الادرياتيك واستيريا، وحصلت رومانيا على ترا انسلفانيا وبوكوفينوبسارابيا وثلثي منطقة بانات من روسيا، وتم تكوين دولة بولندا من الأقسام الخاضعة للنمسا وألمانيا وروسيا السوفيتية وجمهورية تشيكوسلوفاكيا من بوهيميا ومورافيا وجزء من سيليزيا وجزء من سلوفاكيا وجزء من أوكرانيا، كما ظهرت ليتوانيا وفلندا واستونيا ولاتفيا (دول البلطيق) ، كما ظهرت معاهدة نايي والتي وقعت في 11/27/ 1919م والتي بموجبها أعيدت بلغاريا إلى حدود 1914م.(12)

كما نجحت حركات قومية ووطنية وانفصالية من تشكيل دول، وفي ليبيا تم إقامة الجمهورية الطرابلسية في نوفمبر سنة 1918م، وتم توقيع صلح سواني بن يادم في 21 ابريل عام 1919م والتي من أهم مبادئه كانت المساواة أمام القانون لكل الليبيين والايطاليين، وضمان الحرية الشخصية واحترام حقوق الملكية والسكن والتعلم والاجتماع والصحافة والإقامة، إضافة إلى جعل الخدمة العسكرية اختيارية مع الوطنيين وحق شغل الوظائف العسكرية والمدنية العامة، كما كانت اتفاقيات أخرى منها اتفاقية الرجمة سنة 1920م والتي من أهم نصوصها الاعتراف بالسيد إدريس

السنوسي أميراً على برقة واستقلال الأجزاء الجنوبية من برقة استقلال ذاتي وتحديد اجدابيا عاصمة للإمارة.(13)

ونتيجة للوعي الإنساني فقد ظهرت مؤسسة دولية هدفها الأمن الجماعي العالمي وهي عصبة الأمم في 1920/11/15م وكانت احد إرهاصات التنظيمات الدولية التي تحمي الأمن والاستقرار كما ظهرت مواثيق واتفاقيات إقليمية أوروبية شبه دولية مثل ميثاق بريان – كيلوج عام 1928م بين فرنسا ومثلها اريستيد بريان والولايات المتحدة الأمريكية ومثلها فرانك كيلوج وكانت عبارة عن نداء إلى الرأي العام الأمريكي فيه تعبير عن رغبة فرنسا في توقيع اتفاقية مع أمريكا بشأن عدم أللجوء إلى القوة من اجل حل المنازعات بينهما، كما كانت معاهدة لندن لتحديد التسليح البحري عام 1930م وغيرها من معاهدات واتفاقيات ومواثيق .(14)

بعد الوباء الذي تخلل الحرب العالمية الأولى بدأ النشاط الاقتصادي يعود إلى سابق عهده ويتطور وفي هذا يقول احد المصادر:- "مع حلول عام 1924م بدا أن العالم يستعيد قوته الاقتصادية بعد الدمار الذي أصابه من جراء الحرب العالمية الأولى. بل وبدا أن العالم يشهد نقلات اقتصادية نوعية من شأنها دعم تلك القوة. وتمثلت تلك النقلات في عمليات تنظيم الصناعة على أسس علمية والاهتمام بعمليات البحث والتطوير، ومركزية المشروعات، وتقسيم العمل، واستخدام الآلات مع الاهتمام بضخامة الإنتاج. وقد أدى ذلك إلى انخفاض تكاليف الإنتاج، وبالتالي انخفاض الأسعار. من ناحية أخرى زاد حجم التجارة الدولية نتيجة لتخفيف الحواجز الجمركية. كما بدا الإنتاج الصناعي يتسم بطابع دولي. ومن أمثلة ذلك تكوين الكارتل الدولي لصناعة الحديد عام 1926م. كما زاد حجم الاستثمارات الدولية .(15) "

نتيجة لظهور ظاهرة الشعور بالقومية وشعور بعض الأطراف بأنها ظلمت من نتائج الحرب العالمية الأولى خاصة ألمانية التي كانت تحاول تعديل معاهدة فرساى وظهور الصراع الاقتصادي قامت الحرب العالمية الثانية والتي تخللها أوبئة وأمراض والتي نشبت عام 1939م وانتهت 1945م. بالنظر إلى تاريخ الحرب العالمية الثانية مثلاً وهي من الأزمات غير الطبيعية التي تخللها أمراض وأوبئة نجد أن المجتمعات البشرية مرت بمرحلة صعبة في ظل حرب طاحنة تخللها أمراض وأوبئة ومجاعات الأمر الذي أدى إلى وفاة الملايين من البشر ونفوق الكثير من الحيوانات ولكن المرحلة التي كانت بعدها

من عام 1945م بدأت المجتمعات البشرية تنتعش اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً وثقافياً ففي الجانب السياسي تفتحت عقول البشر وصاروا اقرب إنسانية حيث اتفقوا على ميثاق يحمي الإنسان ويجعله يعيش في استقرار وأمان، وعلى ضوء ذلك قامت الأمم المتحدة التي حجمت نوعاً ما الحروب والصراعات التي تؤدي إلى هلك الإنسان، كما قامت اتفاقيات إقليمية ودولية في مجال نزع الأسلحة النووية والكيميائية وغيرها من الاتفاقيات، كما ظهرت الكثير من المنظمات الدولية والإقليمية الحكومية وغير الحكومية كما برزت دول جديدة في النسق العالمي مثل ليبيا وتشاد والنيجر والكيان الصهيوني إسرائيل وغيرها. وفي الجانب الاقتصادي ظهرت نظريات اقتصادية لحماية الأمن الاقتصادي المحلي والإقليمي والدولي، وفي الجانب الثقافي صارت هناك مؤتمرات وندوات ثقافية في كل مكان كما انتعشت الحركة الدرامية المكتوبة والمعروضة فظهرت الكثير من الصحف والمجلات وظهرت حركة صحفية قوية عكس ما كانت عليه قبل قيام هذه الحرب كما برزت وسائل لنشر الثقافة سواء عن طريق دور العرض السينما أو عن طريق الراديو والتليفزيون والرواية والقصص، كما شهد الاقتصاد العالمي كذلك نمواً اقتصادياً في أمريكا وأوروبا واليابان، كما حققت الدول الاشتراكية معدل جيد في التنمية الاقتصادية، وظهر الاعتماد المتبادل بين الدول، كما ظهرت مؤسسات اقتصادية عالمية بعد الحرب العالمية الثانية مثل صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي للإنشاء والتعمير، وظهرت اتفاقيات مثل الاتفاقية العامة للتجارة والتعريفات (الجات) في عام 1947م، وظهر مفهوم التنمية الاقتصادية كما ظهرت منظمات، وحركات تنادي بحرية الصحافة والشفافية والمشاركة السياسية. كما ظهرت منظمات إقليمية ودولية تهتم بالثقافة مثل منظمة اليونسكو، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الالكسو) والتي تهتم بالشأن الثقافي وكافة العلوم والفنون لجميع الدول. في الجانب الاجتماعي نجد أن العالم بعد الحرب العالمية الأولى وما تخللها من وباء وأمراض بدأ عدد سكان العالم يتضاعف حيث قدر عدد سكان العالم في عام 1930م بمليارين نسمة، كما شعر العالم بعد الحرب العالمية الثانية وما تخللها من أوبئة وأمراض بازدياد السكان في العالم في النصف الثاني من القرن العشرين حيث قامت منظمة الأمم المتحدة والمنظمات الدولية الأخرى بعقد عدة مؤتمرات بشأن ظاهرة الانفجار السكاني بدأت بالمؤتمر الأول الذي عقد في روما عام 1954م ، كما لوحظ هبوط

معدل الوفيات بسبب التقدم الزراعي وتحسن المياه والصرف الصحي وتقدم التكنولوجيا الطبية وتداول الأمصال والمضادات الحيوية، وفي المجال البيئي تطور الاهتمام بالبيئة بعد الكوارث وظهور إرهاصات دولية لحماية البيئة حيث تم إبرام اتفاقية جنيف في 24 سبتمبر 1931م خاصة بوضع نظام دولي لصيد الحوت الأزرق، وظهرت اتفاقية بشان الحوت الأزرق في 2 ديسمبر 1949م بواشنطن، كما ظهرت اتفاقيات ومعاهدات بشان حماية البيئة في مقاومة التلوث مثل اتفاقية لندن بشان تسرب النفط من الناقلات في 12 مايو 1954م، و13 ابريل 1962م، و2 أكتوبر 1973م، واتفاقية بروكسل بشأن التلوث البحري في 15 فبراير 1972م وغيرها.(16)

كما كان هناك بروتوكول مونتريال 1987م والذي وقعت عليه 165 دولة وهو يدعو الدول الصناعية من الحد من استخدام مواد كيماوية لها تأثير على طبقة الأوزون بحلول عام 1995م، واتفاقية الأمم المتحدة بشان مكافحة التصحر عام 1998م، وبروتوكول كيوتو عام 1997م بشأن تغيير المناخ ومعالجة ظاهرة الاحتباس الحراري العالمي، واتفاقية كوالالمبور عام 1998م الخاصة بحظر النفايات الخطرة، واتفاقية منظمة التجارة الدولية الخاصة بتنظيم الأنواع المهددة بالأنقاض من النباتات والحيوانات المعتمدة عام 1973م، واتفاقية ري ودي جانيرو عام 1992 الخاصة بالتنوع البيولوجي، كما اهتم العالم بالتفكير بالتنمية المستدامة .(17)

وهذا يوضح مدى تنور الفكر الإنساني وتقدمه بعد خمول في ظل الكوارث خاصة الأوبئة والحروب التي تتخللها أوبئة وأمراض.

بعد الأمراض والأوبئة والمعارك من عام 1939 إلى 1945 م نشطت الحركة الفكرية والمعرفية حيث تطورت وسائل الاتصال من تقليدية إلى حديثة وبدأ العالم يعيش مرحلة جديدة بعد كل أزمة وكان في كل مرحلة تتكون هناك المعارف والأفكار وتكون أكثر تطورا حيث أشارت المصادر بان الفترة من سنة 1945م إلى سنة 1991م اتسمت بثورات علمية وتكنولوجية .(18)

لقد شهد العالم ثورات علمية وتكنولوجية بعد الحرب العالمية الثانية وما تخللها من أمراض وأوبئة صار لها تأثير وانعكاسات على الكثير من السياسات المحلية والإقليمية والدولية للدول، وقد كانت تلك الثورات من أهم الثورات العلمية حيث

أحدثت قفزة في تاريخ العالم وكان من تلك الثورات اكتشاف شفرة الخلية .(19)

كما تم اختراع ما قبل الحربين العالميتين الأولى والثانية المطبعة في منتصف القرن الخامس عشر والتي جاءت بعد الطاعون الأسود الذي حدث في القرن الرابع عشر خلال الفترة ما بين عام 1347 إلى 1351م وقد أشير بأن هذا الوباء اعد في وقته أكثر الأوبئة فتكاً في تاريخ الإنسانية، هذا وقد أدى اختراع الطباعة إلى طباعة حوالي 4 بليون كتاب وذلك خلال الفترة من منتصف القرن الخامس عشر إلى منتصف القرن العشرين، في النصف الثاني من القرن العشرين انتشرت الثورات العلمية منها ثورة اختراع الكومبيوتر عام 1946م وطبعاً هذا جاء بعد الحرب العالمية الثانية وما تخللها من أمراض ومجاعات وانتشار للأوبئة. بعد ذلك تطور الكومبيوتر وزاد من قدرته على تجميع المعلومات والمعارف. في عام 1967م تم اختراع الكومبيوتر الشخصي وهذا ساهم في قدرة الأشخاص العاديين للحصول على المعلومات وتخزينها وبهذا انطلقت طاقات معرفية إنتاجية هائلة .(20)

في النصف الثاني من القرن العشرين كذلك شهد العالم ثورة هائلة في مجال الاتصالات فتم اختراع الراديو الترانزيستور، ثم تطور الراديو على مستوى تجاري، حيث تم إنتاج أول راديو ترانزيستور عام 1955م وبعدها تم إنتاج أول مسجل كاسيت، بعد ذلك تم اختراع تكنولوجيا الترقيم والتي بواسطتها أمكن معالجة الصور والبيانات والأحداث والكلمات المسموعة وتحويلها إلى إشارات رقمية، كما تم اختراع تقنية الألياف البصرية التي تستطيع بث كميات كبيرة من المعلومات وتحويلها من خلال النظام الرقمي إلى ومضات ونبضات ضوئية وذلك ساهم في اختراع شبكات الهاتف، كذلك فقد أدى أطلاق أول قمر صناعي (تلستار) عام 1964م إلى تطور وسائل الاتصال حيث مكن من خلال هذا القمر نقل الأحداث من أي منطقة في العالم إلى أي منطقة أخرى من العالم، وساهم في نقل المؤتمرات والندوات والبرامج الرياضية والثقافية وزاد من المخزون المعرفي والفكري، ثم توالت ثورة الأقمار الصناعية، كما ساهمت الأقمار الصناعية في أجراء الاتصالات الهاتفية العالمية السريعة وإرسال البرامج الإذاعية والتليفزيونية إلى المنازل مباشرة .(21)

لقد أدت الكثير من الأوبئة إلى تشغيل الخيال الأدبي فاستلهم منها الكثير من كتاب الأعمال الدرامية أعمالاً أدرامية رائعة في كافة أنواع الدراما سواء كانت في الشعر أو القصة القصيرة أو في الرواية

وغيرها، فقد أبدع بعض الكتاب أعمال درامية خالدة خاصة كتاب الرواية مثل رواية الكاتب الأمريكي ستيفن كنج " الستاند "، ورواية الأمريكي دين كونتز "عيون الظلام"، إضافة إلى رواية الطاعون للكاتب ألبير كامو ، والتي اعتبرت كذلك من أكثر الروايات مبيعاً في العالم في الربع الأولى من عام 2020م خاصة في ايطاليا وبريطانيا، وهذه الروايات أحداثها وشخصياتها تتحرك داخل أوبئة ومعظم هذه الأوبئة لرمز ما. هناك بعض من تلك الأعمال قد نالوا أصحابها جوائز عالمية على الأعمال التي استلهمت من تلك الأوبئة حيث تحصلت روايات كثيرة على جائزة نوبل في مجال الأدب مثل رواية الطاعون في عام 1957 م، ورواية العمى في عام 1998 م وغيرها. كما أن هذه الجائحة سوف تبرز هي الأخرى الكثير من الأعمال الدرامية بكافة أنواعها وصنوفها مثل ما حدث في الماضي حيث استلهمت من أزمات أوبئة أعمال خالدة مثل رواية الطاعون التي أسلف ذكرها والتي كتبها ألبير كامو وهو كاتب فرنسي ولد في الجزائر في 7 نوفمبر عام 1913م وتوفى في 9 يناير عام 1960 م، له الكثير من الأعمال الأدبية وقد صدرت الطاعون عام 1947م وهي مستلهمة من وباء الطاعون تخيلها الروائي ألبير كامو، حيث أن أحداثها تقع في مدينة وهران الجزائرية وزمن أحداثها في أوائل القرن التاسع عشر حيث أنها تروي قصة عاملين في مجال الطب في زمن طاعون بمدينة وهران. وقد أشير بان وباء الطاعون ربما كان رمزا في رواية ألبير كامو حيث أن وهران لم تتعرض للطاعون في أواخر الأربعينات في القرن العشرين وأشير انه ربما قد استلهمها من وباء الكوليرا الذي أصاب المدينة قبل مائة عام، وقد أشار عدد من النقاد أن ألبير كامو قد قام باستخدام الطاعون كرمز للغزو الألماني لأوروبا بدافع الايدولوجيا النازية التي جاء بها هتلر من اجل الإبادة الجماعية. كما أشار بعض من النقاد كذلك بان الرواية كأنها رمز لمدينة باريس حيث كانت تحت السيطرة الألمانية النازية في الأربعينات من القرن العشرين. وهو بذلك يوصف النازية بالطاعون .(22)

بالنظر إلى هذا العمل نجد أن الروائي من ضمن الذين نجو من طاعون عام 1918م وكانت طفولته في تلك الفترة، إضافة إلى أن هذا الوباء قد ترسخ في فكره منذ الصغر من أسرته التي عاشت مرحلة انتشار الطاعون إضافة إلى ذلك عاش طفولته في جو حرب طاحنة كانت فرنسا جزء منها وهي الحرب العالمية الأولى 1914-1918م، إضافة إلى ذلك عاش شبابه في أجواء الحرب العالمية الثانية، إضافة إلى اطلاعه على التاريخ الذي يعتبر مصدر من

مصادر الأعمال الدرامية. ولهذا فان انتشار الأمراض والموت كانت من الوباء ورجال الحروب وهنا فانه قد يقصد النازية فعلاً ولكن بشاعة وباء عام 1918م وتردد الحكايات عليه من قبل أقاربه ربما انه كان يقصد وباء الطاعون لأنه افتك من البشر إضافة ؛ لأنه عدو لا يمكن للشخص أن يراه ويهبط عليه فجأة دون سابق إنذار ولو كان يقصد هتلر والنازية لبادر بذلك دون تردد ؛ لان هتلر والنازية لم تعد موجودة أثناء صدور هذه الرواية ، كما ظهرت مؤلفات كثيرة بعد طاعون 1918م حيث نشط عالم الدراما في إبراز أعماله فعلى سبيل المثال ظهرت مؤلفات قيمة وخالدة للكاتب الأمريكي ارنست همنغواي مثل ثلاث قصص وعشر قصائد عام 1923م، وفي زماننا (قصص) عام 1925م، ورواية سيول الربيع عام 1926م، ورجال بلا نساء (قصص) عام 1927، ورواية وداعا للسلاح عام 1929، ورواية الطابور الخامس عام 1930م، ورواية الموت بعد الظهر 1932م، والفائز لا ينال شيئاً (قصص قصيرة) عام 1933م، ورواية تلال إفريقيا الخضراء عام 1935م، ورواية أن تملك والا تملك عام 1937م، ورواية لمن تقرع الأجراس عام 1940، ورواية رجال عند الحرب عام 1942م، ورواية عبر النهر نحو الأشجار عام 1950م، والعجوز والبحر عام 1952م، وغيرها نلاحظ أن الكاتب قد انتعش بعد انتهاء طاعون 1918 وبالمقابل نجده في ظل الحرب العالمية الثانية وما تخللها من معارك وأمراض وأوبئة كان إنتاجه قليلا والكثير من أعماله فيها نكهة الحرب والوباء فمثلاً في رواية (عبر النهر ونحو الأشجار) في أواخر الأربعينات والتي نشرت عام 1950 نجد أن هميغواي يستلهم الرواية من شخصية شاركت في الحرب حيث كان بطل هذه الراوية كلونيل راجعاً من الحرب حيث كتبها همنغواي وأمدها بآراه السياسية ونظرته تجاه الحرب والحياة.(23) "

كما استلهم الكاتب البرتغالي جوزيه دي سوزا ساراماغو الذي ولد في 16 نوفمبر من عام 1922م وتوفى في 18 يونيو عام 2010م رواية العمى عام 1995م ونال بسببها جائزة نوبل للأدب عام 1998م، في روايته (العمى) تعرض إلى الكثير من الأمراض في المجتمع الذي حدثت فيه روايته وكيف أنها تؤثر في المجتمع وحكوماته وقد ركز وفق ما أشير إلى تبدل السلوك بتبدل الظروف وتغيرها. أحداث هذه الرواية في أحد المدن حيث أصابها وباء غامض أعمى سكانها فتدخل الجيش من اجل وضع الحد فيها إلا انه يتخلى عنها فيتدخل المجرمون في المدينة وتصبح تحت رحمتهم. في أحد أساليبه

السردية الوصفية لروايته (العمى) التي فيها إشارة للوباء .(24)

كما استلهم الكاتب امير تاج السر رواته إيبولا76 من وباء إيبولا كانت أحداث هذه الراوية عام 1976، ومكان أحداثها بين جنوب السودان والكونغو،في هذه الرواية يتحدث الروائي أمير تاج السر من السودان عن انتشار مرض ابيولا حيث أشار في روايته إلى انتشار الحمى النزيفية والذي كان سببه فيروس ابيولا، صور لنا فيها حالة المجتمع الذي تدور فيه أحداث الرواية، وكيف أن هناك إهمالا من قبل الحكومة إعلامياً وتنظيماً، وكيف أنها اهتمت بأخبار القاتل دون سواه، وكيف أن قبائل جندت سحرتها المعتقين وزودتهم بخامات التعاويذ لتعقب هذا الوباء ومنازلته للقضاء عله.(25)

كما استلهم الكاتب غابرييل غارسيا وهو كاتب كولومبي رواية عن وباء الكوليرا وهي رواية (الحب زمن الكوليرا) والتي حاز بسببها على جائزة نوبل للأدب عام 1982.، أشير بان زمن الرواية كان خلال الفترة ما بين 1880 و1930م .(26)

كما استلهم الكاتب دين راي كونتز رواية (عيون الظلام) وهو كاتب من مواليد التاسع من يونيو عام 1945م في منطقة ايفيريت بولاية بانسيلفانيا بالولايات المتحدة الأمريكية أمريكي الجنسية، له الكثير من الأعمال الدرامية منها على سبيل المثال رواية مرايا الدم، وصوت الظلمات، والطاعون الرمادي، وقناع النسيان، وفرانكشاين2، وأود توماس الغريب. لقد كانت روايته عيون الظلام من الروايات التي كانت أحداثها عن أخطار الفيروسات حيث أشير بان الرواية توقعت وباء كورونا منذ نشرها عام 1981م، والكثير من المحللين أشاروا بان دين كونتز ربما كان يملك معلومات سرية حقيقية استثمرها في استلهام رواية عيون الظلام، وأشير بأنها عمل استباقي، ولكن هذا في اعتقادي شيء بعيد الاحتمال والشيء الحقيقي هو أن دين كونتز ربما كان قارئا جيدا للتاريخ خاصة وان الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا بل العالم قد مر عبر العصور بأوبئة كثير صارت فيما بعد ملهمات لكتاب الأعمال الدراما بكافة أنواعها والتي منها الرواية. لقد وصف الكاتب في هذه الرواية الفيروس بدقة حيث أن الشخص الذي يصيبه هذا الفيروس يصاب بالدوار الذي يشبه الدوخة بعدها يأتيه أحساس هستيري يتطور بعد كل فترة وأخرى مما تدفع المصاب بتمزيق ملابس الأطباء الواقية الذين حضروا من اجل نقله إلى الحجر الصحي أو العزلة بعدها يموت المصاب بسرعة وهذا كان من ضمن أحداث الرواية،وتتشابك الأحداث، وقد

أشير بان الحرب الإيديولوجية ضد الصين واضحة في هذه الرواية. وحقيقة الحرب ضد الصين ليست جديدة عند انتشار الأوبئة فقد اتهمت الصين في انتشار الأنفلونزا في أواخر عام 1917 م من قبل الانجليز والفرنسيين حيث عزوا سبب تفشي وباء الطاعون أو الموت الأسود إلى بعض الصينيين الذين كانوا يعملوا في مد خط لسكك الحديد في أوروبا أسلف، وهذا قد يكون سبباً في استلهام مثل هذا المشهد. وتلك الفرضيات تستعملها الوسائل الإعلامية للحرب الفكرية ضد الصين حين ظهر وباء كورونا بحيث أنها غيرت بعض المصطلحات بها وأضافت كلمات ومصطلحات جديدة مثل يوهان 400 والذي كما تشير المصادر لم يكن موجوداً في الطبعات الأولى، حيث كان اسم الفيروس غوركي (روسيا) 400 حيث حول في الطبعات الجديدة إلى يوهان 400، وقد سوقت له أحد دور النشر لتحقيق أرباحاً، إضافة إلى الحرب الفكرية ضد الصين ولزيادة الإثارة والدهشة للقراء من خلال التغيير، كما أشير بان ذلك ما هو إلا نظرية المؤامرة. هذه الرواية أخذت مسار معين من 1981 إلى 2008 م كان فيها اسم الفيروس غوركي (روسيا) 400، وقد أشير بان هذه لعبة مركبة من اجل الكسب المادي والسياسي.(27)

وأخيراً نلاحظ أن معظم الأعمال الدرامية التي كانت أحداثها تتحرك داخل الأوبئة معظمها قد استلهم من التاريخ باعتبار أن التاريخ أحد مصادر الأعمال الدرامية مثل رواية الطاعون، إضافة إلى أن هناك أعمالا درامية عاش أصحابها داخل تلك الأوبئة فأخذتهم فكرة الأعمال المأخوذة من التاريخ ونسجوا على ضوئها أعمالا درامية. هذا وقد أشير بان المجتمعات الإنسانية قد عبرت عن استجاباتها لتحديات الكوارث سواء كانت طبيعية أو غير طبيعية حيث أبرزت الكثير من الأعمال الأدبية والفنية والتعبير عما حدث من خلال ردود أفعالهم وكانت هناك أعمال أدبية وفنية رائعة صارت إرثاً إنسانياً خالداً فبعد أن تم رمي الكثير من الكتب في نهري دجلة والفرات عقب اجتياح بغداد من قبل المغول وظن الكثير بان الفكر والثقافة العربية قد انتهت إلا أن الحركة الثقافية ظهرت عقب انتهاء الغزو المغولي بقوة حيث نشط الكثير من المفكرين بإنتاج الكثير من المؤلفات وكذلك كان عقب الغزو الصليبي، وقد أشير بان مقدمة ابن خلدون ما كانت ترى النور لولا عيش ابن خلدون سنوات في ظل طاعون قيل بأنه محا العديد من ملامح العمران بالمغرب العربي، كما أشير بأنه قد ظهرت الكثير من المدارس الفنية والأدبية والفلسفية خاصة المدرسة الوجودية التي

ظهرت في الأدب العربي بعد أن عمت الأدب الأوروبي والأمريكي حيث كانت واضحة مثلاً في أعمال نجيب محفوظ والتي كتب رواياته بأسلوبه الخاص.

في ظل جائحة كورونا وبسبب تطور وسائل الاتصال أشير بان عشرات الملايين من الأفراد العاديين اندفعوا إلى تدوين يومياتهم وتجاربهم الشخصية في ظل الحجر المنزلي الطوعي أو الإجباري وقيل بان هذا من أهم ملامح أدب كورونا وطبعاً هذه اليوميات قد يستلهم منها الكاتب والمبدع الكثير من الأعمال الأدبية وسوف تكون مشهدا حيا للكاتب الماهر والمتخصص في إبداع أعمال أدبية رائعة (28). ونتوقع بخروج وباء كورونا بروز إبداعات درامية وعلمية في كافة أنحاء العالم بتأثير من هذا الوباء مثلما أثر الطاعون والكوليرا وغيرها من الأوبئة في الماضي على العديد من العلماء وكتاب الأعمال الدرامية واخرجوا بسببه الكثير من الأعمال الدرامية والنظريات العلمية والاكتشافات والاختراعات. ولاستقبال عالم ما بعد كورونا ومستقبل الثقافة أوصى عدد من الخبراء والمتخصصين العرب في الاجتماع والثقافة والحقوق بان يتم مواجهة المتغيرات الجديدة وذلك من خلال وضع استراتيجيات يتم تنفيذها بواسطة مهارة عالية وشفافية وذلك من اجل التصدي للآثار السلبية التي أنتجتها كورونا، كما أكدوا بان التغيرات الاقتصادية والاجتماعية والتعلمية عربياً تتطلب جودة الأداء والايجابية. وقد جاءت هذه التوصية من خلال ندوة افتراضية عبر الشبكة الدولية للمعلومات أقامها منتدى الفكر العربي بالأردن. إذن هناك ما بعد جائحة كورونا متغيرات كثيرة. كما أشير بان الجائحة قد أبرزت تحديات الأمن الغذائي والبطالة والتي أشير بان هذه التحديات تتطلب تخطيطا لعلاج هذه المشكلة وطبعاً هذا يتطلب رؤية مستقبلية واتخاذ تدابير في المستقبل لعلاج هذه التحديات، كما أكدت الكاتبة ناديا هاشم العالول في محاضرة لها عن بعد بعنوان (الثقافة المجتمعية ما بعد جائحة كورونا: التغيير نحو الأفضل) في 9 يونيو 2020م بضرورة إصلاح الثقافة المجتمعية لكونها أحد أدوات الإصلاح الجمعي وذلك من خلال تنمية اقتصادية وسياسية واجتماعية وثقافية وصحية وبيئية. كما أشير بان هذه الإصلاح يبدأ من النفس لكون أن الثقافة ناجمة عن تربية غرست عادات تراكمت لتكون سلوكيات كونت تراكماتها ثقافة سائدة سواء كانت ايجابية أو سلبية وما بينهما. كما أشارت إلى ظهور التعلم عن بعد خلال جائحة كورونا والعمل من المنزل وهذا أدى إلى التخفيف من الازدحام، كما ساهمت الجائحة في تفجير

ظاهرة الوعي الصحي والبيئي والتعلمي، وقد أشير أبو حمور بان الطلب العالمي والعرض المحلي قد انخفض وذلك بسبب عدم وجود مصادر دخل للكثير من الناس وهذا اثر على نمط الاستهلاك خاصة في ظل توقف الكثير من مصادر الإنتاج، وقد أشير بان التعلم عن بعد سيؤدي إلى فتح أبواب الجامعات العلمية أمام طالبي العلم بسبب انخفاض تكاليفه، إضافة إلى ذلك فان التعلم العالي في الجامعات العالمية سوف لن يقتصر على فئة معينة من الناس حيث أن الالتحاق في تلك الجامعات سوف تكون متاحة للكثيرين .(29) كما أشار بنك انجلترا خلال شهر نوفمبر2020م بان الاقتصادي في بريطانيا لم يعد إلى ما كان عليه قبل جائحة كورونا قبل عام 2022م، كما أشارت المفوضية الأوروبية إلى أن النشاط الاقتصادي الأوروبي في منظمة اليورو لن يكون على ما هو عليه قبل جائحة كورونا قبل عام 2022م.(30)

مما تقدم نلاحظ بان المجتمعات البشرية كانت عندما تخرج من كارثة طبيعية أو غير طبيعية والتي غالباً ما كانت تنتشر فيها الأمراض والأوبئة والمجاعات تقضي على الإنسان والحيوان تقف على أقدامها وتحاول الإسراع في التطور وتنشط فيها الحركة الفكرية والمعرفية والثقافية، فقد لوحظ بان العالم البشري بعد خروجه من الطاعون الأسود والذي عاشت في ظله البشرية في عوز وحياة صعبة حيث قدرت الوفيات خلال هذه الجائحة أو الكارثة بحوالي 75 مليون شخص نهيك عن ما خلفه الطاعون من آثار سلبية في الجانب الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والثقافي والبيئي، كما لوحظ أن العالم الإنساني قد عاش نفس أجواء الطاعون الأسود في ظل الأنفلونزا التي ظهرت خلال الحرب العالمية الأولى التي زادت من معاناة الإنسانية، وعاش العالم الإنساني خلالها عوز وخوف وتشرد حيث أثرت هذه الكارثة على كافة الجوانب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والبيئية ولوحظ بان العالم بعد هذه الجائحة أو الكارثة يقف أكثر قوة من قبل في كافة الجوانب. لقد عاشت المجتمعات البشرية في ظل الكوارث الطبيعية وغير الطبيعية والتي تتخللها الأوبئة والأمراض العوز وعدم الاستقرار في الأمن الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والثقافي والبيئي والمعاناة في الحصول على القوت اليومي إضافة إلى توقف الحركة الثقافية، كما لوحظ بان المجتمعات البشرية بعد خروجها من الكوارث والأزمات تبدأ بسرعة في التطور والتقدم في كافة المجالات سواء كانت اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية أو ثقافية أو بيئية، وبالاطلاع على الجوانب

الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والبيئية للمجتمعات البشرية في ظل الكوارث الطبيعية وغير الطبيعية التي تتخللها أمراض وأوبئة نجد أن المجتمعات البشرية تعرضت إلى تهديد لأمنها القومي بالكامل والتي يشمل في العادة الجانب السياسي والجانب الاقتصادي والجانب الاجتماعي والجانب الثقافي والجانب البيئي للأمن وعاشت هذه المجتمعات في ظل تلك الكوارث ظروفا صعبة أدت إلى موت الكثير منها، وبالمقابل وبالاطلاع على تلك الجوانب بعد مرور تلك الكوارث وانتهاءها نجد أن المجتمعات البشرية قد انتعشت وعادت للحياة من جديد والحركة بقوة وتطورت وسائلها المختلفة إضافة إلى دخول معارف وعلوم وفنون واكتشافات واختراعات جديدة لم تكن قبل تلك الكوارث، وهذا ينبئنا بان المجتمعات البشرية بعد جائحة كورونا سوف تمر بمثل هذه المراحل التي مرت بها المجتمعات البشرية في السابق بل أنها سوف تزيد في تطورها الأمر الذي يؤدي إلى تصادم وصراع على المصالح خاصة على الدول المختلفة التي تمتلك إمكانيات مادية هائلة غير مستغلة مثل المياه والأراضي الخصبة ومصادر الطاقات المتجددة كالشمس.

خامساً النتائج والتوصيات

بالنظر إلى تاريخ الكوارث الطبيعية وغير الطبيعية سوف تكون هناك ردة فعل علمية وثقافية قويتان بعد الجمود الذي عاشته الثقافة الإنسانية ويشمل كافة العلوم والفنون مقارنة ما حدث عقب كل أزمة عاش العالم الإنسانية، سوف تكون هناك نظريات وأفكار اكتسبت من الجمود الذي كان أثناء أزمة كورونا، سوف تكون هناك نظريات وأفكار وخطط في التعلم والصحة والإسكان والصناعة والبيئة وغيرها من الأنشطة، وسوف يحاول العالم توظيف الدراسة عن بعد والاعتماد عليها بدل الدراسة والتعلم التقليدي الذي كان من قبل تحسباً لأي طارئ جديد من ناحية ظهور أزمات جديد سواء كانت طبيعية أو غير طبيعية، كما ستظهر أعمال درامية كثيرة سواء كانت بالصوت والصورة من المسرح أو السينما والتليفزيون والراديو أو في الأعمال الورقية والالكترونية في الرواية والشعر والقصة القصير، وسوف تكتسب الكثير من الشعوب مقومات جديدة لهويتها كالملابس والأكلات والأسماء والشعارات وسوف يبدع الفنانون التشكيليون العديد من اللوحات التشكيلية الرائعة.

إن جائحة كورونا كوفيد 19 سوف تخرج ما في أجواف وقلوب الشعراء من تعابير

ومحسنات بديعية وأفكار لقصائد جيدة، كما سوف تلهم علماء الاقتصاد من وضع أفكار ونظريات وخطط من اجل النهوض بالعالم من كبوته التي تعرض لها خلال الجائحة لتوفير الأمن الاقتصادي للبشر، كما سوف تلهم هذه الجائحة علماء السياسة وغيرهم من النظر في المواثيق الإقليمية والدولية التي يكون هدفها خدمة البشرية، كما سوف تلهم هذه الجائحة علماء البيئة من وضعها على رأس قائمة الأوليات البشرية، كما سوف تبرز مؤسسات جديدة هدفها الصحة البيئة، وسوف توقع مواثيق على اتفاقيات في الحد ومنع أجراء التجارب الجرثومية التي تعرض العالم للهلاك مثل الاتفاقيات التي وقعت بعد الحرب العالمية الأولى والثانية. من الناحية الاقتصادية سوف تظهر نظريات وخطط جديدة تساهم في صراع اقتصادي بين الدول الصناعية ويكون الصراع على دول العالم الثالث التي لديها إمكانيات هائلة غير مستغلة مثل ليبيا والسودان وغيرهما. سوف تبرز إلى السطح العالم قضية الأمن الغذائي وطبعاً المائي والبيئي وتكون على رأس القضايا العالمية، وسوف يتم اكتشاف أمصال ولقاحات وأدوية للحد من اغلب الأمراض، وبالتالي فأن كل ذلك سوف تشمله الثقافة.

أ- النتائج:

ومن خلال ما تقدم فأننا نستنتج الأتي-:

1- إن الثقافة سوف تتعافى بشكل تدريجي مثلما حدث في السابق عندما تعرض الوضع الثقافي لظروف مشابهة كانت فيها الثقافة شبه جامدة خاصة في ظل عدم توفر وسائل اتصال وموصلات حديثة.

2- إن كل الانجازات في علوم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والبيئية والثقافية تعتبر مصادر للثقافة.

3- إن الثقافة في ظل جائحة كورونا كوفيد 19 ظلت شبه جامدة تراوح في مكانها وقد تأثرت الكثير من جوانب الحياة البشرية سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو ثقافية أو اجتماعية أو بيئية.

4- لوحظ بروز وميض للوعي الصحي عند عدد كثير من المؤسسات والناس ولهذا لوحظ قلة الوفيات مقارنة مع الأوبئة والكوارث على مرت على البشرية في الماضي.

5- سوف تبرز علوم ومعارف وفنون كثيرة تتدفق في سلسة سوف تغطي سنوات ما عجزت عنه الثقافة في ظل الجائحة.

6- سوف تبرز أعمال أدبية وعلمية رائعة كثيرة مثلما برزت بعد كل جائحة تعرضت لها البشرية.

7- سوف تبرز مشكلة في الأمن الغذائي وارتفاع أسعار بعض السلع خاصة في الدول المتخلفة مثل ليبيا خاصة بعدما لوحظ عدم اهتمام وزارة الاقتصاد والتجارة بها بمراقبة الأسعار وانفلات أموال طائلة من عدم جبي الضرائب خاصة على الأجانب الذين يعملون بدون تراخيص، إضافة إلى تهاون الرقابيتين الإدارية والمالية في متابعة محاسبة المفسدين في المصالح الحكومية.

8- سوف تنظر الشعوب إلى حالها السياسي وتحاول المشاركة السياسية حيث شاهدنا إرهاصات ذلك في الانتخابات الأمريكية والمنافسة بين بايدن وترامب والمشاركة السياسية التي لم يسبق لها مثيل.

ب-التوصيات:

من خلال النتائج فانه يوصى بالآتي:-

1- يتطلب لدفع عجلة الثقافة أن يتم التركيز على التنمية في كافة الجوانب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والبيئية.

2- وضع استراتيجيات يتم تنفيذها بواسطة مهارة عالية وشفافية وذلك من اجل التصدي للآثار السلبية التي أنتجتها كورونا وما قبلها خاصة الفساد الحكومة المتفشي في الدولة.

3 -تتطلب الشفافية في الأعمال الحكومية والاهتمام بالتربية في المؤسسات التعلمية بوضع مناهج هدفها غرس حب الوطن والصالح العام والأخلاق في المعاملات بين الناس إضافة إلى ضرورة تطبيق القوانين الذي تحاسب الفاسدين.

4- يتطلب كذلك أن يتم تطبيق القوانين التي تحمي المستهلك ومراقبة الأسعار بدقة ومتابعة الفساد الحكومي.

5- ضرورة وضع إستراتيجية مناسبة يتم بها مواجهة التغييرات التي أحدثتها الجائحة وذلك من خلال أهداف وخطط وبرامج تنفذ بمهنية ومهارة عالية.

6- ضرورة والتركيز على المؤسسة الزراعية والحيوانية والبحرية دون سواها والاهتمام بالتنوع الاقتصادي لتوفير الأمن الغذائي.

7- الاعتراف بالدراسة عن بعد لكافة المؤسسات التعلمية لكافة المستويات وفي فتح مؤسسات لها.

8- يتطلب أن يتم التعاون بين القطاع العام والخاص إضافة إلى ضرورة تطبيق

معايير خاصة في القطاع الخاص وتطبيق قوانين حماية المواطن.

9- كما يتطلب من الحكومة والمؤسسات المتخصصة الاهتمام بالبحث العلمي وبمراكز البحوث والدراسات في جميع المجالات والاهتمام بالباحثين في كافة التخصصات.

10- ضرورة الاهتمام بالسياحة والبيئة فمثلاً في ليبيا من خلال تفعيل التوصيات الإقليمية بشان إقامة طرق معبدة وخطوط سكك حديدية إقليمية للاستفادة منها في السياحة وتكون مناطق لجذب السياح والاستثمار فيها، والتشديد على متابعة أعمال شركات النفط والغاز خاصة الفنية في الصحراء من قبل قطاعات السياحة والبيئة والنفط، والالتزام بالمعاهدات والاتفاقيات الإقليمية والدولية بشأن البيئة والسياحة ونشر تلك المعاهدات والاتفاقيات في وسائل الإعلام، وتشجيع المستثمرين على إقامة استوديوهات طبيعية لتصوير الأفلام السينمائية وإقامة ملاعب للتزلج على الرمال وملاعب للتنس الأرضي تقام علىها ألعاب محلية وإقليمية ودولية وإقامة برامج للعديد من الألعاب الرياضية بالصحراء كسباق المهاري والسيارات والدراجات النارية وغيرها لتخدم السياحة بأنواعها، وتشجيع المستثمرين على إقامة المصحات العلاجية لعلاج أنواع من الأمراض التي تحتاج لعلاج طبيعي كالعلاج بالرمال والعلاج بالمياه الكبريتية وهو ما ينطوي ضمن السياحة العلاجية، وضرورة الاهتمام بالتنشئة الاجتماعية لأنها الأساس في الوعي الثقافي والاجتماعي والسياسي والبيئي.إعادة غرس الأشجار والنباتات الجبلية والصحراوية التي كانت متأقلمة مع الظروف البيئة الجبلية والصحراوية مثل أشجار الطلح والبلوط والبطوم والسدر والاستفادة منها في السياحة البيئية وحماية البيئة، وإقامة محميات طبيعية للاستفادة منها في السياحة البيئية وتشجيع الاستثمار فيها.

الهوامش والمراجع:

1 " -تعبير عن المستقبل "، تاريخ الاسترجاع 2020/10/23، https://mawdoo3.com

2- مسعود، جبران، رائد الطلاب، (بيروت – لبنان: دار العلم للملايين، ط1، 1967)، ص70.

https://www.alukah.net/culture/0/692043 - ، تاريخ الاسترجاع 2020/10/25 .

4- الزاوي، الطاهر احمد، مختار القاموس، (القاهرة –مصر: الهيئة المصرية للكتاب، 1975)،ص8.

5- مسعود، جبران، مرجع سابق، ص 307.

6- هيكل، محمد، " الطفل دللناه بأفواهنا ولم نرعه بأعمالنا "، مجلة الثقافة العربية، العدد 8، السنة الثالثة، مطابع الثورة للطباعة والنشر. بنغازي. ليبيا. ص 153.
7 -بركات، حليم، المجتمع العربي المعاصر،(بيروت- لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 1984). ص321 .
8- جابر، محمد عابد، العولمة والهوية الثقافية: عشر أطروحات ضمن العرب والعولمة، (بيروت - لبنان: مركز الوحدة العربية، ابريل 2000)،ص297، 298.
9 " -أشهر الأوبئة التي فتكت بالبشرية عبر التاريخ "، تاريخ الاسترجاع،2020/3/28، https://libya24.tv/monawa3at/263155.
10" -الأنفلونزا الاسبانية"، تاريخ الاسترجاع،2020/3/29http://www.wikiwand.com/ar
11" -كوليرا"، تاريخ الاسترجاع، https://ar.wikipedia.org/wiki/2020/3/27 .
12- سليم، محمد السيد، تطور السياسة الدولية في القرنين التاسع عشر والعشرين، (القاهرة – مصر: دار الأمين للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2002)، ص- ص 283- 286.
13- السوري، صلاح الدين حسن، مشكلة التعويضات عن أضرار الحرب والموقف الليبي، مجلة البحوث التاريخية، السنة الخامسة، العدد الأول، يناير 1983، ص – ص 27- 36.
14- سليم، محمد السيد، مرجع سابق، 355.
15- المرجع السابق، ص386.
16- صاحب، جعفر عبد المهدي، حسين البشير احمد شفشة، الأيكولوجيا إيديولوجية أنصار البيئة، (طرابلس – ليبيا: مركز دراسات وأبحاث، ط1، 2004)، ص 90.
17- المرجع السابق، ص، ص 98،97.
18- سليم، محمد السيد، مرجع سابق، ص 495.
19- بطرس، أنطوان، الثورات العلمية العظمى في القرن العشرين، (بيروت – لبنان: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر،1994)، ص - ص 203، 398.
20- حسني، حازم احمد، ثورة المعلومات والاتصالات في موسوعة أحداث القرن العشرين، الجزء الأول، (القاهرة – مصر: دار المستقبل العربي، 2000 م)، ص – ص 221- 252.
21- سليم، محمد السيد، مرجع سابق،ص 497.
22- ألبير كامو الطاعون والعبث والحب، تاريخ الاسترجاع 2020/2383، https://aawsat.com/home/article/2180766 /.
23- عبر النهر وبين الأشجار، تاريخ الاسترجاع 2020/10/28، https://ar.wikipedia.org/wiki/
24 -العمى رواية، تاريخ الاسترجاع 2020/3/25 https://ar.wikipedia.org/wiki .
25- الحب في زمن الكوليرا، تاريخ الاسترجاع 2020/3/20 https://ar.wikipedia.org/wiki.
26- ابيولا 76، تاريخ الاسترجاع 2020/3/24 https://www.daralsaqi.com/book .
27- رواية عيون الظلام هل هي نبوءة أم لعبة، تاريخ الاسترجاع، https://www.alquds.co.uk/
28- الرأي الثقافي مستقبل الثقافة بعد جائحة الكورونا، 2020/8/31، http://alrai.com/article/10550663
29- https://elaph.com/Web/News/2020/06/1295677.html
30- https://:// www.skynewsarabia، تاريخ الاسترجاع 2020/11/5.

مستقبل الثقافة في زمن الكورونا

مفتاح الشاعري

في بدايات ظهور جائحة كورونا التي كانت في غاية القسوة ظهر تتالى مدهش من موانع ومحاذير كانت كفيلة بخلق عوائق أفلحت تقريبا في تفكيك بنية الثقافة بمختلف مساراتها من كتاب وصحيفة وناد ومسرح وسينما ومكاتب ثقافية ووفود سياحية في وفرة من رغبة توعوية موجودة وأخرى مكتسبة

لكن الفضاء الالكتروني بمختلف أنواعه واغراضه ومسمياته شكل بشتى فروعه قنوات مناسبة عابرة لكل القارات فكونت نوعا من التواصل رغم الاختلافات الثقافية والعقائدية، وكانت بذلك قد أدت إلى ظهور نوع من النظرة الثاقبة والباحثة عن البدائل في العالم المتغير الى مستجد غير مألوف. وهذا ما أكد للمهتمين بالشأن الثقافي أن العالم قد قطع شوطاً كبيراً في محاولة استمرارية التعايش الفكري في ظل جائحة كورونا

وكان من المفيد أن يشار إلى أنه لم يعد ما يتعجب بشأنه الآن، أو في قادم المراحل باعتبار أنه تم اصباغ صفة ومسمى على هذه المرحلة، بحيث أنها أضحت تأريخ مميز ومحدد لنتاج فكري متعثر في ظل جائحة ما تكاد تهدأ حتى تعاود الكرة بعناد

وهذه المرحلة بالذات قد تخلد كمرحلة بمسمى لم يولد بعد، وستظل برغم ما شابها من عوائق أمام من امتهن الكتابة وارتهن للفن وانتمى لركح ومن تعلق بالترحال، فجعله محطات في سجل ثقافة مشاهداته مرحلة فترة لكفاح لأجل الإعلان بالوجود وسط عاصفة فتاكة لم تستثني افراداً أو قوميات وستكون نقاط لوجودية أو أن محاولة فناء من وباء لم يعرف له هوية ولا مصدر.

والأمر هنا ليس طرفة، وأيضا لا يتحمل تنظير ولا استهجان، فالفلسفة بدأت بسؤال والواقعية حاكت معاشا انتج أدباً، والوجودية كانت نتاج اعلان، والعبثية بدأت بلا شيء يهم.. وفي البدء أبدا كانت الكلمة، التي هي وليدة مرحلة من خلق أو موقف من شمولية حدث.

وما سلف سرده سيؤكد أن الثقافة برمتها في زمن الجائحة بدأت فعلنا بتحطيم التردد وأعقب ذلك قفزة تجاهلت فواصل الجغرافيا وأيديولوجية المنهج والعقيدة لتتحول العملية برمتها إلى فرض وجود رغم بوادر فناء وتحول هام في عمق انساني، وأن كان هذا العمق لا يخلوا من رهبة قادمة ربما سيتبلور ليتحول إلى عمل فكري صادق وهادف

وستأتي عاجلاً ام آجلا، مرحلة ستعرف بانها مرحلة ما بعد الكورونا، وسيتحتم جراء ذلك البحث عن نقاط جدلية من شأنها طرح افتراض لما سيكون عليه المشهد الذي يتطلب ايجاد بدائل يمكن من خلالها التغلب على الصعوبات التي تواجهها الثقافة بكل اتجاهاتها

وهذه البدائل ستقود البحاث الى اعتماد متطلبات قد يكون من أهمها عوامل ضامنة لوجود تواصل عبر الفضاء الافتراضي وباتفاقيات دولية ضامنة وتخفيض قيمة الاشتراك والتواصل للمستخدمين

أما على الصعيد المحلى فإن الدولة ستكون معنية بتأمين متطلبات المعيشة للقائمين على أدوات الاتصال، وايضا ضمان ايرادات موظفي قطاع الثقافة،

وتعزيزا لهذا الاتجاه فأنه يجب اقحام الجهات التشريعية والتنفيذية في عمل المكاتب والشركات الإعلامية وجهات التوزيع والطبع والإعلان من خلال رصد ميزانية تشغيلية مؤقتة ضامنة لاستمرارها

إن هذه الضرورات ستضاف الى مساهمة القطاع العام في دعم التأمينات الواجب سدادها من رسوم ضمانية وضريبية من قبل الافراد والمكاتب والشركات

ويجب عدم اغفال جانب حيوي خادم للحركة الثقافية وهو ما تعلق بالدوائر المغلقة للاتصالات المستخدمة في المحاضرات والحوارات وغيرها من المناشط التوعوية والتثقيفية، فان أي مد ثقافي سيكون في طلب ملح لإنشاء منصات تعنى بالشأن الثقافي مع ايجاد قاعدة بيانات تتضمن المرجعية المستدامة

أيضا وبالتنسيق الدولي عبر الإدارات المهتمة بالشأن الثقافي ايجاد ما يمكن من خلاله تحقيق الاتجاه إلى الفضاء الالكتروني المهتم بمجال التأليف الجماعي في حقل اتجاهات وصنوف الأدب الاخرى

مع إعداد برامج موجهة عبر الاتصالات المرئية والمسموعة تعنى بنقل الفنون السمعية والبصرية وفقا لجداول زمنية موحدة

أما إذا كانت الظروف العامة مواتية للالتقاء فلربما كان ذلك جيدا وسبباً في تشكل صورة مبشرة وإن جاءت على هيئة مغايرة تنافي حميمية التواصل المتعارف عليه زمن ما قبل الكورونا.

الاضطراب والاستجابة

رافد علي شعيب

كوفيد19 المستجد أزعج الحياة، وأربك مستويات صنع القرار، وكانت الثقافة وحقول الابداع الفني من ضمن هذه المجالات التي مسها الركود والحيرة في أمرها بوسط عالمٍ أصبح رهينة الكساد والترقب والاضطراب والموت. المنخرطون والعاملون بحقل الثقافة مع الجائحة الكورونية لم يجدوا من مفر لتحقيق استمرارية الا عبر الانترنت والحياة الرقمية الحديثة بما يخترق بشكل أعمق مفهوم الافتراضية في عالم الشبكة العنكبوتية من خلال الوصول للعامة في ظل سياسة الحجر والعزلة ضمن مبادرات أطلقتها وزارات الثقافة ببعض دول العالم. في فرنسا، دشنت وزارة الثقافة منصة رقمية حديثة اشترك في نوافذها المتطورة أكثر من مائة مؤسسة بالبلاد من بينها «متحف اللوفر»، و«مركز جورج بومبيدو»، و«المكتبة الوطنية»، و«أوبرا باريس» و«معهد العالم العربي» بباريس، مطلقةً عليها اسم "الثقافة ببيتنا ."

منظمة اليونيسكو امام الدربكة والرعب اللذان مسا الحياة الثقافية في دول العالم مختلفة الامكانيات، والمتباينة في مدي شراسة الوباء، بادرت المنظمة ابريل الماضي بالدفع بمبادرة عالمية اطلقت عليها "صمود الفن"، بقصد خلق استراتيجية للثقافة عموماً ترتكز على حفظ حقوق اهل الثقافة والفن، والعمل على التواصل الثقافي مع العامة في عزلتها ضمن سياسات الحجر الصحي الإجباري بهدف رفع "حالة طوارئ ثقافية" "بقصد صيانة الاقتصاد الابداعي" في شتي الفنون، فالثقافة امام الجائحة لم تعد حالة ترفيه وكماليات، ولكنها اضحت وسيلة تمنح القدرة على الصمود، وتنعش الامل في مواجهة وضع جديد وفتاك، لَزِمَ الحال امامه من تبني تدابير تحافظ على المعنويات وتعزز النجاعة الذهنية بحس ابتكاري .

لافت انتباهي ان كلية الآداب بجامعة السلطان قابوس بسلطنة عمان كانت بعد انقضاء الموجة الاولي من الوباء قد تبنت تحفيز طلابها ضمن برنامج ثقافي على الانترنت بالاطلاع على الادب الوبائي، كفاتحة لتلمس الطالب ملامح ما شاع في الاوساط الثقافية العربية عبر وسائل التفاعل الاجتماعي لظاهرة "الادب الكوروني". فقد تم التعاطي مع رواية الطاعون لكامو، ورواية الحب في زمن الكوليرا لجابريل غارسيا ماركيز. كما تابعت باهتمام في ايام الحجر الإجباري من الموجة الاولي الحفلات الغنائية الحية ووصلاتها الموسيقية الحديثة التي حرصتْ على تقديمها فرقة The Black Eyed Peasعبر صفحتها على الفيس بوك او في ايقونة قصتها على ذات المنصة، بقصد التواصل مع جمهورها مع حرص الفرقة التام على حقوق الراعي التجاري للفرقة بطريقة بسيطة جداً، والتي حتماً ستعمل التكنولوجيا الحديثة على تطويرها وعصرنتها باعتبارها اسلوبا ابتكاريا لحفلات الفرق الموسيقية العالمية .

على صعيد التلفزة، سعت شبكة التليفزيون الفرنسي ضمن حالة إجتياح كورنا لعالمنا؛ سعت شبكة التلفزة للمحافظة على تقليدها في نقل المسرحيات مباشرة على الهواء كما حصل مع مسرحيتي يحبون بعضهما مجدداً، لميشيل لاروك وبيير بالماد، ومسرحية الدعوة للكوميدي جاد إلماليه. كما أن البرامج الثقافية المختلفة التي تتنافس في نقاش اخر المطروح من مطبوعات واصدارات استمرت جاهدة بأداء لافت مستخدمة تقنية سكايب للتواصل مع الضيوف من كُتاب وشعراء واهل الفن "لممارسة" حق إبداء الرأي فيما هو قائم من قضايا، ومحاولة لخلق افكار تحرك الساحة الفنية والفكرية رغم الحجر وسياسة التباعد، وبما يساهم في خروج الطبقة المثقفة من عزلتها، ومنحهم منفذ للتصريح باخر انجازاتهم واعمالهم وآرائهم في اي مستجد .

لقد تبين ان فرنسا منذ اندلاع الازمة سعت بحيوية للمحافظة على متانة بنيتها التحتية في حقل الثقافة، بلا ان تتناسي حجم المصاعب والعراقيل ومدي الضائقة التي يعيشها اهل الثقافة والفنون بكل تشعبات هذا المصطلح، وادراكاً من وزارة الثقافة الفرنسية بالصعوبات التي تواجهها الثقافة اما الجائحة، فقد صرحت وزيرة الثقافة روزلين باشالو مع بدايات الموجة الثانية للوباء المستجد بالبلاد، منتصف شهر اكتوبر الماضي، بتخصيص ميزانية دعم خاصة للثقافة في مؤتمر

صحفي مباشر وبحضور رئيس الوزراء الجديد جون كاستكس .

حالة الاضطراب والاستجابة في زمن كورونا كانت التكنولوجيا الرقمية الحديثة والانترنت هما الوسيلة الاساسية للتدوين والنشر والانتشار بأعمال أدبية في شتى مجالات الفن والثقافة، مما جعل البعض يطلق على بعض المدونات لقلب "الادب الكوروني". يتخذ البعض موقفاً خاصاً من هذه النصوص او الاعمال اذ يعتبرها نصوصاً او اعمالاً شعبوية آنية، كما هو موقف الناقد والأكاديمي غسان إسماعيل عبد الخالق في مقاله المعنون بـ "مستقبل الثقافة بعد جائحة كورونا بصحيفة الرأي، فكورونا عنده ازمة لم تتجاوز اشهراً يصعب معها الجزم بانها ارهاصات لنوع جديد من الادب، فهي نصوص تصب في خانة استجابة نوعية لظرفية لازال العلم يبشر بانها حالة مؤقتة. مجادلاً بان الصفوف الاولي من اهل الثقافة والفنون ستأتي بعد الجائحة بروح أفضل كونها استغلت حالة الحجر والتباعد، في الموجتين لكوفيد19، في القراءة والاطلاع وتطوير مدارك اخري، بما سيزيح هذه الشعبوية، او أنها ستقوض العشوائية في الانتشار والتطفل على ضوابط الشعر كما يري الشاعر الفلسطيني محمد صالح في مقالته: العالم الافتراضي وتأمل النص الشعري، على موقع جريدة عالم الثقافة.

امام حالة فرض الوباء نفسه على الثقافة والفنون من تباعد، واللجوء للشبكة العنكبوتية والخوض في عالم الرقمية، يشير العلم المختص بالانترنت تحليلاً لمجتمعاته الافتراضية والسلوكيات البشرية فيه، انطلاقاً من الفرنسي بيير بورديو صاحب نظرية الهابتوس الافتراضي، او العادة الافتراضية كما تترجم عربياً؛ وصولاً إلي سيس هاملينك الذي كان من اوائل من إستخدم مصطلح الرأس المال المعلوماتي في كتابه The ethics of cyberspace، يشير إلي ان العالم الافتراضي على الانترنت سيحقق ابعاداً جديدة من خلال تعزيز فكرة بناء مجتمعات فرضية تستثمر رؤوس اموالها المعرفية والاجتماعية ضمن حقولها المتخصصة، بحيث يبدو التمايز ظاهراً في زحام رواد الانترنت لتلك المجتمعات الافتراضية.

سيس هاملينك في كتابه المذكور اعلاه يذكر ان عالم الانترنت يتضمن انواع عديدة من الرأسماليات الي جانب الرأسمال المعلوماتي الذي ابتكره، فيوجد الرأسمال الثقافي، المتمثل في شهادات ومعارف وخبرات، ورأس مال إجتماعي الذي يتمظهر على شكل شبكة علاقات

مع الخبرات والنخب، بما يوضح ان الرأسمال المعلوماتي سيكون له دور في منح القدرة الفكرية، او الاحترافية باي حقل - كالثقافة مثلاً- على تقيم المطروح والبحث عن ترجمة المعلومة تماماً كما هو حال الرأسمال المادي في الواقع الوجاهي، او الحقيقي. فالتخصص الفني او المعرفي في شقٍ من انواع الثقافة سيبقي مصوناً، ولن تنال منها كورونا بسبب تزايد الابحار في النت واقتحام العموم لمجالات الثقافة بلا موهبة ناضجة او كفاءة تؤهل. فضوابط القصة، وبحور الشعر وتفعيلته، وادوات الحبكة الرواية ستبقي راسخة، رغم ان البعض يتحدث عن عالم اخر بعد كورونا تتغير فيه الحياة عموماً، وليس حقول الثقافة وضوابط الفنون فيها، لان الأسس التي تقوم عليها الثقافة في العالم الواقعي هي التراكمات المعرفية التي تحققت ضمن المستقر في وجدان اي مجتمع يعيش على وجه البسيطة، علاوة على ان العالم الافتراضي بحقوله لا يختلف عن باقي الحقول الاجتماعية المشكلة للعالم الاجتماعي عند بورديو، من حيث كونها تتوفر على رساميل معينة، والتي تدفع الفاعلين الاجتماعيين إلي التنافس والصراع عليها واحتكارها واقصاء المنافسين، كما يوضح عبدالإله فرح في مقالته العالم الافتراضي ونظرية الممارسة على موقع مؤمنون بلا حدود .

لا شك أن الاضطراب الذي عم حال البشرية مع سطوة كوفيد19 على حياتنا قد اجبر الجميع على خلق استجابة نوعية لمقاومة الوباء، واعتقد ان حقل الثقافة كان له إستجابة لحماية منظومة القيم التي يتمحور حولها الحس الفني في الانسانية من خلال الكشف عنه كحالة صمود للبشرية تدعم وتحافظ على قيم الانسان التي قد ارتبكت في لحظة كانت النزعة الفردية تتخذ منحى شرساً حينما انتقد المثقف بصوت واضح، كل في حقل فنونه، حالة إسقاط كبار السن من سلم الاولوية في الرعاية الصحية، او حين تخلي الاوربيون عن ايطاليا لوحدها لتواجه قدرها وحيدة في عزلة معلنة رسمياً من قبل جيرانها رغم المعاهدات والاحلاف بينهم. فالجائحة فتحت النقاش عن حالة الصراع بين البرجماتيّة العصرية والمثالية التي تمثل روح الفن والشعر ودواوينه بحيث تنهض الشاعرية الفنية في الانسان لتصد "الإنسان الذئب" عند توماس هوبز بعيداً.

ممارسة العمل الثقافي في زمن الكورونا

د. على مفتاح اعبيد

يقصد بالعمل الثقافي أي نشاط يتمحور حول الثقافة، كالندوات الفكرية، والمعارض الفنية، والعروض المسرحية، والمهرجانات واللقاءات الأدبية، ومعارض الكتب. في كل هذه النشاطات يمثل حضور المهتمين –باعثين ومتلقين- المحور الأساسي للعمل الثقافي، حتى أن العمل الثقافي ينتفي كلياً في غيابه.

كيف يمكن القيام بعمل ثقافي كبيراً كان أو صغيراً في غياب محوره الأساسي؟ القيام بأي عمل ثقافي دون وجود متلقين لا معنى له، فهو ليس مبارة في كرة القدم يمكن القيام بها حتى في غياب الجمهور.

طبيعة جائحة كورونا، المتمثلة في سرعة انتقال العدوى وانتشارها في أي تجمع بشري، استلزم الحد من هذه التجمعات، عبر تطبيق التباعد الاجتماعي على نطاق واسع، وهو ما يتعارض مع العمل الثقافي ويحوله إلى عمل بلا جدوى.

من حسن الحظ لم يعجز التطور العلمي والتقني عن ابتكار الحلول الجذرية لما يصادف الانسان من معضلات في مسيرة حياته، فعلى سبيل المثال مثلت مشكلة المواصلات هاجساً كبيراً أمام التواصل الإنساني الذي يتطلبه التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، وكان على الانسان التفكير في ابتكار وسائل أسرع وأكثر كفاءة من مجرد السير على القدمين أو ركوب الدواب. بمرور الزمن تمكن الانسان من حل هذه المعضلة جذريا، حتى بات الانتقال من أي بقعة على وجه الأرض إلى أبعد بقعة أخرى لا يتطلب من الزمن أكثر من يوم واحد، وهو الزمن الذي كان الإنسان في يوم ما يستهلكه في الانتقال من قرية إلى قرية أخرى .

أما وسائل الاتصال فقد حولت المسافات الجغرافية إلى مسافات صفرية، بحيث يستطيع المرء أن يتبادل الحديث مع أي شخص آخر في أي ركن قصي من أركان الكرة الأرضية في التو واللحظة. وسائل الاتصال لا تنقل الصوت وحده، بل أصبحت متعددة الوسائط، وهذا يعني أن بامكانها نقل الصوت، والصورة الثابتة والمتحركة، والنصوص المكتوبة، والأشكال والرموز المرسومة في الزمن الحقيقي، وهو زمن حدوثها وحسب وتيرة ذلك الحدوث.

تقنية المؤتمرات الافتراضية

تشكل تقنية المؤتمرات الافتراضية، أو المؤتمرات عن بعد teleconference إحدى نتائج التطور الهائل في تقنية الاتصالات والمعلوماتية، وتتمثل في توفر قنوات اتصال ذات سعات رقمية كبيرة بحد أدنى قدره 20 ميغابت في الثانية، وقد تصل إلى 100 ميغابت، فكلما كانت سعة قناة الاتصال كبيرة كلما كانت جودة المادة المرسلة عالية.

في نقطة الارسال يجب توفير آلات تصوير متحرك عالية الدقة، ويقصد بالدقة عدد نقاط الصورة (عناصر الصورة) في الوحدة المساحية المربعة، مثلا 20 ميغا بكسل في البوصة المربعة، أي 20 مليون نقطة في البوصة المربعة من الصورة. ويجب ألا يقل عدد الاطارات (الصور الثابتة التي تشكل الشريط المتحرك) عن 50 إطار في الثانية، وكلما كان عدد الاطارات أعلى كلما قلل ذلك من ظاهرة الرمش .flicker كما يجب توفر معدات معالجة البيانات (الصور)، وإعدادها في النسق القياسي المطلوب للارسال وتحميلها على قنوات الارسال.

في نقطة الاستقبال لابد من توفر معدات استقبال البيانات في نسق الارسال، وهي عادة حواسيب ذات قدرات عالية، مركب عليها البرمجيات المناسبة التي تتعامل مع البيانات، وتعيد تركيبها في نسقها الأول الذي كانت عليه قبل الإرسال، وتسلمها إلى جهاز العرض الذي يمكن أن يكون مسلاط يسلطها على جدار أبيض، أو شاشة عرض كبيرة.

تقنية المؤتمرات الافتراضية غالية التكاليف لأنها تتطلب قنوات اتصال مخصصة لها وحدها، عادة تكون عبر الأقمار الاصطناعية. من حسن الحظ أن هذه التقنية يمكن الاستعاضة عنها بما يتوفر على الانترنت من امكانيات ارسال واستقبال وعرض، رغم أن بطء الانترنت أحيانا يشكل عامل ازعاج للمتلقي. ومع ذلك يمكن الاستعانة بها لرخص التكاليف، وعندما يكون جمهور المتلقين واسع

الانتشار المكاني، والحدث يتطلب وقتا طويلا نسبيا.

من منظور تقنية المؤتمرات الافتراضية على الانترنت يمكن تصنيف النشاطات الثقافية إلى فئتين:

فئة المعروضات الساكنة: وتشمل كل النشاطات التي محورها المادة المعروضة الملموسة كالكتب في معارض الكتب، واللوحات الفنية في معارض الفن التشكيلي، وقطع التراث والصناعات التقليدية في معارض التراث الشعبي، والتحف واللقى في المتاحف. في كل هذه النشاطات يتم تجهيز صور ثابتة عالية الجودة، ومقاطع متحركة للمادة المعروضة، وارفاقها بنص وصفي مكتوب، ومقاطع صوتية، ثم تحميلها على برمجيات موقع الانترنت المخصص للنشاط الثقافي. لا يحتاج جمهور المتلقين إلى أكثر من الدخول إلى الموقع المحدد واستعراض المادة المطلوبة، مع امكانية توفير التفاعل بين الموقع والمتلقين عن طريق استقبال تعليقاتهم المكتوبة والمسموعة .

فئة المعروضات النشطة: وتشمل العمل الأدائي النشط؛ كالعروض المسرحية، والمهرجانات الموسيقية، والندوات الشعرية، والمحاضرات التثقيفية، وفيها يتم نقل الحدث عبر عدسات التصوير المرئي مباشرة، مع مراعاة الاخراج الجيد وتحميله على الانترنت، وعند نقاط الاستقبال يستقبل المتلقي بثا مرئيا مشابها للبث التلفزي، مع فارق التفاعل، حيث تتوفر لكل متلقي فرصة التفاعل مع الحدث وإبداء الرأي عبر آلة التصوير المثبتة في جهاز حاسوبه. إعطاء الفرصة للمتلقين وتنسيق مداخلاتهم يتم عن طريق شخص يسمى المنسق moderator، الذي يوزع المداخلات ويحدد ما تحتاجه من وقت على جهاز حاسوب عند نقطة الارسال، مثلما يمارس المخرج عمله في إخراج البث المباشر. لتوضيح الفكرة أكثر دعونا نأخذ مثالا عن كل فئة.

المعرض الافتراضي للأعمال الفنية: وفيه يتم حجز موقع على الإنترنت بأسم المعرض (مع اختيار الإسم المناسب)، وإنشاء واجهة الموقع عن طريق متخصصين في تصميم المواقع. تجمع كل اللوحات الفنية المشاركة في المعرض في وقت مبكر، ويتم تصويرها تصويرا ثابتا عالي الجودة وإعداد نص وصفي مكتوب وآخر صوتي لكل لوحة، مع امكانية إضافة مقطع مرئي أو مؤثرات مرئية وصوتية لجعل العمل أكثر جاذبية. تخزن كل اللوحات مع المادة الوصفية المرفقة في

قاعدة بيانات مرتبطة ببرمجيات واجهة موقع المعرض. تحّمل صفحة الموقع بمحتوياتها على الإنترنت، وتصبح بذلك جاهزة للتعامل مع المتلقين. وكما هو الحال في المعارض الحية يتم الاعلان عن المعرض الافتراضي، ويحبذ أن يتم توزيع عنوانه الانترنتي، أو الرابط المؤدي إليه .

عبر إدخال رابط المعرض الافتراضي، أو البحث عنه بمحركات البحث يستطيع المتلقي الوصول إلى موقع المعرض، واستعراض ما يحتويه من لوحات فنية، مع امكانية قراءة المادة الوصفية المكتوبة والاستماع إلى المادة الوصفية الصوتية ومشاهدة المقطع المرئي المرفق. عادة تمكن قاعدة البيانات المرتبطة بواجهة الموقع من استعراض اللوحات الفنية حسب إسم الرسام، أو حسب العمر الزمني للوحة، أو حسب مواصفات أخرى (تشكيلية، سريالية، تكعيبية.. إلخ). يوفر الموقع امكانية ادراج تعلىقات المتلقي، أو اتصاله عبر البريد الإلكتروني أو البريد الصوتي المباشر.

الندوة الافتراضية للشعر: هنا تختلف واجهة صفحة الموقع في أنها تركز على تحميل الصورة المتحركة مع الصوت أكثر من اهتمامها بالصورة الثابتة وقواعد البيانات المصاحبة والمؤثرات الجمالية. إذا افترضنا أن الشعر سيلقيه شخص واحد فيجب أن يتواجد المعني في مكان حسن الإضاءة لكي يكون التصوير المرئي عالي الجودة. مخرجات آلات التصوير مرتبطة بالحاسوب الذي عبر برمجيات اختيار المشاهد المتحركة يتمكن المنسق من تحميل الصورة الحية الأنسب مرفقة بالصوت إلى الانترنت فيما يشبه عمل المخرج التلفزي، مع الاهتمام بتغيير زوايا التصوير ومعدلات التقريب والتبعيد منعا للرتابة والملل .

في الجانب الآخر يقوم المتلقي بالدخول إلى موقع الندوة الافتراضية، عن طريق البحث في محركات البحث أو ادراج إسم الموقع في المتصفح، كما هو الحال في الحالة السابقة. ومن واجهتها يستطيع الدخول إلى فعاليات الندوة الافتراضية، حيث تظهر صورة الشاعر مع صوته فيما يشبه النقل التلفزي الحي، في ذات الوقت يمكن للمنسق ادراج صور حية لبعض المتلقين حسب ما تسمح به سعة الشاشة على أحد جوانبها. في فترة المداخلات تظهر الشاشة، تبادليا أو في نفس الحين، المتدخل والشاعر حسب سير النقاش، في زمن يحدده المنسق لكل منهما.

تقنية المؤتمرات الافتراضية لها إيجابياتها، كما أن لها سلبياتها أيضا. إيجابياتها، إضافة للحد من انتشار الجائحة، تتمثل في توفير تكاليف السفر والاقامة والاعاشة

وإيجارات القاعات الكبيرة وما إليها، والتقليل من زمن الإعداد والتحضير، وتوفير زمن انتقال المشاركين إلى مكان الحدث، وعدم الحاجة إلى التأشيرات. أما سلبياتها فلعل أهمها أجواء الانعزال وعدم الاختلاط بالآخرين والتفاعل عن قرب معهم، وظاهرة الملل من مشاهدة الشاشات قياسا بالأحداث الحية.

مع كل ذلك تبقى الإيجابيات أكبر من السلبيات إذا أخذنا في الاعتبار أن التجمعات البشرية أصبحت السبب الأول في انتشار جائحة كورونا.

الثقافة ما بعد جائحة كورونا

خالد خميس السّحاتي

مُقدِّمة

دفع ظُهُورُ فيروس كورونا المُستجد (كوفيد 19) (Corona Virus) في نهاية العام الماضي(2019م)، في مدينة ووهان بجُمهُوريَّة الصِّين الشَّعبيَّة، وانتشاره السَّريع والمُخيف، وتسبُّبهُ في إصابة أكثر من خمسة ملايين مُصابٍ حول العالم، ووفاة أكثر من ثلاثمائة ألف شخصٍ في دُولٍ عدَّةٍ، مُعظمُها من الدُّول المُتقدِّمة صناعيّاً (وعلى رأسها الولايات المُتحدة الأمريكية وإيطاليا وفرنسا وإسبانيا وبريطانيا..)، مُنظَّمة الصِّحَّة العالميَّة (who) إلى أنْ تُصنِّفهُ في الحادي عشر من شهر مارس الماضي 2020م، بأنَّهُ: "جائحةٌ عالميَّةٌ"1. أي: وباءٌ ينتشرُ في جميع بُلدان العالم، بل هُو سريعُ الانتشار، مُعْدٍ، وقاتلٌ أحياناً2 .

وبالتالي، يُمكنُ القولُ أنَّ: ما بعد وباء كورونا (Corona Pandemic) ليس كما قبلهُ، في الطبِّ، في علم الفيروسات، في الصيدلة، في الاقتصاد، والسِّياسة والفلسفة، وفي الإنسانيَّة برُمَّتها، إنَّها "الثَّورةُ الشَّاملةُ". ولحظة التَّأمُّل في الذَّات والطبيعة.. وقد كشف تفشي فيروس كورونا الجديد عن نقاط ضعف في الاستجابة العالمية لتفشي الفيروسات، في ظل تزايد الإصابات المؤكدة بالفيروس، إلى جانب حالات الوفاة3. فضلا عن أنه أظهر ضعف البنى الصحية في بعض الدول الغنية المتقدمة، بالإضافة إلى انكشاف الهياكل الديموغرافية السكانية في مجتمعات غربية، إذا علمنا أن غالبية الوفيات تتركز في الفئة العمرية لكبار السن، وهو ما قد يفسر نسبيا تقلص الإصابات والوفيات في مجتمعات ذات بنى شابة، خاصة في أفريقيا جنوب الصحراء. ولا ننسى التداعيات السلبية للوباء على الاقتصاد العالمي، والتي يقدرها الخبراء بأنها ستفوق الأزمة المالية العالمية في عام 2008م .

وعلى الرغم من أنه لا يعرف بعد حدود التغيرات المتوقعة في عالم ما بعد كورونا، لكون الأزمة لا تزال آخذة في التشكل، في ظل عدم وجود دواء أو لقاح فعال يعيد الحياة لوتيرتها الطبيعية، فإن التفاعلات الدولية، خلال النصف الأول من عام 2020م، أفصحت عن اتجاهات أساسية، بعضها يبدُو "كاشفاً" لمساراتٍ سابقةٍ قبل الوباء، والآخر "مُنشئاً" بسبب طبيعة وأنماط استجابات الدُّول والمُجتمعات للأزمة، وهُو ما يدفعُ على الأرجح إلى إعادة النَّظر في العديد من المفاهيم والظَّواهر السِّياسيَّة في العلاقات الدَّوليَّة، كقُوَّة الدَّولة، والعولمة، والتَّحالُفات الدَّوليَّة، والأمن الدَّوليِّ، والصِّراعات، والمُؤسَّسات الدَّوليَّة، وأدوار الدَّولة وعلاقاتها مع المُجتمعات4 .

بالإضافة إلى ذلك فإنه يمكن القول أن جائحة كورونا –كما قيل عن أمراض فيروسية أخرى-هي قضية بالنسبة للعلوم الاجتماعية، فالفيروسات هي عوامل (مساعدة) مشاركة في منظومة الفعل متعدد الجوانب.. ومن وجهة نظر علم الأوبئة فإن المرض ظاهرة اجتماعية متأصلة.. وقد صنف ميشيل فوكو (2004) ثلاث تكنولوجيات لمراقبة الأمراض التي ظهرت متعاقبة في أوروبا الحديثة، وهي: النبذ(ostracism) ، والحجر الصحي(quarantine) ، والتطعيم ..(Vaccination) ولم يكن قصده أن يمثل تصنيفا جامعا مانعا، بل يقصد أن المرض الذي يتعلق بالمجتمع من خلال التكنولوجيات المستخدمة لمراقبته، والحد منه، والمتأثرة بنظريات سائدة عن العدوى ولكن دون أن تحددها.. وكل هذه القضايا بما فيها المداخل أو المناهج الأكثر نظرية لعلم الأوبئة تقع تماما في نطاق العلوم الاجتماعية5 .

وكان منْ أهمِّ تداعيات هذه الجائحة العالميَّة الحاليَّة، التي نشبتْ أظفارها في جَسَدِ المَعْمُورَةِ، هي فرضُ نظريَّة "التَّباعُد الاجتماعيِّ"، التي أرغم الجميع على تطبيقها طوعاً أو كرهاً، وقد استدعى العمل بهذه النَّظريَّة تفكيك احتشاد الناس في الأماكن المُختلفة، (وعدم إقامة الفعاليَّات الثَّقافيَّة أو الإبداعيَّة أو العلميَّة..)، وعدم السماح بأي تجمع تحت أي عُنوان6 .

إننا على ما يبدو نعيش في: "مجتمع المخاطر العالمي"، حسب تعبير السوسيولوجي الألماني أولريش بيك (1944-2015)7، وفي: زمن المابعديات الأربعة الكبرى المتزامنة، التي تحدث عنها عدد من الخبراء والمفكرين، والتي أثرت على حياة الناس وعلى وعيهم تجاه

القضايا الاستراتيجية والسياسية..، وهي: نهاية الأيديولوجية، نهاية الديمقراطية، ما بعد الحقيقة، وما بعد الإنسانية8 .

ضمن المُعطيات سالفة الذكر تُناقشُ هذه الورقة موضُوع "الثقافة ما بعد جائحة كورونا"، وذلك ضمن المحاور الأساسيَّة التَّالية :

أوّلاً: مفهُومُ وخصائصُ الثَّقَافَةِ.

ثانياً: تعريفُ فيروس كورونا وأبرز آثاره على المُجتمع العالميّ .

ثالثا: الثقافة في زمن الكورونا: حُدُودُ التأثير والتأثُّر .

أوّلاً: مفهُـومُ وخصائصُ الثّقافة :

إنَّ مفهُوم الثقافة -كما يرى دنيس كوش أستاذُ الأثنولوجيا في جامعة السوربون- هُو "منْ صُلْبِ تفكير العلُوم الاجتماعيَّة، إنَّهُ ضرُوريٌّ لها، بصُورةٍ ما؛ للتَّفْكِيرِ في وحدة الإنسانيَّة، ضمن التَّنوُّع. فالإنسانُ، جَوْهَرِيّاً كَائِنٌ ثَقَافِيٌّ. ولقد تمثَّلتْ أساسيّاً صيرُورة الأنسنة التي انطلقت مُنذُ ما يُناهزُ الخمسة عشر مليُون سنةٍ في المُرُور منْ تأقلُمٍ وراثيٍّ مع المُحيط الطَّبيعيّ إلى تأقْلُمٍ ثقافيٍّ"9 .

وفي مُستهلِّ حَدِيثِهِ عَن مَعْنَى (الثقافة) يقُولُ طوني بينيت (أستاذ علم الاجتماع في الجامعة المفتُوحة بأستراليا): "يشيع الآن قدر كبير من التردد حول قيمة كلمة ثقافة".. وكان رايموند وليامز يشير إلى أن صعوبة هذه الكلمة تتحدى مهام التحليل العادي. ويتبنى آدم كوبر الرأي نفسه إلى حد كبير. وهو يرى أن الكلمة أفرط في استعمالها حتى صار من الأفضل تقطيعها إلى أجزائها المكونة لها، والحديث عن كل منها على حدة، كالمعتقدات، والأفكار، والفنون، والتقاليد، بدلا من توقع العثور على مجموعة من السمات المشتركة تجمع هذه المكونات معا كجزء من حقل الثقافة الأشمل. مع ذلك ربما يقر إجماع الرأي مع جيمس كليفورد حين يقول: "إن الثقافة هي فكرة تتعرض للشبهات بعمق، لكن المرء لا يستطيع أن يعمل من دونها10.

والمُلاحظُ أنَّ "الثقافة" –كما يشير محمد شوقي الزين- سواءٌ في الإغريقيَّة أو اللاتينيَّة أو العربيَّة، لمْ يكُن لها وُجُودٌ كَاسْمٍ، وَلَكِنْ كَرَسْمٍ، الثقافةُ في اللسان الغربيِّ، (Culture, Kultur)، هي حديثةُ العَهْدِ، ظَهَرَت بظُهُور العلوم الإنسانيَّة ذاتها، ثُمَّ وَجَدَت تنظيراً مُكثفاً وصارماً بنُمُوِّ العلُوم الأنثروبولوجيَّة والتَّاريخيَّة، وتطوُّرها ابتداءً من القرن التَّاسع عشر. أمَّا قَبْلَ ذَلِكَ، لَمْ تَكُن الثَّقافة سوى مجمُوعةٍ من المعارف في غاياتها العمليَّة، وليست النَّظريَّة؛ لأنَّ

الأبعاد النَّظريَّة كانت تختصُّ بها الفلسفة، لأنَّ منْ خاصيَّة الثقافة في اشتقاقاتها العريقة أنَّها كانت ترتبطُ بالصِّناعة عند الإغريق، وبالفلاحة في السِّياق اللاتينيِّ، وبالحَرْبِ في التَّاريخ العربيِّ الإسْلاَمِيِّ11 .

ورُغم أنَّ كلمة "ثقافة" مُترجمةٌ عن كلمة (Culture)فإنَّهُ يُمكنُ للباحث العربيِّ أنْ يجد لها أصلاً في معاجم اللغة العربيَّة12. حَيْثُ تُعَرَّفُ الثقافةُ في لُغتنا العربيَّة كما يلي: "ثَقُفَ: ثَقْفاً، وثَقَفاً، وَثَقَافَةً: صَارَ حَاذِقاً خَفِيفاً فَطِناً، فهُو: ثَقْفٌ وَثَقِفٌ"13. و"ثقف العلم والصناعة: حذقهما، وثقف الشيء: أقام المُعوجَّ مِنْهُ وَسَوَّاهُ، وثَاقَفَهُ، مُثَاقَفَة وثقافاً: جَالَدَهُ بِالسِّلاَحِ، وَلاَعَبَهُ إظْهَاراً لِلْمَهَارَةِ وَالحَذقِ. وَالثِّقَافُ: أَدَاةٌ مِنْ خَشَبٍ أو حَدِيدٍ تُثقَّفُ بها الرِّماحُ لتستوي وتعتدل. جَمْعُهَا: أثقفةٌ وثُقُفٌ. وثقف الإنْسَانَ: أدَّبَهُ وهذَّبَهُ وَعَلَّمَهُ. والثقافة: العلُومُ والمعارفُ والفُنُونُ التي يُطْلَبُ الحَذقُ فِيهَا"14 .

وتُشيرُ مُفردةُ ثقافة في أصلها الاشتقاقيِّ في اللغة العربية إلى كثيرٍ من تلك المعاني، فهي تدُلُّ على تثقيف الرُّمْحِ: بمعنى تشذيبه وتطويره، وثقف الشيء: أدركه، وثاقفه بالسلاح: لاعبه به. أما معاني التثقيف والتربية والتأديب فهي معانٍ مجازيَّة مُتأخِّرةٌ15 .

وقد تعدَّدت تعريفاتُ الثقافة لدى العُلماء والمُفكِّرين بحيثُ زادت حسب إحدى المصادر عن مائة تعريفٍ، وأصبح لها تعريفاتٌ مُتعدِّدةٌ لدى عُلماء النَّفس والاجتماع والأدب والتَّربية، ولكنَّ الثقافة كما هُو شائعٌ وسائدٌ بين النَّاس هُو لفظٌ يُرادُ به في الاستعمال الأخذُ منْ كُلِّ علمٍ بطرفٍ، ولا يُرادُ به التَّعمُّقُ في دراسة علمٍ من العلُوم، ولذلك يُقالُ: "تعلَّمْ شيئاً عَنْ كُلِّ شَيْءٍ لتكُون مُثقفاً، وتعلَّمْ كُلَّ شَيْءٍ عَنِ الشَّيْءِ لِتَكُونَ عَالِماً"16 .

وانطلاقاً من نهاية القرن الثامن عشر، أصبحت كلمة "ثقافة" تدُلُّ على حالة الشَّخص المُتعلِّم القادر على استعمال معرفته في تهذيب ذوقه، وتسديد حكمه، وترفيه عيشه. وبهذا المعنى أصبح للثقافة أبعادٌ تتجاوزُ حُدُود المعرفة؛ لأنَّها فرضت غنًى ذهنيّاً وخُلُقيّاً يبقى أثرُهُ في شخصيَّة المرء وإن نسي الكثير من معارفه17 .

ولذلك يُعرِّفُ كثيرٌ من الباحثين الثقافة بأنَّها: "كُلُّ شيءٍ لا يُنْسَى، بمعنى أنَّها منظُومةُ مفاهيم وتصوُّرات، وقيم وأفكار، تجاه الكون والعالم والحياة، وتجاه الذات والآخر، التي تُشكِّلُ بمجمُوعها (وعي) البشر وتصوُّراتهم، وتُحدِّدُ اتِّجاه ذاك (الوعي)، أكان باتِّجاه التَّقدُّم والأنسنة، أم كان باتِّجاه المُحافظة على الثوابت، والرُّكُود في الحركة"18 .

أمّا التّعريفُ الشُّموليُّ حسب بعض الدِّراسات يُعرِّفُ الثقافة بأنَّها: "عِبَارَةٌ عَن مَنْظُومَةٍ مُتَكَامِلَةٍ لِكُلِّ الأَفْكَارِ وَالمُثُل والقيم والمُعتقدات والعادات والمهارات وطُرُق التَّفكير، وأساليب الحياة والتُّراث ووسائل الاتِّصال". كما أنَّ جُزءًا من المُفكِّرين والمُثقفين أعطوا مفهُوماً أشمل للثقافة مُعتبرين إيَّاها "سيرُورة الإنسان في نُمُوِّه وتحوُّله وتوسُّعه وازدهاره عبر الخلق والإنتاج في جميع المجالات ومُختلف القطاعات، والتي ينطوي تحت لوائها العقائدُ والطُّقُوس، القيم والقواعد، النُّظُم والمُؤسَّسات، الآداب والفُنُون، العلُوم، والفلسفات، فضلاً عن الأدوات والوسائط والوسائل والتقنيات، وبهذا المعنى الواسع لا تنتجُ فئة من الناس الثقافة لأنَّ منْ يصنع أداة أو يزرع حقلاً هُو بالفِعْلِ يُمارسُ نشاطاً ثقافياً يقعُ في صميم عالم الثقافة بقدر ما يُساهمُ في تشكيل عالم الإنسان". ورغم كُلِّ التَّعريفات السَّابقة لمفهُوم الثقافة ورُغْمَ كُلِّ ما تمَّت إثَارَتُهُ حَوْلَ الثَّقافة وعلاقتها بِالفَرْدِ والأمَّة والوطن والمُجتمع، فالموضُوعُ يحتملُ تفاصيل أوسع ودراسة مُعمَّقة وتحليلات مُتشعِّبة للوُصُول إلى معرفة العوامل الحقيقيَّة والأسباب المُكوِّنة لهذا المفهُوم الكَبِير19 .

وَنَظَراً لِتَعَدُّدِ وَتَنَوُّعِ تَعْرِيفَاتِ الثقافة بِشَكْلٍ يَصْعُبُ حَصْرُهُ فَقَدْ آثَرَ بَعْضُ البَاحِثِينَ أنْ يُرَكِّزُوا عَلَى اتِّجَاهَيْنِ وَاضِحَيْنِ فِي تِلْكَ التَّعْرِيفَاتِ، وإنْ كَانَ بَيْنَهُمَا تَنَافُسٌ، ينظُرُ أحدُهُما: للثَّقافة على أنَّها تتكوَّنُ من القيم والمُعتقدات والمعايير والرُّمُوز والأيديُولوجيَّات وغيرها من المُنتجات العقليَّة. أمَّا الاتِّجَاهُ الآخَرُ: فَيَرْبِطُ الثقافة بِنَمَطِ الحَيَاةِ الكُلِّيِّ لمُجْتَمَعٍ ما، والعلاقات التي تربطُ بين أفراده، وتوجُّهات هؤلاء الأفراد في حياتهم.20

***خصائصُ الثَّقافة (Culture Traitsm) :**

يرى بعض الباحثين أن: هناك سمات أو خصائص مشتركة في جميع الثقافات، على اختلاف أنواعها، ومستوياتها، وهذه الخصائص هي كل متشابك في كيان الثقافة ونمطها العام، ومنها: التكامل الثقافي، والتراكم الثقافي، والانتشار الثقافي، وديناميكية الثقافة وجمودها21.

ومنْ أهمِّ خصائص الثقافة التي يُمكنُ اشتقاقُها من تعريفاتها، ما يلي22 :

1- الاستقلاليَّة: حيثُ أنَّها مُستقلَّة عن الأفراد الذين يحملُونها، ويُمارسُونها في حياتهم اليوميَّة.

2- الاستمراريَّة: كون الثقافة نابعة من التراث الاجتماعي الموروث من الأجيال السابقة .

3- التعقيدُ: حيثُ أنَّ الثقافة شاملة لعددٍ كبيرٍ من الثقافات والعناصر .

4- إنسانيَّة: إذْ ينفردُ الإنسان عن سائر المخلُوقات بقُدرته على صُنع الثقافة، والمُحافظة على استمرارها و إثرائها.

5- اجتماعيَّة مُتعلَّمة: فهي تنشأ عن طريق الاتصال والتفاعُل بين الأفراد في المُجتمع .

6- مُتنوِّعةُ المضمُون ومُتشابهةُ الشَّكْلِ: إذْ يصِلُ الاختلافُ في مضمُونها إلى حدِّ التَّناقُض .

ويُحدِّدُ بعضُ عُلماء علم الاجتماع خصائص الثقافة، التي تُكمِّلُ إحداها الأُخْرَى، وتكُونُ مُتداخلةً فيما بَيْنَهَا، وليست مُنفصلة، وتتمثلُ هذه الخصائص في الآتي23 :

1- إنسانيَّة: أيْ أنَّها خاصَّةٌ بالإنسان؛ فهو الوحيدُ القادرُ على بناء ثقافة خاصة به، ومنْ ثمَّ فهُو الوحيدُ القادر على الاختراع والابتكار من أجل اشباع حاجاته، بفضل ما لديه من قُدراتٍ عقليَّةٍ مُتفوِّقةٍ تجعلُهُ يتكيَّفُ مع الظُّرُوف البيئيَّة التي يعيشُ فيها.

2-مُكتسبةٌ: أيْ أنَّ الثقافة سُلُوكٌ يتعلَّمُهُ الأفراد وينقُلُونهُ منْ جيلٍ لآخر، فالإنسانُ يبدأ ثقافته من العدم، وإنَّما يبنيها من النُّقطة التي انتهت إليها الأجيالُ السَّابقةُ، حيثُ يكْتَسِبُها منْ ولادته إلى وفاته، وبهذا تكُونُ تُراثاً اجتماعيّاً، فهي مُكتسبةٌ من البيئة وليست حصيلة وراثيَّة.

3-قابلة للانتقال: تمتازُ الثَّقافةُ بقابليَّتها للانتقال والانتشار من الأجيال السَّابقة إلى الأجيال المُعاصرة واللاحقة، سواءٌ في مُجتمعه أو في غيره من المُجتمعات .

4– اجتماعيَّة: تمتازُ الثقافة بأنَّها عمليَّةٌ تتمُّ في مُجتمعٍ، وتُمارسُ في أوساطٍ اجتماعيَّةٍ منْ قِبَلِ أفراد جماعةٍ مُعيَّنةٍ؛ نظراً لكَوْنِهَا تُراثاً اجتماعيّاً، وليس وراثة بيُولوجيَّة، وهي تُوفِّرُ نوعاً من التَّوافُق والوحدة والانسجام في الأفكار والمشاعر بين الأفراد.

5-مُشبعةٌ لحاجات الإنسان: فمنْ خَصَائِصِهَا أنَّهَا تُشْبِعُ حَاجَاتِ الفَرْدِ البيُولوجيَّة والنَّفسيَّة؛ فَهِيَ تُحَدِّدُ لِلأَفْرَادِ أنْمَاطَ حَيَاتِهِمْ، وطُرُقَ تفكيرهم وعاداتهم وتقاليدهم، والسِّمات العامَّة التي تُميِّزُهُمْ عن الأفراد الآخرين في المُجتمعات الأُخْرَى.

6– مُتطوِّرةٌ ومُتغيِّرةٌ: تمتازُ الثقافةُ بأنَّها مُتطوِّرةٌ ومُتغيِّرةٌ، فهي ناميةٌ باستمرارٍ،

ومُتغيِّرةٌ على الدَّوام، سواءٌ في عُموميَّتها أو في خُصوصيَّتها؛ وذلك نتيجةً للبدائل أو المُتغيِّرات التي تدْخُلُهَا، لاسيما أذا أثبتت قُدرتها على إشباع حاجات الأفراد.

7-مُتكاملةٌ: تمتازُ الثقافةُ بوُجود قدرٍ من التَّكامُل والانسجام بين عناصرها المعرُوفة، فالثقافةُ كُلٌّ عُضْوِيٌّ مُتشابكٌ ومُتداخلُ الأفكار والأعمال، يُكمِّلُ كُلٌّ منها الآخرُ، إذْ لا يُمكنُ فَصْلُ ما هُو ماديٌّ عمَّا هُو مَعْنَوِيٌّ ، فالنِّظامُ الاقتصاديُّ والسِّياسيُّ والعائليُّ والدِّينيُّ كُلُّها مُتكاملةٌ، بحيثُ إذا انعدم هذا التَّكامُلُ سبَّب اضطراباً للفَـرْدِ، وفقد المُجْتَمَعُ وحْدَتَهُ وتَمَاسُكَهُ.

ثانياً: تعريفُ فيروس كورونا وأبرز آثاره على المُجتمع العالميِّ :

في البداية تجدُرُ الإشارةُ إلى أنَّ أزمات الأوبئة هي: "مرحلةٌ مُتقدِّمةٌ من انتشار المرض السَّريع بين مجمُوعاتٍ من البشر، ثُمَّ بين الدُّول. وقد عرف المُجتمع الدَّولي عدَّة موجاتٍ من انتشار الأوبئة كالإنفلونزا الإسبانية، والإيبولا، وزيكا". وتظل أزمة وباء (كوفيد-19) كورونا الأزمة الأكثر حدة خلال قرن، حتى أن الدراسات قد ذهبت إلى أبعد من ذلك، حيث اعتبرت أن جائحة كورونا هي الأزمة الأعنفُ في التاريخ الحديث للبشريَّة24. فتفشِّي الأوبئةُ وانتشارُ الذُّعْرِ الذي يعيشُهُ العالمُ الآنَ، ما هُو إلاَّ نتاجٌ طبيعيٌّ لتدخُّل الإنسان السَّافر في انتهاك النُّظم الأيكُولُوجيَّة، وتدمير التَّنوُّع البيُولُوجيِّ، واستغلال الحيوانات البرِّيَّة الحيَّة والميِّتة، ممَّا أدَّى إلى إزالة الحاجز الطبيعيِّ الحائل بين حياة الحيوانات البرِّيَّة، حيثُ قام الإنسانُ بإزالة الغابات وحَرْقِهَا، وزيادة حرق الوقُود الأحفُوريِّ، وارتفاع درجات حرارة الكون، وتغيُّر المناخ، وزيادة الانبعاثات، وتلوُّث الهواء والماء والتُّربة، وعدم الاهتمام بالسَّلامة البيئيَّة لمياه الشُّرب والصَّرف الصِّحيِّ..، كُلُّ ذلك أدَّى إلى ظُهُور الجوائح والأمراض الخطيرة مثل: الإيبولا، وسارس، وكوفيد-19. وغيرها25 .

وفيروسات كورونا -حسب تعريف مُنظَّمة الصِّحَّة العالميَّة- هي سُلالةٌ واسعةٌ من الفيروسات التي قد تسبِّب المرض للحيوان والإنسان. ومن المعرُوف أنَّ عدداً من فيرُوسات كورونا تسبِّب لدى البشر أمراضٌ تنفُّسيَّةٌ تتراوحُ حدَّتها من نزلات البرد الشَّائعة إلى الأمراض الأشد وخامة مثل مُتلازمة الشَّرق الأوسط التَّنفُّسيَّة (ميرس) والمُتلازمة التَّنفُّسيَّة الحادَّة الوخيمة (سارس). ويُسبِّبُ فيروس كورونا المُكتشفُ مُؤخَّراً مرض (كوفيد-19).

ويُعرَّفُ هذا الأخيرُ -حسب ذات المُنظَّمة سالفة الذِّكْرِ -(who)بأنَّهُ: "مرضٌ مُعْدٍ

يُسبِّبُهُ آخرُ فيروسٍ تمَّ اكتشافُهُ منْ سُلالة فيروسات كورونا. ولمْ يكُن هُناك أيُّ علمٍ بوُجُود هذا الفيروس الجديد ومرضه قبل بدء تفشِّيه في مدينة ووهان الصِّينيَّة في كانون الأول/ ديسمبر 2019. وقد تحوَّل (كوفيد-19) الآن إلى جائحةٍ تُؤثِّرُ على العديد من بُلدان العالم"26 .

وهذا المرضُ سريعُ الانتشار، ويتسبَّبُ في وفاة أعدادٍ كبيرةٍ من المُصابين في كثيرٍ من الدُّول، ممَّا يدُلُّ على خُطُورة هذا الوباء، وقد دعا الأمينُ العامُّ للأمم المُتحدة أنطونيو جوتيريش إلى دعم مُنظمة الصِّحَّة العالميَّة، مُؤكِّداً أنَّ (كوفيد-19) يُعدُّ أخطر التَّحدِّيات التي واجهها العالمُ خلال هذه الفترة، مُضيفاً أنَّهُ: "أزمةٌ بشريَّةٌ، ذات تداعياتٍ صحِّيَّةٍ واقتصاديَّةٍ واجتماعيَّةٍ شديدةٍ"27 .

***التباساتٌ حول تعريف الجائحة:**

يرى (أوريان غيبو) أنَّ: "ثمَّة التباساً حول تعريف "الجائحة" ساد في ربيع عام 2009م. كانت منظمة الصحة العالمية قد تركت على موقعها الإلكترونيِّ وثائق تأخُذُ بالاعتبار معيار خُطُورةٍ هُو عددُ الوفيات والمرضى، قامت بحذفه فيما بعد دُون تفسيرٍ، في حين أنَّ التَّعريف الرَّسميَّ السَّاري للتَّحذير من الجوائح يستندُ فقط إلى معيار توسُّع المرض الجُغرافيِّ"28 .

يقُولُ" :(Peter Doshi) ظلَّ جدلٌ واسعُ النِّطاق يدُورُ طوال عام 2010م، ولاسيما في أوروبا، حول ما إذا كانت مُنظَّمة الصِّحَّة العالميَّة قدْ غيَّرتْ أمْ لم تُغيِّر من تعريفها لجائحة الأنفلونزا في عام 2009، بعد اكتشاف فيروس H1N1 الجديد. البعضُ رأى أنَّ التَّغيير لم يقتصر على التعريف وحسب، بل إنَّهُ هدف إلى تمهيد الطَّريق للإعلان عن الجائحة. ويَدَّعِي البَعْضُ الآخَرُ أنَّ التَّعريف لمْ يتغيَّر على الإطلاق. هذا التأزُّمُ، بجانب مشاعر القلق المُحيطة باحتمال وُجُود تضارُبٍ في المصالح والشُّكُوك حول عدم التَّوازُن النِّسبيِّ في الاستجابة لفاشية أنفلونزا(H1N1) ، قد أدَّى إلى إضعاف ثقة النَّاس في المسؤُولين الصِّحِّيينَ، وإضعاف قُدْرَتِنَا الجماعيَّة على الاستجابة الفعَّالة لتهديدات الأمراض في المُستقبل". إنَّ مُنظَّمة الصِّحَّة العالميَّة لمْ تُقدِمْ عَلَى تَغيير تعريفها لجائحة الأنفلونزا آنذاك لسببٍ بسيطٍ، وهُو أنَّها لمْ تُعرِّفْ رسميّاً (جائحة الأنفلونزا)، مع أنَّ المُنظَّمة قد شرعت في العديد من التَّوصيفات لتلك الجائحة"29. وثمَّة سُؤالٌ هُنا: ما مَعْنَى رفع درجة الجائحة إلى الدرجة 6؟. هذا الإجراءُ يعني أنَّ العالم أصبح في وَضْعٍ استثنائيٍّ وطارئٍ وكارثيٍّ، يُخوِّلُ للدُّول والهيئات والمُنظَّمات اتِّخاذ التَّدابير الكَافِيَةِ لِوَقْفِ الجَائِحَةِ وَالحَدِّ مِن انْتِشَارِهَا30 .

وخُلاصةُ القَوْلِ في تَعْرِيفِ الجَائِحَةِ (Pandemic)أنَّها تحدُثُ عندما ينتشرُ الوباءُ إلى عدَّة بُلدانٍ أو قارَّاتٍ، وعادةً ما يُصابُ عددٌ كبيرٌ من السُّكَّان31 .

ورُغم أنَّ المُجتمع العالمي شهد تطورات مذهلة على كافة المستويات في السنوات الماضية، فيما سُمِّي بـ"قانُون التَّقدُّم"، الذي يعني أنَّ البشريَّة تسيرُ على المُستويات كُلِّها نحو حالةٍ أكثر رُقياً وكمالاً، إلاَّ أنَّ ثمَّة ظواهر سلبيَّة واضحة للعيان، تحدَّث عن بعضها عُلماءُ التَّاريخ العالميِّ، مثل: انتشار الأمراض المُعدية وانتقالات التقنية، وأنماط الهجرة وترسُّخ علاقات التَّبعيَّة الاقتصاديَّة العالميَّة وغيرها32. وقد تحدَّث بعضُ الباحثين في بدايات تسعينيات القرن الماضي عن "التَّقنية الحيويَّة"، وعن حُضُورها القويِّ في حياتنا، وأوَّلُ اندفاعٍ لها حدث في العناية الصِّحِّيَّة، وفي المُستقبل سوف نتمكَّنُ من التَّعرُّف على أولئك الأشخاص المُعرَّضين للإصابة بأمراضٍ مُعيَّنةٍ، وستتوفَّرُ لقاحاتٌ جديدةٌ للعـلاج33 .

وممَّا لاشكَّ فيه أنَّ وباء كورونا سيُسرِّعُ من إطلاق وتبنِّي التَّقنيات الحديثة بالمجال الصِّحِّيِّ، وتطوير الجيل القادم منْ آليَّات التَّشخيص والعلاجات وسُبُل الوقاية، إلى جانب ازدهار ونُموِّ تطبيقات علم الوراثة والواجهات الرَّقمية الحيويَّة والذكاء الاصطناعيِّ، والتي تهدفُ إلى التَّنبُّؤ بالحالات والأمراض وسبل الوقاية منها وعلاجها، كما ستصبح التكنولوجيا الحيوية بعد أزمة كورونا شائعة الاستخدام مثل شيوع الهواتف المحمولة والإنترنت34 .

إن جائحة (كوفيد-2019) -بحسب بعض الخُبراء-: "لا تعرف الحدود، وقد لا ينجو منها أي بلد أو قارة. وتجتاح الجميع دون تمييز. والأرجحُ أنْ يطُول أمدُ هذه الأزمة لشُهُورٍ، ورُبَّما سنواتٍ.. وآثارُها تُعتبرُ كارثيَّةً بالنِّسبة للملايين من البشر، الذين هُمْ على حافة الهَاوِيَةِ، فقد أدَّت عمليَّاتُ الإغلاق والرُّكُود الاقتصاديِّ العالميِّ إلى تدمير مصدر رزق تلك الفئات. لذلك، يتعيَّنُ العملُ بشكلٍ جماعيٍّ للتَّخفيف منْ تأثير هذه الكارثة العالميَّة"35 .

***جائحة كورونا والحُرُوب البيُولوجيَّة الجديدة :**

من ضمن القضايا الحيويَّة التي أصبح البحثُ العلميُّ اليوم مُهتمّاً بها بشكلٍ واضحٍ: الصِّحَّةُ العامَّةُ، وتغيُّرُ المناخ، والتَّنوُّعُ البيُولُوجيُّ36، وتناولت بعض الدراسات ما يُسمَّى بالحرب البيُولُوجيَّة أو الجرثُوميَّة أو الميكرُوبيَّة، وهي الاستخدامُ المُتعمَّدُ للجراثيم أو الميكرُوبات أو الفيرُوسات بهدف نشر الأمراض والأوبئة

الفتّاكة، بما ينجُمُ عنهُ في المُحصِّلة النّهائيَّة حَصْدَ أعدادٍ كبيرةٍ من البشر، وإبادتهم، وإفناء الكائنات، وتدمير الحياة في نطاقٍ مُعيَّنٍ، وهي بذلك تُعدُّ أحد أنواع أسلحة الدَّمار الشَّامل؛ باعتبار السِّلاح البيُولُوجيِّ يُقصدُ به جميعُ الوسائل والمُسبِّبات التي تُستخدمُ لنشر الأمراض والأوبئة في صُفُوف القُوَّات المُعادية للقضاء عليها أو على الأقلِّ التأثير سلبيّاً على كفاءتها القتاليَّة، وبالتالي، سُهُولة إلحاق الهَزيمَةِ بِهَا"37 .

يقُولُ الكاتبُ الأمريكيُّ جيرمي ريفكن (عام 2001) وهُو مُؤلّفُ كتابُ (قرن التَّقنية الحيويَّة: تسخيرُ الجينات وإعادةُ تشكيل العالم): "كُلُّ منْ يتحكَّمُ بالجينات يُمكنُهُ التَّحكُّمُ بالقرن الحادي والعشرين؛ إنَّها بمنزلة أهمِّيَّة النِّفط في القرنين التَّاسع عشر والعشرين، فهي تُعتبرُ الموردُ الخامُ للعَهْدِ القَادِمِ.. سوف نسمعُ في السنوات القليلة القادمة بمُصطلحٍ جديدٍ هُو "التَّلوُّثُ الجينيُّ"، وسوف يكُونُ ملحُوظاً في هذا القرن بصُورةٍ أكبر ممَّا كان عليه التلوث البتروكيماوي أو النووي في القرن العشرين. وسوف يكُونُ شكلُ هذا التلوث مُختلفاً تماماً لأنَّهُ حيٌّ، فهُو يتكاثرُ ويتغيَّرُ ويرتحلُ ويتوالدُ، ولا يُمكنُك أنْ تُعيدهُ إلى المُختبر. وهُناك شركاتٌ مُتخصِّصةٌ بعلُوم الحياة تُنتجُ الآن آلاف العُضويَّات المُصمَّمة في مُختبرات الهندسة الوراثيَّة، وتُطلقُها في البيئة مثل: النباتات وبعض الميكرُوبات والحشرات وغيرهـا"38 .

ويطرحُ بعضُ الخُبراء سُؤالاً مفادُهُ: هل فيروس كورونا من نتاج الطبيعة أم حرب بيولوجية جديدة؟، وتأتي الإجابة بأن: ثمة حقيقة واحدة صعبة يجب عدم إغفالها، وهي القوة المدمرة المحتملة للأسلحة البيولوجية، حيث تنبأ بيل جيتس، المؤسس المشارك لشركة (Microsoft) في حديث لـ (TED)في عام 2015م بأنه: "إذا كان أي شيء يقتل أكثر من عشرة ملايين شخص في العقود القليلة القادمة، فمن المحتمل أن يكون فيروسا شديد العدوى بدلا من الحرب". وحذر من أنها لن تكون صواريخ، ولكن الميكروبات. وفي كلمة أمام الجمعية الأمريكية لتقدم العلوم (AAAS)في سياتل في شهر مارس 2020م قال جيتس: "إن تأثير (COVID-19) يمكن أن يكون دراماتيكيا للغاية، خاصة إذا انتشر إلى مناطق مثل: أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، وجنوب آسيا"39 .

ويشير بعض الأطباء (المستشار الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية للرعاية الصحية الأولية) إلى أن: "جائحة كورونا ستظل في حالة هبوط وصعود، ولن تنتهي قريبا إلا عندما نجد علاجا قويا وفعالا، ووجود تطعيم آمن، وهذا ليس من السهولة

حدوثه مبكرا؛ لأنه مرض سريع الانتشار ومتمحور في خواصه وأعراضه، ومع بداية العام المقبل يحتمل إيجاد أكثر من تطعيم، ولكن هل سيعطى لثمانية مليار نسمة (عدد سكان الكرة الأرضية)، بكل تأكيد لن يتوفر لكل الناس، فكان السبيل الوحيد هو زيادة وعي الشعوب، ورفع المستوى الصحي للدول"40 .(*)

إن هذه الجائحة كما تبين من العرض السابق لها آثار واضحة على مُعظم جوانب الحياة الإنسانيّة، صحّيّاً، وبيئيّاً، وسياسيّاً واقتصاديّاً، واجتماعيّاً، وثقافيّاً، وغَيْرِهَا .

ثالثاً: الثقافة في زمن الكورونا: حـُدُودُ التَّأثير والتَّأثُّر :

إنَّ كارثة كورونا وانتشارها المرعب والغامض في العالم كله، ما هي إلا واحدة من جملة كوارث شهدها التاريخ الإنساني، أطاحت بالملايين من الضحايا.. وبخصوص علاقة الإبداع بها، فإنها تقوم على ترسيخ الرؤية الإبداعية للأشياء، مع تغير الأزمنة والأمكنة41.

وقد كشفت تداعياتُ الأحداث والوقائع التي نتجت عن تفشّي وباء فيروس كورونا مدى حجم الأضرار الجسيمة التي لحقت بالقطاع الثقافيّ بكُلّ مُكوّناته وجوانبه المُتعدِّدة، وامتدَّت النتائجُ والآثارُ السَّلبيَّة والخسائر الباهضة إلى مُختلف القطاعات التَّنمويَّة في عالمنا العربي، كما هُو في جميع أرجاء العالم42 .

كورونا والتباعُدُ الاجتماعيُّ والثقافة الرَّقميَّة :

كما هُو معلُومٌ للجميع فقد أفرزت التَّطوُّراتُ المُعاصرةُ تغيُّرات اجتماعيَّة بارزة، أجبرت الفرد على ترك أو التخلّي عن بعض الأنماط الاجتماعيَّة التقليديَّة، بسبب تغيُّر الظُّرُوف الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة، وتبدُّل الأدوار، والظُّرُوف الحياتيَّة43، كما هو الحال مع انتشار "كورونا"، حيث دعا الأطباء إلى ضرورة "التباعد الاجتماعي" للحد من انتشار المرض. وكما ذكرتُ سلفا فإنه كان منْ أهمّ تداعيات جائحة (كورونا) فرضُ نظريَّة "التَّباعُد الاجتماعيّ"، التي أُرْغِمَ الجميعُ على تطبيقها طوعاً أو كرهاً، وقد استدعى العمل بهذه النَّظريَّة تفكيك احتشاد الناس في الأماكن المُختلفة، وعدم إقامة الفعاليَّات الثَّقافيَّة أو الإبداعيَّة أو غيرهما .

ومُمارساتُ "التباعُد الاجتماعي" هي مجمُوعة من التغييرات في السُّلُوك يُمكنُ أنْ تُساعد في وقف انتشار العدوى. غالباً ما تشمل هذه التغييرات الحد من التواصل الاجتماعي والعمل والذهاب إلى

المدرسة بين الأفراد الذين لا تظهر عليهم أعراض الإصابة، بهدف تأخير انتقال العدوى وتقليل حجم تفشي المرض44. ويُقصد بالتباعُد الاجتماعي الحفاظُ على مسافةٍ أو مساحةٍ بين الأشخاص (تقدر بستة أقدام أو 1.8متر) للمُساعدة على منع انتشار المرض. للمُساعدة على إبطاء انتشار كورونا (COVID-19) وتقليل خطر الإصابة به. 45(*)

هذا التباعد الاجتماعي فرض على الدول عدم إقامة فاعلات أدبية أو ثقافية أو علمية بالشكل المعتاد، من خلال الحضور المباشر، للندوات والمؤتمرات، أو معارض الكتاب والفنون التشكيلية، أو الأمسيات الثقافية والأدبية المختلفة، أو المسرحيات أو السينما أو غيرها.. وكان البديل عن كل ذلك هو إقامة مثل تلك الفاعلات أو البعض منها عبر شبكة الإنترنت (الواقع الافتراضي)، من خلال منصات التفاعل والتواصل الاجتماعي .

"فاستمر العطاء الثقافي زاخرا متدفقا لا ينضب ولا يتوقف، وثبت أن للثقافة ونشر المعرفة وسائلها الجديدة والفعالة في الإنتاج والانتشار والتأثير الاجتماعي الأممي عن بعد، في زمن الأزمات والمحن والأوبئة. وذلك بالاعتماد على الثقافة الرقمية لمواجهة تحديات التباعد، إلى التمكين من التواصل، فنشطت الفعاليات الثقافية عبر المنصات الرقمية الفضائية الافتراضية لإقامة المحاضرات، وعقد الندوات وتنظيم المؤتمرات الكبرى. وأثبت التواصل الرقمي والإعلام الجديد والنشاط المزدهر للتواصل الاجتماعي الهادف بين المثقفين والأدباء وجمهورهم، جدواه ونجاحه في الواقع العملي، وأن الاستثمار التقني في الثقافة والمعرفة الرقمية كان في الاتجاه الصحيح، واستفدنا منه في زمن الكورونا، الذي اعتمد فيه على المكتبات الرقمية والنشر الإلكتروني الفضائي، مما أدى إلى ارتفاع ملحوظ في أنشطة القراءة والبحث والتأليف والنشر عبر الإنتاج الفكري والثقافي والأدبي الرقمي، وفتح بوابات المخزون الضخم الموجود في المكتبات الوطنية والعالمية الكبرى ذات الرصيد الرقمي الكبير من المعلومات ومصادر المعرفة"46 .

بالإضافة إلى ذلك، فإن من أسباب الاقبال المتزايد على معطيات الثقافة الرقمية هو الوقت الطويل الذي كان يمضيه الناس في "الحجر المنزليّ" واسع المدى(*)، والتباعُد الجسديِّ، وإيقاف غالبية الفاعلات ووجوه النشاط الإنساني بعامة التي تعتمدُ على اللقاءات المباشرة بين الأفراد، ووفرة الأوقات خاصَّةً لهُواة القراءة من مُحبِّي الثقافة، والذين كان يستغرقُ بعض وقتهم المُساهماتُ في

الأُمسيات الثقافيَّة، وبصفةٍ عامَّةٍ تجريب بعض النَّاس نشاط مُطالعة الكُتُب كوسيلةٍ لتمضية الوقت وقطعه بالمُفيد بل وفي الأساس بالمُمتع من المُطالعات47 .

تأثيراتُ كورونا الاقتصاديَّة على القطاع الثقافيِّ (عالميّاً):

إنَّ منْ شأن إغلاق المواقع التُّراثيَّة والمتاحف والمسارح ودُور السِّينما والمُؤسَّسات الثَّقافيَّة الأُخْرَى، الإضرارُ بتمويل الصِّناعات الإبداعيَّة، وبالقُدْرَةِ على المُحافظة على أماكن استثنائيَّة، وبسُبُل عيش المُجتمعات المحلِّيَّة، والمهنيين العاملين في قطاع الثقافة. وقد تسبَّبَتْ هذه الجائحةُ في إيقاف مُمارسات التُّراث الثقافيِّ غير الماديِّ، ومنْ ضمنها الطُّقُوسُ والاحتفالاتُ، ممَّا أثَّر سلباً في المُجتمعات المحلِّيَّة في شتَّى أنْحَاءِ العالم، كما أثَّرَتْ في العديد من الأعمال على صعيد العالم48. وضِمْنَ هَذَا الإِطَارِ، سَبَّبَتْ إجراءاتُ الإغلاق العامِّ والحجر الصحِّي آثاراً مُدمِّرةً على إيرادات المُنظَّمات والمُؤسَّسات الثَّقافيَّة التي تعتمدُ في دَخْلِهَا على مبيعات التذاكر. فعلى سبيل المثال بلغ مُتوسِّط خسائر الإيرادات الأسبُوعيَّة المُعلن عَنْهَا في قطاع المتاحف الأورُوبيَّة حوالي 80% أثناء فترة الإغلاق، ما أثَّر بشكلٍ مُباشِرٍ على المُوظَّفين الإداريين والفنَّانين وسائر العاملين في هذه المُؤسَّسات؛ وذلك لأنَّ قطاع الفنِّ والثقافة يتميَّزُ بمُعدَّلٍ عالٍ من العُقُود المُؤقَّتة والعمل الحُرِّ. وانخفض كذلك سُوق الفنِّ التِّجاريِّ العالميِّ بنسبة 5% في عام 2019 مُقارنة بالعام السَّابق، ومن المُتوقَّع أنْ ينخفض أكثر في عام 2020، خُصُوصاً وأنَّ 6 من بين أكبر 10 مُؤسَّسات في العالم تعملُ في هذا المجال تتواجدُ في الصين. توقَّع التُّجَّارُ العاملُون في قطاع الفنِّ في جميع أنحاء العالم انخفاضاً سنويّاً في الإيرادات يتجاوزُ 70%، وفي البُلدان التي يُوجدُ فيها نظامُ إعانةٍ للبطالة في حالات الطَّوارئ الحُكُوميَّة، سُرِّحَ نحو ثُلُثي المُوظَّفين العاملين في هذا القطاع49 .

ولذلك، هبَّتْ مُنظَّماتٌ ثقافيَّةٌ مثل: "الإيسيسكو" و "الألكسو" إلى حثِّ الدُّول على تقديم الدَّعْمِ للثقافة لتتمكَّن المُؤسَّسات الثَّقافيَّة من الاستمرار، والتَّكيُّف مع الأوضاع الجديدة التي أفرزها وباءُ كورونا، ومن ابتكارات البشر أننا بدأنا نرى اللوحات والأفلام ومعارض الكتب والندوات والمتاحف إلكترونيّاً وافتراضيّاً وعن بُعْدٍ، هذه الوسائلُ كانت مُتوفِّرةً ولكنَّ الكورونا حسم أمرها لصالح استخدام الإنسان، وقفز إلى الواجهة، وأصبح عُشَّاقُ الفُنُون والآداب والفكر

يُطلُّونَ على هذه النَّشاطات الثقافيَّة انطلاقًا من حجرهم الصِّحِّيِّ. وهذا ابتكارٌ غيرُ مسبُوقٍ في مُواجهة كورونا50.

الخاتمة :

من خلال العرض السابق نخلص إلى أن جائحة فيروس كورونا كان لها تأثيرات واضحة وبارزة، على كافة شؤون الحياة وقطاعاتها الحيوية، ومن ضمنها "القطاعُ الثقافيُّ"، حيثُ تأثر هذا الأخيرُ منْ جرَّاء هذه الجائحة من عدَّة نواحٍ أبرزُها: أوَّلاً: الجوانبُ الإيجابيَّةُ: ما نتج عن تطبيق العزل أو التباعُد الاجتماعيِّ (في بدايات انتشار الجائحة): من استغلال الناس لأوقاتهم في الإقبال على القراءة من الكتب الإلكترونية في ظل توفر المحتويات الضخمة من المكتبات العربية والعالمية على شبكة المعلومات الدولية(الإنترنت)، وكذلك: تحفيز الكتاب والأدباء والمُفكرين على الاستفادة من الوقت الطويل في تقديم أعمال علمية أو إبداعية أو ثقافية جديدة.. بالإضافة إلى: تبني بعض المؤسسات التعليمية (في التعلم العالي والمتوسط) نظام التعلم عن بُعْدٍ، من خلال منصَّاتٍ إلكترونيَّةٍ مُخصَّصةٍ لهذا الغرض، أو عن طريق بثِّ المُحاضرات عبر الفضائيَّات.

ثانياً: هُناك تأثيراتٌ سلبيَّةٌ: أبرزُها: إغلاقُ المواقع التُّراثيَّة والمتاحف والمسارح ودُور السِّينما والمُؤسَّسات الثَّقافيَّة الأُخْرَى، وما نتج عن ذلك من أضرارٍ بليغةٍ على تمويل الصِّناعات الثقافيَّة .

كما سَبَّبَتْ إجراءاتُ الإغلاق العامِّ والحجر الصحِّي آثاراً مُدمِّرةً على إيرادات المُنظَّمات والمُؤسَّسات الثَّقافيَّة التي تعتمدُ في دَخْلِهَا على مبيعات التذاكر. ولا ننسى هُنا أنَّ مُعظم معارض الكتاب في الوطن العربي (عام 2020م) تمَّ إلغاؤُها، وحتى معرضُ القاهرة الدولي لعام 2021م الذي كان مُقرَّراً أنْ يُقام في أواخر شهر يناير، تمَّ تأجيلُهُ إلى شهر يونيو 2021م؛ بسبب دُخُول الموجة الثانية وارتفاع مُعدَّل الإصابات بفيروس كورونا حسب إعلان وزارة الصحَّة المصريَّة.

إنَّ منْ ضمن الدُّرُوس المُستفادة منْ تأثيرات هذه الجائحة (التي ما يزال خطرُها قائماً على البشريَّة): الاستعدادُ المُستمرُّ لأوقات الطوارئ والأزمات، والتَّركيزُ على إيجاد وحدات أو أقسام مُتخصِّصة بإدارة الأزمات في كافَّة القطاعات، بالإضافة إلى دعم القطاع الثقافي بكُلِّ الإمكانيَّات، فالثقافةُ هي أفضلُ سلاحٍ يُمكنُ أنْ تُواجه به المُجتمعاتُ كُلَّ التَّحدِّيات التي تُجابهُها مُستقبلاً، فالوعيُ الثقافيُّ والوعيُ الصِّحِّيُّ نستطيعُ منْ خلالهما تطبيق كافَّة

الإجراءات الاحترازيَّة، حمايةً للوطن وتحقيق التَّنمية المنشُودة في كُلِّ والمُواطن، ومُواصلة مسيرة البناء، القطاعات.

***الهوامش :**

1- مساعد عبد العاطي شتيوي، "منظمة الصحة العالمية: حدود المسئولية الدولية تجاه انتشار جائحة كورونا بالدول الأعضاء"، مجلة: السياسة الدولية، القاهرة، مؤسسة الأهرام، العدد: 221، المجلد: 55، يوليو 2020م، ص 14 .

2 أنظر: زينب محمد زهري وميلود سعد العماري وهند آدم المزيني، دليل الحماية والوقاية المجتمعية من جائحة فيروس كورونا المستجد (COVED-19) للمجتمع الليبي، بنغازي: منشورات مركز البحوث والاستشارات بجامعة بنغازي، 2020م، ص11.

3 محمد حسين محجوب، ورقات من كورونا: بحث علمي، بورسعيد/ مصر: دار ديوان العرب للنشر والتوزيع، 2020م، ص 7 .

4 خالد حنفي على، "تقديم: الأوبئة ونظريات العلاقات الدولية: اختيار تفسيري"، في: ملحق: اتجاهات نظرية في تحليل السياسة الدولية، الأوبئة ونظريات العلاقات الدولية، مجلة: السياسة الدولية، القاهرة، مؤسسة الأهرام، العدد: 221، يوليو 2020م، ص 3 .

5 للمزيد حول هذا الموضوع أنظر: "كلمة التحرير"، ترجمة: محمد البهنسي، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية، القاهرة، مطبوعات اليونسكو و بلاكويل للنشر، الطبعة العربية، العدد: 186، ديسمبر/كانون الأول 2005م، ص ص13-15 .

6 ضياء الجنابي، "الحياة مسرح كبير: المسرح ونظرية التباعد الاجتماعي"، مجلة: الشارقة الثقافية، دائرة الثقافة بالشارقة، السنة: الرابعة، العدد: الرابع والأربعون، يونيو 2020م، ص ص 132-133 .

7 أنظر: أولريش بيك، مجتمع المخاطر العالمي: بحثا عن الأمان المفقود، ترجمة: علاء عادل وهند إبراهيم وبسنت حسن، القاهرة: المركز القومي للترجمة والمركز الثقافي الألماني، 2013م. وكذلك: جان فرانسوا دورتيه(إشراف)، معجم العلوم الإنسانية، ترجمة: جورج كتورة، ط1، أبوظبي: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (كلمة)، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2009م، ص ص967-968 .

8 لمزيد من التفصيل أنظر: وائل صالح، "الوعي في زمن المابعديات الأربعة المتزامنة"، مجلة: الهلال، القاهرة، مؤسسة دار الهلال، أكتوبر 2020م، ص ص 160-165. وأنظر: إيريك هوبزباوم، عصر النهايات القصوى: وجيز القرن العشرين (1914-1991م)، الجزء الثالث: الانهيار، ترجمة: هشام الدجاني، مراجعة: إبراهيم يحي الشهابي، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، دراسات فكرية: (33)، 1998م .

9 دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة: منير السعيداني، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2007م، ص ص 9-10 .

10 أنظر: طوني بينيت، "الثقافة"، في: طوني بينيت وآخرين، مفاتيح اصطلاحية جديدة: مُعجم مُصطلحات الثقافة والمُجتمع، ترجمة: سعيد الغانمي، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2010م، ص225 .

11 محمد شوقي الزين، الثِّقافُ في الأزمنة العجاف: فلسفةُ الثقافة في الغرب وعند العرب، ط1، بيروت: منشورات ضفاف، الجزائر: منشورات الاختلاف، الرباط: دار الأمان، 2013م، ص8 .

12 أنظر: على الحوات، قضايا في علم الاجتماع التربوي: دراسات في المجتمع العربي، طرابلس: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، 1989م، ص 134. وكذلك: عمر التومي الشيباني، دور التربية في الوحدة العربية، طرابلس: المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان، 1981م، ص17 .

13 الطاهر أحمد الزاوي، مُختارُ القامُوس: مُرتَّبٌ على طريقة مُختار الصِّحاح والمصباح المُنير، ليبيا/ تونس: الدار العربية للكتاب، 1984م، ص 85 .

14 أنظر: مجمُوعة مُؤلفين، المُعجمُ الوسيطُ، ط5، إشراف: شعبان عبد العاطي عطية وأحمد حامد حسين، القاهرة: مجمع اللغة العربية، ومكتبة الشروق الدولية، 2011م، ص 101 .

15 أنظر: طوني بينيت وآخرين، مفاتيح اصطلاحية جديدة: معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، مرجع سبق ذكره، هامش: ص228 .

16 هيثم البوسعيدي، "مفهوم الثقافة"، موقع: صحيفة المثقف، العدد: 1316، بتاريخ: 2010/2/13م، متاح على الرابط المختصر التالي https://cutt.us/flmum :

17 جبور عبد النور، المعجم الأدبي، بيروت: دار العلم للملايين، (د.ت)، ص ص80-81 .

18 مفيد أحمد ديوب، "الثقافة رافعة وقاطرة تقدم إنساني"، مجلة: الشارقة الثقافية، دائرة الثقافة بالشارقة، السنة: الرابعة، العدد: الرابع والأربعون، يونيو 2020م، ص 88 .

19 هيثم البوسعيدي، "مفهوم الثقافة"، موقع: ديوان العرب، بتاريخ: 14/فبراير/2010م، على الرابط التالي :

https://www.diwanalarab.com/%D9%85%D9%81%D9%87%D9%88%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%AB%D9%82%D8%A7%D9%81%D8%A9

20 الفاروق زكي يونس، "تقديم المراجع"، في: مجمُوعة من الباحثين، نظرية الثقافة، ترجمة: على سيد الصاوي، سلسلة: عالم المعرفة: 223، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1997م، ص10.

21 لمزيد من التفصيل أنظر: منير المرسي سرحان، في اجتماعيات التربية، ط3، بيروت: دار النهضة العربية، 1981م، ص ص144-152 .

22 عبد الله محمد الأشهب، "الأساس الثقافي والمنهج"، مجلة: أصول الدين، ليبيا، الجامعة الأسمرية، العدد: الثاني، مايو 2017م، ص385 .

23 وفية جبار محمد هاشم الياسري، "الثقافة: مفهومها-خصائصها-عناصرها"، موقع: جامعة بابل، كلية التربية للعلوم الإنسانية، بتاريخ: 13/ديسمبر/2016م، على الرابط المختصر التالي : https://cutt.us/z5AuK

24 نيللي كمال الأمير، "جائحة كورونا: حدود الفرص السياسية لبعض القوى الإقليمية والدولية"، مجلة: السياسة الدولية، العدد: 221، مرجع سبق ذكره، ص 100 .

25 هشام القصاص، "ظهور الجوائح وانتهاك النظم الأيكولوجية"، مجلة: السياسة الدولية، العدد: 221، مرجع سبق ذكره، ص 180 .

26" مرض فيروس كورونا (كوفيد-19): سؤال وجواب"، موقع: منظمة الصحة العالمية، متاح على الرابط التالي :
https://www.who.int/ar/emergencies/diseases/novel-coronavirus-2019/advice-for-public/q-a-coronaviruses

27 مساعد عبد العاطي شتيوي، "منظمة الصحة العالمية: حدود المسئولية الدولية تجاه انتشار جائحة كورونا بالدول الأعضاء"، مرجع سبق ذكره، ص ص 19-21 .

28 أوريان غيبو، "منظمة الصحة العالمية ومختبرات الأدوية بين التبعية المشتركة وشكوك التواطؤ"، في: برتران بادي ودومينيك فيدال (إشراف) وآخرين، أوضاع العالم: 2013م، حقائق القادة والأسباب الحقيقية للتوترات في العالم، ترجمة: هدى مقنص، تدقيق: بسام ضو، ط1، بيروت: مؤسسة الفكر العربي، وشركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 2013م، ص ص162-163 .

29 أنظرPeter Doshi :، "التعريف المراوغ لجائحة الأنفلونزا"، مجلة: منظمة الصحة العالمية، المجلد: 89، العدد: 7، يوليو/ تموز، 2011م، ص ص469-544. متاح على الرابط التالي :
https://www.who.int/bulletin/volumes/89/7/11-086173-ab/ar/

30 إيمان محمود، فيروس H1N1:أنفلونزا الخنازير، القاهرة: وكالة الصحافة العربية، 2017م، ص101 .

31 حنان عيسى ملكاوي، تداعيات جائحة فيروس كورونا المستجد على الأمن الصحي العربي"، نشرية الألكسو العلمية، تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، العدد: الثاني، يونيو 2020م، ص 7 .

32 مصطفى قاسم، "تقديم المترجم: الابتكار وتنسيق الجهد البشري مفتاح التقدم التاريخي"، في: جون روبرت مكنيل و وليام هاردي مكنيل، الشبكة الإنسانية: نظرة محلقة على التاريخ العالمي، ترجمة: مصطفى قاسم، سلسلة: عالم المعرفة: (458)، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2018م، ص ص10-11 .

33 للمزيد أنظر: جون نيصبات وباتريشيا أبردين، الاتجاهات الكبرى عام 2000: التغيرات المهمة في حياتك وفي العالم خلال السنوات العشر القادمة، مراجعة: العجيلي الميري، سلسلة: الدراسات المستقبلية: (1)، فاليتا/ مالطا: منشورات مركز دراسات العالم الإسلامي، 1991م، ص ص 252-254 .

34 نواف بن عطاف الصحاف، "أزمة كورونا والتقنية الحيوية"، تاريخ الاطلاع: 24/نوفمر/2020م، على الرابط التالي :
https://caramellaapp.com/nawafalsahhaf/fvCAsMF2b/azmh-kwrwna-waltqnyh-alhywyh

35 أنظر: محمد أبو سريع على، "هل تأثر الأمن الغذائي العالمي بانتشار جائحة كورونا؟"، مجلة: السياسة الدولية، العدد: 221، يوليو 2020م، مرجع سبق ذكره، ص 30. وكذلك: "ماذا فعلت جائحة كورونا في التجارة العالمية؟ G20 تكافح الوباء"، العين الإخبارية، بتاريخ: 2020/11/19م :
https://cutt.us/98ne7

36 بيتر داويندت وآخرين، "إسهام المعلومات البيولوجية وحقوق الملكية الفكرية في تشارك المعلومات البيولوجية"، ترجمة: أحمد ماجد شما، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية، القاهرة، مطبوعات اليونسكو و بلاكويل للنشر، الطبعة العربية، العدد: 188، يونيو 2006-سبتمبر 2007م، ص101. وحول الاستنساخ والتقنيات الوراثية وأضرارها البيولوجية أنظر: تومس وول، التفكير الناقد في القضايا الأخلاقية، ترجمة: نجيب الحصادي، مراجعة علمية: محمد زاهي المغيربي، ط1، طرابلس: المكتب الوطني للبحث والتطوير، 2004م، ص ص794-802. وكذلك: جان فرانسوا بوفي، "علم ما فوق الوراثة: حمضنا النووي (DNA) تحت التأثير"، ترجمة: نصيرة إيدير، مجلة: الثقافة العالمية، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، السنة: الثالثة والثلاثون، العدد: 189، مايو-يونيو2017م، ص ص90-95 .

37 أيمن النحراوي، "مدخل إلى الحرب البيولوجية"، موقع: جريدة الشروق المصرية، القاهرة، بتاريخ: 22/مارس/2020م، متاح على الرابط المختصر التالي https://cutt.us/M3ujp :

38 أنظر: جيرمي ريفكن، "الفصل الثالث: هندسة الجينات وأثرها على البشرية"، في: مجموعة باحثين، هكذا يصنع المستقبل، ط1، أبوظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2001م، ص 74، ص79. وكذلك: جيرمي ريفكن، قرن التقنية الحيوية: تسخير الجينات وإعادة تشكيل العالم، ط1، أبوظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 1999م .

39 أنظر: محمود علم الدين، "جائحة كورونا: المخاطر المتجددة من الحروب البيولوجية في عصر الثورة الصناعية الرابعة"، مجلة: السياسة الدولية، العدد: 221، مرجع سبق ذكره، ص44. وكذلك: محمد حسين محجوب، ورقات من كورونا، مرجع سبق ذكره، ص ص82-83 .

40" حوار مع: د. حسن صلاح: المستشار الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية للرعاية الصحية الأولية"، أجرى الحوار: دعاء نافع، مجلة: طبيبك الخاص، القاهرة، مؤسسة دار الهلال، العدد: 621، السنة: 51، 10/سبتمبر/2020م، ص ص14-15 .

(*)جدير بالذكر في هذا الصدد أن التجارب التي مر بها العالم من جراء الأمراض والأوبئة الخطيرة في العقود الماضية (خصوصا مطلع الألفية الجديدة) دفعت بعض المؤسسات الدولية كالبنك الدولي إلى التأكيد على أنه: "بالنظر إلى التكاليف العالية جدا لعلاج المصابين من جراء تلك الأمراض فإن البنك اقترح أن يكون الإنفاق على التثقيف الصحي والوقاية، والتركيز على الذين ما يزالون أصحّاء". أنظر: جيسيكا ويليامز، 50 حقيقة: ينبغي أن تغير العالم، ترجمة: مركز التعريب والترجمة، ط1، بيروت: الدار العربية للعلوم، 2005م، ص ص14-15 .

41 عمر شبانة، "من ملحمة أوفيد الشعرية إلى ملحمة كورونا"، مجلة: الشارقة الثقافية، الشارقة، دائرة الشارقة، العدد: الرابع والأربعون، يونيو 2020م، ص 79 .

42 كامل العبد الجليل، "الثقافة في زمن كورونا"، مجلة: العربي، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد: 738، مايو 2020م، ص14 .

43 معن خليل العمر، علم المشكلات الاجتماعية، عمّان: دار الشروق للنشر، 2005م، ص ص123-125 .

44" نظرية "التباعد الاجتماعي" الخيار الافضل لينجو المجتمع من كورونا"، موقع: عمان جو، تاريخ الاطلاع: 2020/11/14م، متاح على الرابط التالي : http://www.ammanjo.net/print.php?id=126264

45" التباعد الاجتماعي (التباعد الجسدي) لمنع انتشار فيروس كورونا"، تاريخ الاطلاع: 14/نوفمبر/2020م، متاح على الرابط المختصر التالي https://cutt.ly/Ohk0R1L :

(*)ذكرت بعض المصادر: أن أكثر من 200 عالم وباحث وجّهُوا رسالة إلى منظمة الصحة العالمية، يؤكدون فيها ما سمّوه وجود "مسار ثالث" بشأن فرضيات انتقال فيروس "كوفيد-19"، وذلك على خلاف ما خلصت إليه المنظمة من حصر أسباب انتقال العدوى، بين التواجد على بعد مسافة قريبة من المصاب، أو ملامسة سطح ملوث بالفيروس. ووفق تقرير لصحيفة "نيويورك تايمز" الأميركية، السبت 4 يوليو 2020، فإن هذه الرسالة تم توقيعها من طرف علماء وباحثين يمثلون 32 بلداً، يؤكدون فيها أن "مسافة الأمان" أي التباعد الاجتماعي، لن تكون كافية لوقف انتشار العدوى، بسبب بقاء جزيئات في الهواء، ما ينسف هذه النظرية، التي وضعتها المنظمة. ورداً على هذا التقرير، قال المتحدث باسم المنظمة: "نحن على دراية بالمقال، ونبحث محتوياته مع خبرائنا الفنيين". أنظر: "منظمة الصحة العالمية تناقش تقرير الـ200 عالم الذي يحتمل أن "ينسف" نظرية التباعد الاجتماعي"، بتاريخ:7/يوليو/2020م، الرابط المختصر التالي https://cutt.us/IotKs :

46 كامل العبد الجليل، "الثقافة في زمن الكورونا"، مرجع سبق ذكره، ص ص 16-17.

(*)في إطار الحديث عن الثقافة: يشار هنا إلى أن استخدام الألعاب الإلكترونية قد ازدادت وتيرته بسبب انتشار كورونا، الذي فرض أساليب وعادات مختلفة للتخلص من عقارب الزمن، لكن الخطوة هنا تقع على الأبناء، الذين يلهثون خلف الصور الجاذبة لمخلوقات تكنولوجية عجيبة لا يقهرها أحد.. فيكبر الوهم وتصبح هذه الألعاب سلاحا فتاكا داخل رأس الطفل، بحيث تتحكم في سلوكه وتسيطر عليه. أنظر: أنيسة عبود، "العلم ركيزة المستقبل: والأهداف النبيلة"، مجلة: الشارقة الثقافية، العدد: 44، مرجع سبق ذكره، ص ص64-65 .

47" الكتاب الورقي في زمن كورونا"، موقع: ميدل إيست أونلاين، بتاريخ: 2020/7/18م، على الرابط التالي https://cutt.us/Kl548 :

48" اليونسكو يناقش مع وزراء ثقافة العالم تأثيرات كورونا على القطاع الثقافي"، بوابة الأهرام، بتاريخ: 19/أبريل/2020م، http://gate.ahram.org.eg/News/2397797.aspx

49" تأثير جائحة كورونا على الفنون والتراث الثقافي"، موقع: ويكيبيديا الموسوعة الحرة، بتاريخ: 31/أكتوبر/2020م، متاح على الرابط المختصر التالي https://cutt.us/jsaZ2 :

50 شاكر نوري، "آفاق الثقافة والخروج من أزمة كورونا"، موقع: العين الإخبارية، بتاريخ: 25/مايو/2020م، متاح على الرابط التالي: https://al-ain.com/article/culture-outlook-from-crisis-corona

اليأس وخيبة الأمل

في شعر الغزل الجاهلي والإسلامي

د. سعدية حسين البرغثي

المقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسّلام على أشرف الخلق محمد النبي العربي الأمين رسول الهدى والخير والمحبة إلى الخلق أجمعين وعلى آله وصحبه الطاهرين .

يعدّ الغزل من أهم الفنون وأبرز الموضوعات وهو لغة الوجدان والعواطف، تلك اللغة التي يعبّر بها شاعر الغزل عن مكنون مشاعره وأحاسيسه الدينية عبر تجربة حقيقية يحاول من خلالها إثبات قدرته الشعرية وبراعته الفنية.

فقد تناولت من شعرهم الغزلي تلك الرّنّة الحزينة الباكية التي تصور تشاؤمية الشاعر ومعاناته من تجربة حبّه التي تعبّر عنها تلك المطالع الغزلية وما تحمله من ألم وحرمان وتبرز همومه ومشاعره والأحاسيس التي تعبّر عن كوامن نفسه.

كما تناولت في هذا البحث دراسة اليأس والألم وخيبة الأمل في شعر الغزل على وفق النظرة الاستقرائية والتحليل لاستنباط ما يعانيه الشاعر وهو يؤجّج الشكوى والذكريات في ذاته، ويزرع الأسى في نفسه.

ومن خلال بحثي وجدت ما سرّني في كتاب الأستاذ يوسف حسين بكار: اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري، وكتاب د. عزة حسن: شعر الوقوف على الأطلال، ود. أحمد الحوفي: الغزل في العصر الجاهلي.

واقتضت طبيعة البحث أن يكون في مبحثين ومقدمة وتمهيد وخاتمة ومسرد بالمصادر والمراجع، بيّنت في التمهيد مفهوم الغزل والتعريف باليأس والألم لغة واصطلاحاً، وقد توجّه البحث في مبحثه الأول إلى تناول التجربة الغزلية الحزينة عند الشاعر الجاهلي، وتضمن المبحث الثاني التجربة الغزلية الحزينة في العصر الإسلامي والأموي.

وأخيراً فقد سعيت أن يكون هذا البحث دراسة وصفية تحليلية بأبعادها النفسية، لأسهم في خدمة تراثنا العربي في جانب مهم من الشعر الجاهلي إلى نهاية العصر الأموي لإبراز هذا الفن الجميل في ضوء تحليل النصوص على وفق ما تقتضيه ضرورة سياق النص وما تضمنه من مواقف، وما يحيط بالتجربة الشعرية ذاتها، والعوامل النفسية، ومن ثم إظهار القدرة الإبداعية لشعرائنا، فإن وفقت في هذا الجهد فقد بلغت الغاية، وإلا فحسبي نصيب المجتهدة من الثواب وما الكمال إلا لله وحده وبه نستعين.

التمهيد:

من أهم الفنون وأبرز الموضوعات وأعلقها بالقلب وأقربها إلى طبيعة الإنسان فن الغزل، وقد لقي عناية كبيرة من الشعراء سجّلوا فيه عواطفهم وخواطرهم، تناولوا المرأة فذكروا محاسنها وصفاتها وسحرها وما يفعل فيهم من الشوق والحنين.

ولم يحفل العرب بشيء احتفالهم بالغزل، سواءً أكان صادراً عن القلب تفرد له قصائد وتحبر له الأشعار أم كان تقليداً مستحباً تفتتح به المطولات ويستراح إليه بعد رحلة الشعر، فيحصل به الحديث ويعقد عليه الحوار.

وترد في هذا المجال كلمات صارت بمرتبة المصطلحات الفنية: كالنسيب، والتشبيب، والصبابة، والهيام، وكلها مستعملة في الموضوع نفسه، والذي يهمنا من شعر الغزل في الأدب العربي ليس تعدد مصطلحاته الفنية وتباينها، بل ما يقدّمه للقارئ والسامع من استجابة وجدانية تخدم غرضاً نفسياً وآخر اجتماعياً.

فالغزل من الأغراض الشعرية التي تمتاز بأنها مجموعة من التجارب الذاتية الخاصة التي تعبّر عن رغبات نفسية ونظرات اجتماعية في المرأة والحياة وبذلك يتبوأ الغزل مكانة مرموقة بين أغراض الشعر الأخرى، والتي غالباً ما توصف بالتكسبية وتكلف التجربة في مواقف متعددة من حياة الشاعر.

فقد وصف الكثيرون من باحثين ودارسين الغزل في الشعر العربي بأنه لغة الوجدان والعواطف، وتلك اللغة التي يعبر بها شاعر

الغزل عن مكنون مشاعره وأحاسيسه الدفينة، وهو يصف مفاتن حبيبته سواء أكانت تلك المفاتن حسية – الجمال الحسي – أم معنوية – الجمال الأخلاقي.-

إنّ المطالع الغزلية في الشعر العربي وقصائد الغزل الكثيرة تطرد فيها رنة حزينة باكية تبدو في بعض الأحيان مظهراً سوداوياً يصوّر بعض تشاؤمية الشاعر في نظرته إلى المرأة والجمال وهنا يلعب العامل الاجتماعي والنفسي دوراً كبيراً في تجسيد مفهوم الحزن والأسى في المقدمة الغزلية.

إنه ظاهرة تدعو الباحث فيها إلى كثير من التأمل والاستبطان للوقوف على ماهية هذه التجربة ومعاناة الشاعر فيها.

فإنني كلما قرأت هذه المطالع الغزلية وأعدت قراءتها أحسست أنّ الألم والحزن الذي يغلّف تجربتها قد يبدو لوناً من ألوان " رثاء النفس " أو رثاء التجربة ذاتها، فعدم الاستقرار، القلق، الفراق، خيبة الأمل، الإحساس بالشكوى، الاعتزاز بالذكرى والسأم، كلها مظاهر اجتماعية ونفسية مستمدة من بيئة الشاعر جعلت من الحزن والأسى خصوصية فنية تمتاز بها تلك المطالع والمقدمات الغزلية.

فالوقوف على الأطلال والبكاء عليها والتحسر على الذكريات الماضية والبحث عن آثار الديار والمنازل والرسوم هي رموز لتجربة الألم التي يجد فيها الشاعر راحة ولذة نفسية يطمئن إليها في التعبير عن بعض مشاعره الحبيسة.

فامرؤ القيس مثلاً يجد أن البكاء شفاء له في تجربة حبه عندما يقول (1):

وَإِنَّ شِفائي عَبرَةٌ مَهَراقَةٌ
فَهَل عِندَ رَسمٍ دارِسٍ مِن مُعَوَّلِ

ولما كانت تجربة الحب التي تعبّر عنها تلك المطالع الغزلية ذات صلة وثيقة بواقعها الاجتماعي العام، ارتبط شعر الغزل بواقع أحداث عصر الشاعر وخرجت تلك التجربة بما تحمله من حزن وأسى إلى التعبير عن هموم الشاعر وطموحه وتأملاته فيما يجري حوله من أحداث، أما الرثاء فيشترك مع شعر الغزل في التعبير عن معنى الألم والأسى سواءً أكان ذلك بكاءً على عزيز غالٍ، أم ندباً على حبيبة جميلة.

إنّ رثاء الحبيب لحبيبته، أو الزوج لزوجته وبالعكس لا يختلف كثيراً في مظهره الحزين عن شعر الغزل الباكي، والذي يرثي به الشّاعر تجربته وخيبة أمله، بل ويرثي نفسه فيه.

هذه الظاهرة الفنية النفسية جعلتني أحس بأن مثل هذا الغزل هو رثاء، ومثل ذلك الرثاء هو غزل في ضوء رصدي

لنماذج شعرية تمثل عصور الأدب العربي المختلفة تمثيلاً لا يبعدها عن أحداثها وما طرأ عليها من تطور حضاري.

إنّ هذا البحث يحاول فهم رنة اليأس والألم وخيبة الأمل في غزليات الشاعر العربي.

فالقصيدة الغزلية خلقت لنفسها بعض الخصائص الفنية التي قد تجعل منها غرضاً فنياً بذاته في الشعر العربي.

فهذه محاولة لفهم هذا الغرض الشعري تعتمد على الوقوف على الجوانب النفسية لهذه التجربة، وفي فهم صورها وأهميتها في تطور المضمون الشعري في القصيدة العربية من العصر الجاهلي إلى نهاية القرن الثاني الهجري.

اليأس لغة: "يأس: اليَأْس: القُنوط، وقيل: اليَأْس نقيض الرجاء، يَئِسَ من الشيء يَيْأَس ويَيْئِس، والمصدر اليَأْسُ، والجمع يُؤُوس" (2)، وفي التنزيل العزيز ﴿ :أَفَلَمْ يَيْأَس الذين آمنوا أن لو يَشاء الله لَهَدى الناسَ جميعاً ﴾ سورة الرعد، الآية: 31، أفلم ينقطع رجاءكم أن نتيجة المشيئة الإلهية لهداية كل الناس .

اليأس اصطلاحاً: قال المناوي: " اليأس: القطع بأن الشيء لا يكون وهو ضد الرجاء، والمراد به قطع الأمل"، فالشاعر من خلال شعره يصور يأسه وقلقه الساكن أعماقه فهذا الحارث بن حلزة اليشكري يقول :

وَيَئِسْتُ ممّا قد شُغِفْتُ بهِ
منها، ولا يُسْلِيكَ كالْيأْسِ(3)

حيث يصف الشاعر علاقته بحبيبته ويعتقد أن اليأس مصدر للعزاء والسلوان والراحة بعد انقطاع هذه العلاقة.

ولطالما شكّل اليأس عقبة من أشرس عقبات الحياة فما أن يعرف قلب العاشق اليأس حتى يفقد العشق ألقه، فما تزال كلمات الزعيم المصري مصطفى كامل ترن في الأذهان: " لا يأس مع الحياة ولا حياة مع اليأس ."

قد نجد شاعراً يائساً من الحبّ وآخر يحارب اليأس دفاعاً عن عشقه، فمشاعر الحب تولّد لدينا الكثير من التناقضات فحيناً يرى العاشق الوجود كله يرقص وحيناً تغلق الأبواب وتضيق السبل، وقد يكون اليأس في الحب هو النهاية التي يتهرب منها العاشقون. وصل قيس بن الملوح إلى طريق مسدود في حبه حتى تمنى أن يكره ليلى إن لم يكن له منها وصال يشفي يأسه أو فليكن موته هو الدواء يقول (4):

يَقولُ أُناسٌ: عَلَّ مَجنونَ عامِرٍ
يَرومُ سَلوّاً، قُلتُ: أَنّى بِهِ لِيا

بِيَ اليأسُ أَوْ داءُ الهُيامِ شَرِبْتُهُ
فَإِيّاكَ عنّي لا يَكُنْ بكَ ما بِيا
فَيا رَبِّ إذ صَيَّرتَ لَيلى هِيَ المُنى
فَزِنّي بِعَينَيها كَما زِنتَها لِيا
وَإِلّا فَبَغِّضها إِلَيَّ وَأَهلَها
فَإِنّي بِلَيلى قَد لَقيتُ الدَواهِيا

يبدو أنّ العلاقة بين الشّاعر واليأس علاقة حميمية، فإذا ما افترقا الحبيبة نفرة أو نأياً أو رحيلاً إلى منتجع آخر تحت تأثير عوامل شتى تألم وعبّر عن ألمه ويأسه بلوعة وحسرة وحزن، وبدأ يبث آلامه مشتاقاً إلى ما مضى من أيامه، فيمتزج ذلك الألم بقلق الشّاعر وعدم استقراره في الديار .

لذا نجد الشوق يعصف بكيانه إليها إذا ما فارقها؛ لأنها تشكل لديه اغتراباً في ابتعادها عنه معتقداً أنه عانى من الدواهي والبلاء من شدة عشقه وحبّه .

الألم لغة: الأَلَمُ: الوجَعُ، والجمع آلامٌ. وقد أَلِمَ الرجلُ يَأْلَمُ أَلَماً، فهو أَلِمٌ. ويُجْمَعُ الأَلَمُ آلاماً، والأَلِيمُ: المُؤلِمُ المُوجِعُ مثل السَّمِيع بمعنى المُسْمِع؛ وأَنشد ابن بري لذي الرمة: " يَصُكُّ خُدُودَها وهَجٌ أَلِيمُ " والعَذاب الأَلِيمُ: الذي يَبْلغ إِيجاعُهُ غاية البلوغ، وإِذا قلت عَذاب أَلِيمٌ فهو بمعنى مُؤْلِم، وتَأَلَّم فلان من فلان إِذا تَشَكَّى وتَوَجَّع منه .

والتَّأَلُّم: التَّوجُّعُ (5)، الألم في (علم النفس) شعور بما يضاد اللذة من عدم الراحة أو الضيق أو المضض، سواء أكان شعوراً نفسياً أم خلقياً (6)، وكثيراً ما نجد الألم والحزن في قصيدة الغزل تعبير عن عاطفة إنسانية جياشة تفيض باللوعة والأسى وتزخر بآلام الشاعر وتعد متنفساً لهمومه وتعبيراً عن خيبة أمله .

فهو يصوّر بعض وجوه القلق حيث يجد في ذلك التصوير راحة نفسية.

هذا طرفة بن العبد يبكي بفعل ألم الفراق والحزن، ولم يكن بكاؤه بتأثير عوامل خارجية فقد شعر بالغربة فاتخذ طلل خولة يبكي عليه ليكزن منفذاً يعبّر من خلاله عن حديث نفسه في تأمله لماضيه الحزين فيقول :

لِخَولَةَ أَطلالٌ بِبُرقَةِ ثَهمَدِ
تَلوحُ كَباقي الوَشمِ في ظاهِرِ اليَدِ
وُقوفاً بِها صَحبي عَلَيَّ مَطِيَّهُم
يَقولونَ لا تَهلِك أَسىً وَتَجَلَّدِ (7)
أما الأعشى فيتوجّع قائلاً:

نامَ الخَلِيُّ وَبِتُّ اللَيلَ مُرتَفِقا
أَرعى النُجومَ عَميداً مُثبَتاً أَرِقا
أَسهو لِهَمّي وَدائي فَهيَ تُسهِرُني
بانَت بِقَلبي وَأَمسى عِندَها غَلِقا (8)
إنه يغبط من خلا قلبه من الهموم، بينما بات ليله ساهراً لا ينام، يرعى النجوم،

متكئاً على مرفقه وقد أضناه الغرام وأضواه العشق، فقد ذهبت حبيبته بقلبه وأمسى عندها رهينة لا سبيل إلى استردادها .

المبحث الأول

التجربة الغزلية الحزينة في الشعر الجاهلي

التجربة الغزلية عند الشاعر الجاهلي تبدو حزينة متشائمة لذلك فإنّ البكاء واللوعة في هذه التجربة يعدّان مظهراً من مظاهر (رثاء النفس) وهي تعاني أزمة خاصة بها فرضتها طبيعة البداوة وعدم الاستقرار " إنّ الرنة الحزينة التي تظهر في المقدمات الطللية ذات أثر عميق في نفس الشاعر وهي رنة خلقتها في ذاته مشاعر الحنين إلى ديار الأحبة وتلك المشاعر التي تعد من الأسرار العميقة في نشأة شعر الوقوف على الأطلال والبكاء عليها في الشعر العربي القديم (9).

إنّ المقدّمة الطللية هي من ابتكار الشّاعر الجاهلي حين أراد أن يعبّر عن حاجاته النفسية، ويعرف عن خبايا هذه النفس التي نظرت فيما حولها، فوجدت الديار قد زالت وامحت، وما كان يزينها ويضفي عليها شيئاً من المؤانسة والإحساس بالجمال والاطمئنان، فقد غادرها هو الآخر ولا نستبعد أنّ هذا المكان قد ربطته بالشاعر مشاعر عاطفية ما، فجاشت عواطفه وراح يصفها ويتأسّى على الزمن الذي تحوّل إلى مجرد ذكرى، علّه زمن الشّاعر فجاءت المقدمة الطللية معبّرة عن تلك المشاعر والأحاسيس.

وتبدو التجربة الغزلية عنده حزينة متشائمة لذلك فإن الحزن والأسى، والبكاء واللوعة في هذه التجربة من مصادر الراحة النفسية التي تلوذ بها نفس الشاعر في حالات كثيرة من السأم والوحدة والغزل واضطراب المواقف من جهة ولأنّ تجربة الحبّ تبدو ناقصة غير مكتملة بحكم الانتقائية التي فرضتها عليها طبيعة البداوة وحب الانتقال الطبيعي والاجتماعي من مرعى إلى مرعى، ومن كلأ إلى آخر ومن جهة إلى أخرى.

فالشاعر عضو فعّال في هذا المجتمع البدوي يصف ذاته في بعض ملاهيها ولهوها وشربها وفرحتها إنما يعكس بعض مخاوفها وقلقها من الوجود الغامض الذي يحيط بها، وتظهر تلك المخاوف في الألفاظ التي تتكرر في مقدمته الغزلية – في النسيب خاصة – يتضح ذلك في مطالع القصائد العشر المعروفة بالمعلقات(10)، تدل على أن الشاعر الجاهلي يتكلّم عن تجارب حبه بصرخة الأسى والحزن.

نلمح ذلك في معلقة امرئ القيس بدأها بالحديث عن ذكريات حبيبته حينما رأى

ما آلت إليه ديارها بعد أن هجرتها، فقد درست آثارها وعفت معالمها وأصبحت موطناً للحيوانات، فأثار ذلك مشاعره وحرك عواطفه، فطلب من رفيقيه أن يتوقفا معه عن السير ليسترجع ما فات من ذكريات ويذرف الدمع حزناً على ما مضى وتخفيفاً مما يجد، ووفاء بحق هذه الديار(11).

قِفا نَبكِ مِن ذِكرى حَبيبٍ وَمَنزِلِ
بِسِقطِ اللِوى بَينَ الدَخولِ فَحَومَلِ
فَتوضِحَ فَالمِقراةِ لَم يَعفُ رَسمُها
لِما نَسَجَتها مِن جَنوبٍ وَشَمأَلِ
وَإِنَّ شِفائي عَبرَةٌ مَهَراقَةٌ
فَهَل عِندَ رَسمٍ دارِسٍ مِن مُعَوَّلِ

وسواءً أخاطب امرؤ القيس رفيقاً واحداً، أو رفيقين، فقد استوقف غيره ليبكي وإياه ذلك المنزل الموحش، الذي ظلّت بعض بقاياه شاهداً عليه بفعل رياح الجنوب والشّمال،فواحدة تزيل عنه الأتربة وأخرى تعيد تغطيته لتبقي آثاره شاهدة على تلك الذكريات السعيدة التي يفترض أنها جمعت بين الشّاعر وحبيبته، ثم يعود الشاعر من جديد ليعبّر عن أثر يوم الرحيل في نفسه، فقد ظل تائهاً حائراً حين اشتدت أزمته النفسية فبعد البكاء تأتي مرحلة أشدّ وأقسى حيث تجتمع الذكريات، ويعيش الشاعر مرحلة من خيبة الأمل واليأس عبّر عنها بنافق الحنظل، وربما رافقت هذه الحيرة دموع الشّاعر المنهارة كما تفعل حبّة الحنظل التي تدمع العيون لحرارتها، ليبرز ذلك الموقف النفسي المؤثّر .

كما صوّر لنا لوعته وأساه وبكاءه المر، والرفاق حوله يخشون عليه أن يهلك أسى وحزناً يقول (12)

كَأَنّي غَداةَ البَينِ يَومَ تَحَمَّلوا
لَدى سَمُراتِ الحَيِّ ناقِفُ حَنظَلِ
وُقوفاً بِها صَحبي عَلَيَّ مَطِيَّهُم
يَقولونَ لا تَهلِك أَسىً وَتَجَمَّلِ

فالشاعر الجاهلي قد يبكي على حبّه الضائع، أو يتذكر موقف الرحيل فيصف الظعن وما يلاقيه من جوى وحرمان، وقد يبدأ بحديث الفراق مباشرة، من مثل مطلع معلقة الحارث بن حلزة (13)

آذَنَتنـــا بِبَينِهـــا أَسماءُ
رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ مِنهُ الثَواءُ

أو مطلع معلقة الأعشى (14):

وَدِّع هُرَيرَةَ إِنَّ الرَكبَ مُرتَحِلُ
وَهَل تُطيقُ وَداعاً أَيُّها الرَجُلُ

ظهر تألّم الشاعر وعبّر عنه بلوعة وحسرة وحزن وبدأ يتواصل مع ذكريات المحبوبة ويبث آلامه مشتاقاً إلى ما مضى من أيامه

يروم أملاً ليحقق ما يصبو إليه القلب، فالشوق ونزاع القلب إلى لقاء المحبوبة.

ويبقى قلبه حسيراً وعصياً على الكتمان وعندما يبوح بالشوق فإنه يعبّر عن تراكم العواطف متدفقاً من تفجعه بالنأي المشحون بالقلق وتظل المحبوبة هاجساً حلواً يملأ كيانه أيام الوصال وتناول الحب، وألماً وحسرة أيام الفراق والبعاد.

أما طرفة بن العبد فقد اكتوى بنار العشق ولذع قلبه الغرام، فيقول(15):

أَصَحَوتَ اليَومَ أَم شاقَتكَ هِر
وَمِنَ الحُبِّ جُنونٌ مُستَعِر

إنه يتقلب من بلابل حبها وذكرى أيام وصلها في الأهوال والغموم والأحزان، وإذا هو يصيح يا لشحط مزاره، ويا لسوء حاله (16):

إن تُنَوِّلهُ فَقَد تَمنَعُهُ
وَتُريهِ النَجمَ يَجري بِالظُهُر
ظَلَّ في عَسكَرَةٍ مِن حُبِّها
وَنَأَت شَحطَ مَزارِ المُدَّكِر

بل إنّ حبّها تغلغل في شغاف قلبه، فلا فكاك منه، ولا إقلاع عنه (17).

كيفَ أَرجو حُبَّها مِن بَعدِ ما
عَلِقَ القَلبُ بِنُصبٍ مُستَسِر

وهي إن غابت عن ناظريه، فطيفها لا ينقطع عن زيارته، يقطع البيد إليه آخر الليل، وصحبه هجع، فتمثل فيه الحبيبة رشيقة فاتنة، كالظبية المترددة الحسناء الفاترة الحركات، فتثير أشجانه وتؤرق جفنه، وتحرمه لذيذ المنام (18).

أَرَّقَ العَينَ خَيالٌ لَم يَقِر
طافَ وَالرَكبُ بِصَحراءِ يُسُر
جازَتِ البيدَ إِلى أَرحُلِنا
آخِرَ اللَيلِ بِيَعفورٍ خَدِر
ثُمَّ زارَتني وَصَحبي هُجَّعٌ
في خَليطٍ بَينَ بُردٍ وَنَمِر

ومن وقفاته الطللية الموحية بكآبة نفسه المعبرة عما يمور فيها من أسى وحزن قوله (19):

لِهِندٍ بِحِزّانِ الشَريفِ طُلولُ
تَلوحُ وَأَدنى عَهدِهِنَّ مُحيلُ
وَبِالسَفحِ آياتٌ كَأَنَّ رُسومَها
يَمانٌ وَشَتهُ رَيدَةٌ وَسَحولُ
أَرَبَّت بِها نَآجَةٌ تَزدَهي الحَصى
وَأَسحَمُ وَكّافُ العَشِيِّ هَطولُ
فَغَيَّرنَ آياتِ الدِيارِ مَعَ البِلى
وَلَيسَ عَلى رَيبِ الزَمانِ كَفيلُ
بِما قَد أَرى الحَيَّ الجَميعَ بِغِبطَةٍ
إِذا الحَيُّ حَيٌّ وَالحُلولُ حُلولُ

إنها أطلال هند، أتى على أدنى ما عهد فيها حول كامل، فإذا هي رسوم دارسة، لعبت

فيها الرياح الهوج، وانسكب فوق ربوعها المزن الهتون، فتغير فيها كل شيء، وهنا تصدر من الشاعر عبارات تحمل آهة الأسى واللوعة على الديار وأهلها في شكل تعقيب حكيم.

فَغَيَّرنَ آياتِ الدِيارِ مَعَ البِلى
وَلَيسَ عَلى رَيبِ الزَمانِ كَفيلُ

وبعد أن كان الجميع يغبطه، إذا الحيُّ حيٌّ، بكل ما في الحياة والسعادة والبشر من معانٍ، والحلول حلول مقيمين سعداء غانمين، تبدل كل شيء، ولنا أن نتصور وقع هذه المفارقة الكبرى في نفس الشّاعر التي تصورت الدار عامرة تضج بصخب الأحباب، فإذا هي خالية وخاوية منهم.

ولقد سنحت في حياة طرفة سوانح من السعادة، ابتسمت له فيها الأيام، ومنحته نوعاً من الحياة الغضة الحافلة بالنعيم، امتدت حقبة من الزمان، كان فيها الحبيبان في لقاء دائم، لا يخشيان التفرق كلاهما عزيز لا همّ يؤرقه فينغص عليه صفاء النعيم، وهما في عنفوان الصبا يمرحان في عالمه السمح الضاحك، فيقول (20):

غَنينا وَما نَخشى التَفَرُّقَ حِقبَةً
كِلانا غَريرٌ ناعِمُ العَيشِ باجِلُه
لَيالِيَ أَقتادُ الصِبا وَيَقودُني
يَجولُ بِنا رَيعانُهُ وَيُحاوِلُه

ولكن هذا الحلم الجميل لم يكد صاحبه يستمتع به، حتى تقوض بناؤه السامق، وجف زهره وغاضت ماؤه وجف ثمره.

ومن هنا كان الشاعر يرى أنّ الموت أهون على الفتى من حب شغف قلبه وأقام فيه لا يريم فيقول(21):

لَعَمري لَمَوتٌ لا عُقوبَةَ بَعدَهُ
لِذي البَثِّ أَشفى مِن هَوىً لا يُزايِلُه
فَوَجدي بِسَلمى مِثلُ وَجدِ مُرَقِّشٍ
بِأَسماءَ إِذ لا تَستَفيقُ عَواذِلُه

حاول الشّاعر أن يتناول المرأة الحبيبة، وبيّن من خلال شعره أشواقه كما رسم لنا مواطن الحزن وفواجع القلب، فكان شعره يعزف على أوتار القلب الذي حرمته الحبيبة من الخليط المفارق، فقد يشتاق بحرقة، لنجد بعد ذلك الألم الوارد في غزله ويظهر معاناته من خلال التجربة التي مرّ بها " إنه أحبّ الديار لحبها وكرهها لهجرها إياها وابتعادها عنها" (22)

وفي إطار بحثنا عن الأسى والحزن والألم في شعر الغزل فإننا نستطيع أن نؤكد أنّ المرأة لم تكن مصدراً للجمال والحب والمتعة فحسب وإنما هي كون ممتلئ بالفرح والخصب، ولذا فإننا نستطيع القول أنّ المرأة هي الخالقة للقصيدة قبل أن يقولها الشّاعر فيها (23)، لذلك نجد الشاعر يصور أشواقه وإحساسه نحو

المحبوبة وما يلقى منها من وصال وهجر، ومن وعد وإخلاف، صور سعادته وشقاءه وآماله وآلامه.

وهناك طائفة من الشعراء راحت تصور ما يلقاه العاشق المحبّ من شوق ووجد وهيام، وما يعانيه من ألم الفراق ولوعة البعاد، وكيف يسهر الليل ويرقب النجوم، يتغنّى بخيالها ويمنّي النفس بزورة من طيفها، وهو سهر متأمّل في طول الليل وثبات النجوم، أرق مضطرب لما يلقاه من حبّ عنيف يكاد يخبل العقل، وتعدّ قصيدة سويد بن أبي كاهل في طليعة هذا الضّرب من الغزل الذي يصوّر ما يعانيه الشاعر من وجد واشتياق ولوعة وحزن (24).

بَسَطَت رابِعَةُ الحَبلَ لَنا
فَوَصَلنا الحَبلَ مِنها ما اِتَّسَع
هَيَّجَ الشَّوْقَ خَيالٌ زائِرٌ
مِن حَبِيبٍ خَفِرٍ فِيه قَدْعْ
شاحِط جازَ إِلى أَرْحُلِنا
عُصَبَ الغاب طُرُوقاً لَمْ يُرَعْ
آنِسٍ كانَ إِذا ما اعْتَادَنِي
حالَ دُونَ النَّوْمِ مِنِّي فامْتَنَعْ
وكذاكَ الحُبُّ ما أَشْجَعَهُ
يَرْكَبُ الهَوْلَ ويَعْصِي مَنْ وَزَعْ
فأَبِيتُ الليلَ ما أَرْقُدُهُ
وبِعَيْنَيَّ إِذا نَجْمٌ طَلعْ

وتعدّ هذه القصيدة من عيون الشعر العربي في الغزل وتصوّر العواطف والصدق في المشاعر والإحساسات (25)، وما يكابده من تباريح الحزن والأسى فقد صرّح باشتياقه الذي هاج يوم رحيل المحبوبة .

وهذا الأعشى يعاني الإحساس بالألم من شدة اليأس وخيبة الأمل فيقول:

أَسهو لِهَمّي وَدائي فَهيَ تُسهِرُني
بانَت بِقَلبي وَأَمسى عِندَها غَلِقا
يا لَيتَها وَجَدَت بي ما وَجَدتُ بِها
وَكانَ حُبٌّ وَوَجدٌ دامَ فَاِتَّفَقا (26)

رسم صورة تبرز معاناته، وتؤكّد حالته النفسية وأرقه ساهراً يرعى النجوم متكئاً على مرفقه، وقد أضناه غرام الحبيبة، وحاول عبر كلمات الوجد والترادف (حبّ ووجد) تقوية المعاني التفصيلية فكان الأعشى مقتصداً أن يكون إيقاع قصيدته بطيئاً متساوقاً مع حالته ومعاناته وسهره.

ونجد من الشعراء الجاهليين من يجد لذة الحديث الذي ينطقه فم حبيبته، وأنّ العواطف المتأجّجة الصادقة التي ضمتها قصائد الشعراء ما هي إلا إعلان الشّاعر في حبّه ومشاعره، وإظهار أصوات نفسه، ونبضات قلبه، حين يجد الحسرة والألم، فينشد شعره في مكان معين أن يتناهى إلى

أسماع حبيبته، معبّراً عن ألمه وشوقه يقول المرقش الأكبر (27):

قُلْ لأسماء أَنْجزي الميعادا
وانْظُري أنْ تُزوِّدي منكِ زادا
أَينما كنتِ أو حَلَلتِ بأَرضٍ
أو بلادٍ أَحيَيْتِ تلكَ البلادا
فارْتَجِي أَن أَكونَ منكِ قريباً
فاسْألي الصَّادِرين والوُرَّادا
وإذا ما سَمعتِ من نحوِ أرضٍ
بِمُحِبٍّ قد ماتَ أَو قِيلَ كادا
فاعْلَمِي غيرَ عِلْمِ شَكٍّ بأنِّي
ذاكِ وأبْكِي لِمُصْفَدٍ أَنْ يُفادى

نلمح في نسيج هذه القصيدة التعبير عن حالة الشّاعر النفسية في ابتعاد الحبيبة، وما يعانيه من ألم الفراق، فألتجأ إلى التعدد الصوتي من خلال تكرار الأصوات (تُزوِّدي – زادا) و (فاعْلَمِي - غيرَ عِلْمِ) وتكرار الأصوات في حرف الحاء (حَلَلتِ- أَحيَيْتِ)، وتكرار حرف القاف (قل، قد، قيل) ومن خلال التضاد (الصَّادِرِين- الوُرَّادا) و (الموت - الحياة) معبّراً بذلك عن حبّه وخيبة أمله وتدفق نبضات قلبه، أو توقفها .

المبحث الثاني

التجربة الغزلية الحزينة في الشّعر الإسلامي

كان للإسلام أثره في نحو هذا الغزل، بما فرض على الناس من أن يغضوا أبصارهم ولا يأتوا بفاحشة ولا ينتهكوا الحرمات، فاتسم شعر الغزل في عصر صدر الإسلام بالغزل العفيف الذي لم يقف الإسلام بوجهه، والدليل على ذلك أنّ كعب بن زهير عندما مدح الرسول ﷺ بدأ قصيدته الشهيرة بالغزل ومنها (28):

بانَت سُعادُ فَقَلبي اليَومَ مَتبولُ
مُتَيَّمٌ إِثرَها لَم يُجزَ مَكبولُ
وَما سُعادُ غَداةَ البَينِ إِذ رَحَلوا
إِلّا أَغَنُّ غَضيضُ الطَرفِ مَكحولُ

أما في العصر الأموي فنجد الغزل يشيع على كل لسان وأخذ يتطوّر تطوّراً واسعاً، إذ أصبحت كثرته مقطوعة قصيرة، ولم يختلف هذا الغزل الجديد عن الغزل الجاهلي القديم في صورته الموسيقية والأسلوبية فحسب، فقد أخذ يختلف أيضاً في صورته المعنوية، إذ لم يعد تشبيباً بالديار وبكاءً على الأطلال، كما كان الجاهليون يصنعون في غزلهم، بل أصبح غالباً تصويراً لأحاسيس الحبّ التي سكبها المجتمع الجديد في نفوس الشّعراء، فهذا عمر بن أبي ربيعة نراه أحياناً يلهج بصبابته وحبه وما يذرف من وجد وألم متلطفاً لصاحبته مُلحّاً على أن تواصله بودها مستعطفاً متضرعاً بمثل قوله (29):

ما كُنتُ أَشعُرُ إِلّا مُذ عَرَفتُكُمُ
أَنَّ المَضاجِعَ تُمسي تُنبِتُ الإِبَرا
قَد لُمتُ قَلبي وَأَعياني بِواحِدَةٍ
فَقالَ لي لا تَلُمني وَادفَعِ القَدَرا

أما الأحوص عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت فكان في غزله شديد الصبابة يستأثر الحب بقلبه ويملك عليه كل شيء فيقول (30):

وما هُوَ إِلاّ أَنْ أَراها فُجاءَةً
فَأُبْهَتُ حتى ما أَكادُ أُجِيبُ
لَكِ اللهُ إِنِّي واصِلٌ ما وَصَلتِني
وَمُثنٍ بِما أَو لَيتِيني وَمُثيبُ
أُبُثُّكِ ما أَلقى وَفي النَفسِ حاجَةٌ
لَها بَينَ جِلدي والعِظامِ دَبيبُ

إنّ الألم والحزن والأسى ينفجر من تلك القصائد الغزلية التي تعبّر عن أسمى العواطف التي يفيض بها القلب الإنساني، غزل نحس فيه لذع الحرمان والحزن الذي يصدر عن نفس ملتاعة .

وقد ظلت هذه الصورة الرائعة للغزل العفيف بعد العصر الجاهلي ترافق العرب في عصورهم المختلفة، فقد تأثّر بها غير شاعر، بل عاشها كثير من الشّعراء في العصر الإسلامي، كما ظلت الرنة الحزينة ملازمة لشعر الغزل في هذه العصور.

فهو غزل عفيف يصور صفاء القلب وطهارة الضمير، كما يصور احتمال الآلام والمشقات في صور رائعة من الوجد .

وقد أشار ابن رشيق القيرواني إلى هذه الحقبة بقوله: " حق النسيب أن يكون حلو الألفاظ... شفاف الجوهر، يطرب الحزين " (31)

فالقصيدة الغزلية عندما تعبّر عن الأسى والندب والنواح، وعندما تصور مشاعر الحب بين الحبيب وحبيبته، إنما هي صورة واقعية من صور الشعر العربي التي تعبّر عن هذه العاطفة التي لا تخلو منها نفس من نفوس البشر.

ويبدو أنّ العاطفة جعلت من البكاء مصدراً من مصادر الراحة النفسية التي تلوذ بها نفس الشاعر في حالات كثيرة من السأم والوحدة والعزلة واضطراب المواقف التي عاشها.

لقد تطوّر الغزل في العصر الأموي تطوراً واسعاً، فهذا توبة بن الحمير الخفاجي تعلّق بليلى الأخيلية فأحبّها وأحبّته حتى " غدا من العشاق العذريين " (32)

وقد خطبها إلى أبيها فأبى أن يزوجه إياها، وقد قال فيها شعراً عذرياً أظهر فيه لها حبه وتودده حتى بعد زواجها غيره، ومن

أشهر أشعاره فيها قصيدته التي مطلعها (33):

نأتْكَ بليلى دارُها لا تَزورها
وشطّت نواها واستمَّر مريرُها
وقال رجال لا يَضيرُكَ نأيُها
بلى كلّ ما شفّ النفوسَ يضيرها
أليسَ يَضرُّ العينَ أنْ تُكثِرَ البُكا
ويُمنَعَ منها نَومُها وسُرورُها
أرى اليومَ يأتي دونَ ليلى كأنما
أتى دونَ ليلى حِجةٌ وشهورُها
لكلّ لقاءٍ نلتقيهِ بشاشةٌ
وإنْ كانَ حولا كلُّ يومٍ أزورُها

وتمتاز أشعاره في ليلى بأنها تمثل الحرمان وخيبة الأمل واليأس وهي ظاهرة نجدها في أغلب دواوين الشعراء العذريين عندما تمتزج برنة الألم، فقد كان الشاعر العذري صادقاً في ألمه وفي وصفه له " وكان يألم وكان ألمه يصف نفسه " (34)

إنّ القصيدة العذرية في الشعر العربي تجمع بين التودد إلى الحبيبة غزلاً عفيفاً قريباً من المثالية وبين رثاء النفس، صورة حزينة، متشائمة، سوداوية، نتيجة لخيبة الأمل والإخفاق في تجربة الحبّ.

إنها رثاء لنفس العاشق المحروم، فجميل يتغزّل ببثينة ليرثي نفسه معبّراً بذلك عن خيبة أمله، عن أساه وحزنه، عن عزوفه عن الدنيا، عن وحدته وعزلته اليائسة عندما يقول :(35)

لَقَد ذَرَفَت عَيني وَطالَ سُفوحُها
وَأَصبَحَ مِن نَفسي سَقيماً صَحيحُها
أَلا لَيتَنا نَحيا جَميعاً وَإِن نَمُت
يُجاوِرُ فِي المَوتى ضَريحي ضَريحُها
فَما أَنا في طولِ الحَياةِ بِراغِبٍ
إِذا قيلَ قَد سوّي عَلَيها صَفيحُها
أَظَلُّ نَهاري مُستَهاماً وَيَلتَقي
مَعَ اللَيلِ روحي في المَنامِ وَروحُها
فَهَل لِيَ في كِتمانِ حُبّيَ راحَةٌ
وَهَل تَنفَعَنّي بَوحَةٌ لَو أَبوحُها

لم يعد يبتهج بهذه الدنيا ذات الأماني والآمال بل عزف عنها على الرغم من إخلاصه وتعلقه ببثينة إلى مجرّد تحقيق ود بثينة له... إنها قناعة اليائس المحروم في غزله، يقول:

رفعتُ عن الدُّنيا المنى غيرَ وُدِّها
فما أسألُ الدُّنيا ولا أستزيدُها(36)

وتتجلى تشاؤميته في أشعاره الغزلية عندما يصوّر راحته واطمئنانه بالموت. إنّ الموت يبدو في قصائده رمزاً محبباً إلى نفسه استطاع أن يكثف فيه كل ما يطمح إليه من منى وآمال أخفقت تجربة الحبّ أن تحقق له شيئاً يسيراً منها، فتراه يحب الموت شريطة أن يجاور قبره قبر حبيبته(37).

أَعوذُ بِكَ اللَهُمَّ أَن تَشحَطَ النَوى
بِبَثنَةَ في أَدنى حَياتي وَلا حَشري
وَجاوِر إِذا ما متُّ بَيني وَبَينَها
فَيا حَبَّذا مَوتي إِذا جاوَرَت قَبري
عَدِمتُكَ مِن حُبٍّ أَما مِنكَ راحَةٌ
وَما بِكَ عَنّي مِن تَوانٍ وَلا فَترِ
أَلا أَيُّها الحُبُّ المُبَرِّحُ هَل تَرى
أَخا كَلَفٍ يُغرى بِحُبٍّ كَما أُغري

إن تعلق العاشق العذري بالموت والمثالية يبدو ظاهرة فنية في أغلب نماذج القصيدة العذرية، فهذه أبيات تروى لمجنون ليلى تتشابه في نظرتها العامة مع أبيات جميل التي مرّت بنا :

فَلَو تَلتَقي أَرواحُنا بَعدَ مَوتِنا
وَمِن دونِ رَمسَينا مِنَ الأَرضِ مَنكِبُ
لَظَلَّ صَدى رَمسي وَإِن كُنتُ رِمَّةً
لِصَوتِ صَدى لَيلى يَهُشُّ وَيَطرَبُ
وَلَو أَنَّ عَيناً طاوَعَتنِيَ لَم تَزَل
تَرَقرَقُ دَمعاً أَو دَماً حينَ تَسكُبُ
لقدْ عشتُ مِنْ ليلَى زماناً أُحبُّها
أخا الموتِ إذ بعضُ المحبِّينَ يكذبُ (38)

يتضح لنا من خلال أبياته أنه وحده العاشق المعذب المحروم المتألم الحزين وعلل تجربته على أنها صورة مثالية يجد فيها راحة نفسية تبعث في ذاته رغبة الاستمرار والبقاء، وتخلق فيه ديمومة الحب، ويقول أيضا (39):

لَقَد طالَ لَيلي وَاِستَهَلَّت مَدامِعي
وَفاضَت جُفوني وَالغَرامُ يَزيدُ
أُكابِدُ أَحزاني وَناري وَحَرقَتي
وَوَصلُكِ يا لَيلى أُراهُ بَعيدُ
أَلا لَيتَني قَد مِتُّ شَوقاً وَوَحشَةً
فَشَوقي وَحُزني لا يَزالُ جَديدُ
أَلا فَاِذكُري ما قَد بَقي مِن حُشاشَتي
فَقَد حانَ مَوتي وَالمَماتُ أُريدُ

إنّ هذه النماذج تمثل مرحلة مهمة في تطور قصيدة الغزل في الشعر العربي، إنّ الموت فيها رمز للحياة وديمومة الحبّ، وإن العاشق العذري يأبى الاعتراف بإخفاقه في تجربته لذلك نراه يلوذ بالحرمان واليأس، ويلجأ إلى الحزن والموت يبرز إخفاقه الباطني وليعلل شرعية العلاقة القائمة بينهما.

هذه الظاهرة الفنية في قصيدة الغزل العذري لا نجد لها مثيلاً آخر إلا عند العشاق العذريين، إذ إنّ قصائدهم تكشف عن تفاعل وامتزاج رثاء النفس بالغزل تفاعلاً وامتزاجاً فنيين صارا فيه غرضاً واحداً لا يمكن تحديد ملامح وخصوصية أي واحد منها دون الاعتماد على الآخر، لذلك فإنّ القصيدة الغزلية العذرية تختلف بهذه الخصوصية الفنية عن غيرها من القصائد الغزلية التي تعاصرت معها في العصر الأموي كمرثية جرير في زوجه خالدة التي تغزّل بها غزلاً رقيقاً يدل على

مدى تعلقه بها وحبه لها، وقد تجلّى هذا الحب في مرثاته المعروفة (40)

لَولا الحَياءُ لَعادَني اِستِعبارُ
وَلَزُرتُ قَبرَكِ وَالحَبيبُ يُزارُ

وهي أبيات تدل على أن الشاعر يحب خالدة حبّاً شديداً، وأنّ حزنه ولوعته وآلامه التي جسدها في هذه القصيدة صورة من صور حبّه لها، حاول من خلالها تصوير واقعه المؤلم تجاه زوج أحبها وأخلص لها، فهي رفيقة عمره، وشريكة حياته، ولكنّ جريراً – رغم صدق عواطفه وتأثره – يبدو متردّداً في إظهار تلك العواطف والمشاعر– كما هي – مصوّراً حزنه وبكاءه الذي "لولا الحياء" – على حد قوله – لأظهره بلا تردّد ولزار قبر حبيبته، فيصف ذكراها وما تركته في نفسه من ألم وأسى وهو ينظر إلى "ذوي التمائم من بنيه الصغار" فيبكي عليها واصفاً قبرها الذي رقدت فيه إلى الأبد فيقول :(41)

وَلَقَد نَظَرتُ وَما تَمَتُّعُ نَظرَةٍ
في اللَحدِ حَيثُ تَمَكَّنَ المِحفارُ
فَجَزاكِ رَبُّكِ في عَشيرِكِ نَظرَةً
وَسَقى صَداكِ مُجَلجِلٌ مِدرارُ
ولهتِ نفسيَ إذْ علتني كبرةٌ
وذوو التمائمِ منْ بنيكِ صغارُ
أرعى النجومَ وقدْ مضتْ غوريةً
عصبُ النجومِ كأنهنَّ صوارُ
نعمَ القرينُ وكنتِ علقَ مضنةٍ
وارى بنعفِ بليةَ الأحجارُ
عمرتْ مكرمةَ المساكِ وفارقتْ
ما مسها صلفٌ ولا إقتارُ
فَسَقى صَدى جَدَثٍ بِبُرقَةِ ضاحِكٍ
هَزِمٌ أَجَشُّ وَديمَةٌ مِدرارُ

إنّ هذه القصيدة الغزلية لجرير تمثّل موقفاً نفسياً وآخر اجتماعياً يحاول الشاعر أن ينفذ من خلالها إلى تصوير واقعه المؤلم الحزين " مجسداً دفقات حزنه، رغم أن العلاقة بينه وبين خالدة علاقة مشروعة، فهو في حيائه الذي ذكره في مطلع هذه القصيدة يصور شيئاً من الواقع الاجتماعي العام لعصره الذي ربما وجد في بكاء الحبيبة والزوج أو التغزل بها، قيداً اجتماعياً لا يستطيع الشاعر التمرد والخروج عليه لذلك بقيت هذه الرائية في حدود الرثاء والغزل قصيدة يتيمة في ديوان جرير تحمل شيئاً من تردده وإن كان صاحب أصالة في هذا الغرض (42).

الخاتمة:

بعد أن سمعنا نبرة الحزن والأسى عند شعراء الغزل وطوفنا معاً في عوالمهم وجدناهم منشدين مجيدين لهذه النبرة الحزينة تناقلت الرواة أشعارهم وأخبارهم ومآثرهم، فالصدق رائدهم والمحبة من طبعهم، فإنّ عشقوا شفت قلوبهم حتى

تكاد تراها وهي تطفر من بين أضلاعهم، وتسمع نبضات قلوبهم الوالهة الحزينة، وإن تذكّروا الأحبّة تصاعدت مناجاتهم في أفق العواطف المجتمعة، حيث يظل الحنين والأسى صوتاً مميزاً معبّراً عن أسرار قلوبهم.

فقد توصل البحث إلى النتائج الآتية:

- عبّر الشاعر في شعره الغزلي عن مشاعره عبر زفرات حادة، وحرقة موجعة وغربة دامية، ومن أشد مواجعه أنه لا يبوح بتجربته العاطفية إلا بعد أن يتسرب اليأس إليه، وإن صلته بالحياة ستنتهي لا محالة، لذلك كان غزله مغلفاً بالحزن والألم.

- احتلت الأطلال مطلع قصيدته واستطعنا أن نوضح تكثيف تجربة الشاعر فيها لتستوعب زخم معطيات الحياة في ضوء وعيه لتجربته وبواعثها النفسية، وشعوره بالحرمان والإحساس بالألم من خلال المقدمات الطللية التي ألقت على شعر الغزل في العصر الجاهلي نوعاً من الكآبة والحزن وظلت هذه المقدّمات تقليداً سائراً معمولاً به في شعر صدر الإسلام والعصر الأموي.

- تبيّن لنا أنّ الغزل العذري أصدق فنون الشعر وأقواها وذلك لحيويته ولاتصاله بطبيعة الإنسان وعواطفه ومشاعره، كما أنّ للغزل العذري خصائص وسمات تميزه عن غيره من الأشعار وأنه ثقافة إنسانية راقية ومتعة فنية رفيعة.

- برزت الحالة النفسية لكل شاعر من شعراء الغزل وبيئته ومجتمعه، فقد مزج جرير في غزله أسلوب الجاهليين وأسلوب العذريين المتيمين، كما كان من أخطر آراء الدكتور عبد القادر القط في ذلك تعليله نزعة الحزن في شعر عمر بن أبي ربيعة بيأس الحجازيين من استرداد سلطتهم السياسية، وما أصابهم من نكبات متوالية منذ مقتل عثمان بن عفّان ◌ وهو ما انعكس على شعره في صورة حزن عذري حباً واستعلاءً ولهو حضاري أحياناً أخرى.

وما تلك النتائج التي توصل إليها البحث التي ضمتها الخاتمة إلا ثمرة رحلة البحث الممتزجة بالمتعة العلمية، آمل أن أكون قد أسديت خدمة لتراثنا المجيد فيما قصدت إليه، وما الكمال إلا لله وحده، فهو نعم المولى ونعم النصير.

الهوامش:

1- ديوان امرئ القيس، ص 15.

2- لسان العرب: ابن منظور 3 / 1002 مادة (يأس) .

3- ديوان الحارث بن حلزة . ص 20.
4- ديوان مجنون ليلى، جمع وتحقيق وشرح عبد الستار أحمد فراج، دار مصر للطباعة، القاهرة، بلا تاريخ طبع، ص 44 .
5- لسان العرب: ابن منظور 1 / 87 مادة (ألم).
6- الألم النفسي والعضوي: د. عادل صادق، القاهرة الأهرام م،1986، ص11.
7- ديوان طرفة بن العبد، ص 5 .
8- ديوان الأعشى ت 80.
9- شعر الوقوف على الأطلال: د. عزة حسن، دمشق، 1963م، ص 6.
10 يُنظر شرح القصائد العشر: الخطيب التبريزي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط1، مطبعة المدني، القاهرة 1960 م، ص 287.
11- المصدر السابق، ص 14 – 15 .
12- ديوان امرئ القيس، ص 191 .
13- ديوان الحارث بن حلزة، ص 87 .
14- ديوان الأعشى، ص 55.
15- هرِ: اسم محبوبته، ديوان طرفة، ص 51.
16- ديوان طرفة بن العبد، ص 50.
17 المصدر نفسه، ص 46 .
18- المصدر نفسه، ص 46
19- المصدر نفسه، ص 76.
20- المصدر السابق، ص 116 .
21- المصدر نفسه، ص 120 .
22- المرأة في الشعر الجاهلي، د. علي الهاشمي، ص 88.
23- يُنظر، رمز المرأة في أدب أيام العرب د. عادل جاسم البياتي، ص 80.
24- المفضليات: المفضل الضبي، تحقيق شاكر وهارون،ط4 دار المعارف مصر 1964م، ص 191 – 192 .
25- يُنظر، الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه: يحيى الجبوري منشورات جامعة قاريونس بنغازي – ليبيا ط6 1993م، ص 169 .
26- ديوان الأعشى: 365 ق 80.
27- ديوان المرقش الأكبر.
28- دراسات في النّص الشعري عصر صدر الإسلام وبني أمية: د. عبده بدوي، ص 31.
29- ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص 167 .
30- يُنظر، تاريخ الأدب العربي الإسلامي: د. شوقي ضيف، ص 351.
31- العمدة: ابن رشيق القيرواني 2 / 114 .
32- ديوان توبة بن الحمير الخفاجي، تحقيق وتعليق وتقديم خليل إبراهيم العطية مطبعة الإرشاد بغداد 1968م، ص 11 .
33- المصدر نفسه، ص 27 – 28 .

34- طه حسين، حديث الأربعاء، دار المعارف بمصر، 1965م، 1/ 134.
35- ديوان جميل، جمع وتحقيق وشرح د. حسين نصار، دار مصر للطباعة، القاهرة، بلا تاريخ، ص 51 .
36- المصدر نفسه، ص 69 .
37- المصدر نفسه، ص 104 .
38- ديوان مجنون ليلى، جمع وتحقيق وشرح عبد الستار أحمد فراج، دار مصر للطباعة، القاهرة، بلا تاريخ طبع، ص 46.
39- المصدر نفسه، ص 100.
40- ديوان جرير، دار صادر، بيروت، 1964م، ص 154 .
41- المصدر نفسه، ص 155.
42- يُنظر، المرثاة الغزلية في الشعر العربي، د. عناء غزوان إسماعيل، مطبعة الزهراء، بغداد 1974م، ص 40.

المصادر والمراجع

-القرآن الكريم.
1- الألم النفسي والعضوي: د. عادل صادق، القاهرة، الأهرام، 1986م.
2- تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي: د. شوقي ضيف،دار المعارف بمصر، القاهرة 1963م.
3- حديث الأربعاء: طه حسين، دار المعارف بمصر، 1965م، ج1.
4- دراسات في النّص الشعري في عصر صدر الإسلام وبني أمية: د. عبده بدوي، منشورات ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 1408هـ – 1987م.
5- ديوان الأعشى: دار صادر، بيروت، 1966م.
ديوان الأعشى الكبير – شرح وتعليق محمد محمد حسين المطبعة النموذجية – مصر – 1950 .
6- ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ط3 دار المعارف بمصر 1958م.
7- ديوان توبة بن الحمير الخفاجي، تحقيق وتعليق وتقديم خليل إبراهيم العطية مطبعة الإرشاد بغداد 1968م.
8- ديوان جرير، دار صادر، بيروت، 1964م.
9- ديوان جميل، جمع وتحقيق وشرح د. حسين نصار، دار مصر للطباعة، القاهرة، بلا تاريخ.
10- ديوان الحارث بن حلزة.
11- ديوان طرفة بن العبد، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر 1380هـ – 1961م .
12- ديوان عمر بن أبي ربيعة، إعداد محمد عبد الرحيم، دار الراتب الجامعية، لبنان، بيروت، ط1، 2003م .
13- ديوان مجنون ليلى، جمع وتحقيق وشرح عبد الستار أحمد فراج، دار مصر للطباعة، القاهرة، بلا تاريخ.
14- شرح القصائد العشر: الخطيب التبريزي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط1، مطبعة المدني، القاهرة 1960 م، ط1.

15- شعر الوقوف على الأطلال: د. عزة حسن، دمشق، 1963م.
16- الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه: يحيى الجبوري منشورات جامعة قاريونس بنغازي ط6 – ليبيا ط6 1993م.
17- لسان العرب: ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم بن علي، إعداد يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، بلا تاريخ.
18- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ابن رشيق أبو علي الحسن القيرواني الأزدي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط4، 1972م.
19- المرأة في الشعر الجاهلي: د. أحمد محمد الحوفي، دار الفكر العربي، ط2، 1963م .
20- المرأة في الشعر الجاهلي: د. علي الهاشمي، مطبعة المعارف، بغداد، 1960م.
21- المرثاة الغزلية في الشعر العربي: د. عناء غزوان إسماعيل، مطبعة الزهراء، بغداد 1974م.
22- المفضليات: المفضل الضبي، تحقيق شاكر وهارون، ط4 دار المعارف مصر 1964م .

دوريات

- رمز المرأة في أدب أيام العرب د. عادل جاسم البياتي، بحث نشره في مجلة آفاق عربية، بغداد، العدد 12 لسنة 1977م .

"ربيع الكورونا"
رواية الآلام والآمال

محمّد البدوي (تونس)

شاع في كثير من الأذهان أن الأدب صورة للواقع وقيل انعكاس للواقع اليومي للإنسان، ونحن وإن كنّا لا نفصل تعسفيا بين الكاتب ومصادره المتنوعة لا ننكر حضور الواقع بين هذه المصادر، لأنه تفاعل يختلف من كاتب إلى آخر، ويمكن الإقرار بأن الأدب هو إعادة ترتيب العالم على نحو ما ينظر الكاتب ويشتهي، فيخلق شخصيات وينزّلها في المحيط الذي يراه مناسبا ويحرّكها على هواه وفق تصوّرات فكرية ودوافع نفسية. والمبدع الحق هو من ينجح في إيهامنا بأن هذه ألكائنات الورقية نعرفها ونتواصل معها ونبادلها العواطف والأفكار والأحاسيس.

وفي هذا الإطار تأتي رواية الدكتور أحمد رشراش "ربيع الكورونا"، وهي من وحي ما عاشته البشرية خلال هذا العام، ولم يشغل موضوع سياسي ولا فكري كلّ البشر ما شغلهم من أمر الكورونا حتّى صارت هاجسا ورعبا، وصارت مادّة للإبداع الفني والأدبي.

وأحمد الهادي رشراش أكاديمي ومثقف يواجه يوميا ما يعانيه وطنه ليبيا من حروب وصراع على السلطة ومن تآمر خارجي ومن أزمات اقتصادية وهو البلد الغني بثرواته، وينضاف إلى هذا هاجس الكورونا الذي تصدّر واجهة الأخبار في كل القنوات العالمية وحيّر البلدان المتقدمة التي تتوفر على إمكانيات علمية وصحية متطورة، وحبس أنفاس كل المتابعين في أنحاء الأرض كلّها، وبدأت أخبار انتشار المرض، وتسارع عدد الضحايا بشكل مفزع.

كيف لمثقف مبدع أن يبقى مكتوف اليدين ويلتزم الصمت أمام ما يحدث ويكتفي بالتباعد ولبس الكمامة؟ وما الغاية من الأدب إن بقي بعيدا عن المشهد ولا يستفيد ممّا يحدث يوميا ليصوغ ملحمة يمكن أن تبعث الأمل في النفوس، وهذا هو الذي حدا بالدكتور أحمد رشراش إلى نسج خيوط رواية نضجت على نار هادئة، تترجم ما عاشه جلّ الناس بطرق مختلفة، ومن شأنها أن تبعث الأمل في نفس قارئها .

وبما أنّ الكاتب لا يمتح من ذاكرة بيضاء فقد ضمّن المؤلف روايته كل شوقه إلى الفضاءات التي تشده إليها ذكريات عزيزة، وخلق كائنات ورقية جعلها قناعا لكثير من أصدقائه وأحبابه .

تقصّ الرواية سيرة طالب ليبي ناقش رسالة الماجستير في الإعلام الإلكتروني في مدينة شانغهاي الصينية، ولكن حدث الكورونا الذي أرعب الناس دفعه إلى ترك الصين الذي انطلق منها الوباء، وتقوده الصدفة إلى أن يلتقي صحفيتين تونسيتين كانتا في مهمة إعلامية في الصين وفي ووهان بالذات، وكان الحبّ من النظرة الأولى.

قد يبدو الأمر تقليديا رومانسيا، ولكنّ الرواية تقوم أساسا على تحليل العلاقات الإنسانية، وما يمكن أن تواجهه من تحدّيات وامتحانات، مع تنزيل الأحداث في عدد من الفضاءات القريبة من نفس الكاتب .

1-**المقوّم الزماني** :

كان للزمن دور أساسي في هذه الرواية وتحديد معالمها وأفقها. وبما أن الكورونا كانت القادح الأساسي لكل الأحداث، فقد كانت بداية أحداث الرواية مع تاريخ انتشار الجائحة في مارس 2020، وانتهت بأواخر سبتمبر من نفس السنة موعد الفراغ من الكتابة وتحويل المخطوط إلى الناشر .

وكان إيقاع الرواية أُفقيا انتظمت فيه الأحداث في تتابع منطقي باستثناء صفحات قليلة في ختام الرواية تحوّل فيها السرد إلى زمن الحلم فتحرّر السارد من قيود التاريخ والتوثيق وحقّق رغبته وحلمه بشكل مفاجئ للقارئ لا ينتبه منه إلا وهو يطالع هذه الجملة ليكتشف أنّ الأحداث لم تكن تاريخية وتسجيلية بل كانت حلما جميلا لم يتحقق في الواقع فكان هذا الخروج من مرارة الواقع اليومي إلى لذّة الحلم: "استبطأتْ أمّي عدم استيقاظي من النوم، وطول بقائي في الفراش؛ فدخلتْ إلى غرفتي ووجدتني أتململ في فراشي وأتصبّب عَرَقاً، وأتمتم بكلام غير مفهوم؛ فأخذتْ توقظني (عمر..

عمر.. هيا انهض.. لقد تأخّرتْ) ففزعتُ من نومي، وجلستُ في فراشي؛ فوجدتُ أمّي شاخصة أمامي، قلتُ لها: يبدو أنّها أضغاث أحلام! وقصصتُ عليها الحلم كاملاً.. فقالتْ: تفاءل خيراً يا بُني، فلعلّها تكون رؤيا صادقة"!

ومكّن هذا المقوم التاريخي الذي ضبط حدود الرواية من أن يعالج أحمد رشراش الواقع الليبي التي تتنازعه الصراعات الداخلية والمؤامرات الخارجية على حساب أمن المواطن وراحته الاجتماعية والاقتصادية فأوهم القارئ بالدقّة والتسجيل ليعرف كيف ينزّل الرواية في إطارها التاريخي :

"حصلتُ على حجزٍ عبر الخطوط الجوية الإماراتية (بكين – دبي / دبي – تونس) في رحلة صباح يوم الأحد، غرة مارس (2020م).

" -فالوضع كل عام يزداد سوءاً، والحروب ما تفتأ تدق طبولها، وتستعر حدّتها في المدن الليبية، إلى أنْ نشبتْ الحرب الأعنف في الصراع الليبي، بالعاصمة الليبية طرابلس، منذ مستهل شهر أبريل (2019م) ولم تضع أوزارها إلا في شهر يونيو (2020م) كانت جثث القتلى توارى التراب، في كلّ يوم تقريباً "

2- حضور المكان :

رغم قيمة الشخصيات والدور الأساسي الذي قامت به في دفع أحداث الرواية فإنّ المكان كان أساسيا وكان موضوع اهتمام الراوي والاحتفال به. ولئن كانت البداية من الصين موطن الجائحة، من مقرّ جامعة شانغهاي حيث تتم مناقشة شهادة الماجستير، ثمّ من فضاء مطار بيكين الذي يجمع الناس من كل الجنسيات، فيكون منطلقا لأكثر من قصّة نتيجة رغبة الناس عموما في التواصل بعيدا عن علاقاتهم القديمة، وكم حفلت المطارات ومحطات السفر بالقصص المفاجأة لتوفر الرغبة وظروف التواصل.

وتكمن أهميّة مطار بيكين أنّه كان نقطة انطلاق قصّة حبّ عاصفة.

لكنّ الفضاءات التي حضرت بكثافة هي تونس العاصمة ثم طرابلس وهو أمر طبيعي نظرا لعلاقة المؤلف ببلده .

أ- تونس :

حرص الدكتور أحمد رشراش على أن يجعل شخصياته تشترك في الانتساب إلى ليبيا وتونس في نفس الوقت، وما أكثر العائلات التي لها مثل هذه الجذور المشتركة. ومن شأن هذه الهوية المشتركة أن توفّر للراوي حريّة الوصف والانتقال بين البلدين فكان الحديث عن تونس وليبيا وكأنهما بلد واحد، يعرف تفاصيلهما

بدقة كبيرة. فكان الوصف أحيانا توثيقيا فغلبت النزعة التسجيلية على الرواية احتفالا بكل التفاصيل المتعلقة بالمكان سواء كانت مدنا (تونس، سوسة.) أو شوارع (شارع الحبيب بورقيبة، شارع باريس، شارع الحبيب ثامر) أو مقاهي (مقهى المسرح، مقهى البحيرة) أو نواحي سياحية (سيدي بوسعيد، المرسى، البحيرة وقرطاج لاند والمنزه..) أو إدارات (جريدة الشروق، مقر اتحاد الكتاب التونسيين...) أو فنادق (الباساج...) وكثيرا ما ارتبطت هذه التفاصيل المكانية بأوصاف رومانسية تترجم جمال المكان وجدارته بأن يكون مهدا لقصة الحب التي حرّكت أحداث الرواية :

"خرجتُ للتنزّه في شارع الحبيب بورقيبة، هذا المكان الذي أتنفس فيه الحياة.. وقفتُ قليلاً بجانب نافورة باب البحر، واستمعتُ إلى شيء من الموسيقى لشابٍ مبدعٍ يعزف على العود.. ثم خرجتُ أتمشّى قاصدة المجمع التجاري (البلمريوم) فإذا بي أراك جالساً في مقهى المسرح؛ فحدّثْتُ نفسي: يا إلهي! إنّه عمر، ماذا يفعل هنا؟ وتوجّهت فوراً تُجاهك.

" -ركنتُ سيارتي بشارع باريس، في مأوى قريب من الخطوط الجوية الليبية، وتوجّهتُ صوب شارع الحبيب بورقيبة"

- سيدي بوسعيد :

من أجمل ما يشدّ السائح إلى تونس فضاءاتها السياحية في الضاحية الشمالية وفي الأحياء الجديدة:

"وحلّ مساء السبت، كان مساءً صيفيّاً قائظاً. انطلقنا عند الساعة 4:00 مساء من المنزه الخامس، ووصلنا إلى سيدي بوسعيد حوالي 4:30.. بمجرد وصولنا قمنا بجولة في المدينة العتيقة الساحرة الجذابة، حيث الهندسة المعمارية الرائعة، والمباني الجميلة المميّزة باللونين الأبيض والأزرق، والشوارع الممهّدة بالحجارة المتعرّجة، التي تفوح بعبق التاريخ.. التقطنا بعض الصور الجميلة في شارع الدكتور حبيب، ببلدة السوق، وزرنا متحف دار العباني، وشربنا الشاي الذي يقدّم عادة من قبل العائلة في فناء المتحف.. ثم عرّجنا على قصر دار نجمة الزهراء، وهو مسكن قديم تمّ ترميمه، للرسام الفرنسي البارون رودولف ديرلنجي Le Baron Rodolphe d'Erlanger الذي أنتج عملاً رائعاً عن الموسيقى العربية، ويضم القصر حالياً العديد من المفروشات واللوحات والآلات الموسيقيةً.. كنّا نودّ القيام بمزيد من الجولات، لكننا تعبنا، وسَرَقَنَا الوقت؛ فقرّرنا الراحة وشرب القهوة في مقهى سيدي الشبعان..

ومن أجل تأصيل بقاء الشخصية في المناخ التونسي دفع الراوي بعمر إلى تأسيس شركة تابعة لاختصاصه ومقرّها بتونس :

..."ذهبت باكراً إلى مكتبي الذي استأجرته في شارع الحبيب ثامر بالعاصمة تونس؛ ليكون مقرَّ (شركة شيشنق للإنتاج الإعلامي والفني) التي شرعتُ في تأسيسها؛ لأطمئن على التجهيزات الجارية فيه.

سوسة :

ولم تستأثر العاصمة وحدها باهتمام الراوي لأنّ علاقة أحمد رشراش بالمدن التونسية عميقة وإقامته بها لفترات عديدة وهذا ما دفعه إلى الاحتفاء بمدينة سوسة وإن جاء هذا الأمر بعيدا عن قصّة الحبّ، ولعلّ حبّ المكان جزء من القصّة كاملة، فوفّر الراوي من العلاقات ما يجعل تنوّع المكان والحضور فيه طبيعيا :

" -اقترحت عليّ أمّي زيارة خالتي صليحة بمدينة سوسة،

- وجدنا خالتي صليحة في انتظارنا هي وابنها سفيان وابنتها بيّة، وبعد السلام والترحيب، انطلقنا إلى بيت خالتي في حومة بوحسينة...

- في المساء خرجتُ أنا وسفيان إلى شط بوجعفر، جلسنا قليلاً على الشاطئ، ثم جلسنا في مقهى العيّاشي لاحتساء القهوة،

- بعد يوم ذهبنا جميعاً إلى مرسى القنطاوي، حيث كانت خالتي تملك داراً هناك، استمتعنا بمرسى الميناء والسفن الراسية به، وقمنا برحلة بحرية في إحدى تلك السفن،

- وفي الليل جلسنا بجانب النافورة الراقصة، التي تصدر الأضواء والموسيقى، ويجلس حولها الناس، ويلتقطون الصور.

- في صبيحة اليوم التالي، ذهبنا إلى المدينة العتيقة، دخلنا إليها من الباب الجبلي، وتنزهنا في كوليزيه صولة، وساحة الجامع الكبير، واشترينا بعض الحاجيات من سوق الربع.. وفي المساء ذهبنا إلى مجمع التسوّق سليم سنتر، وجلسنا في مقهى الفيراندا، وتناولنا الشاي الأخضر باللوز، وبعض الحلويات، ومع الغروب تناولنا البيتزا والعصائر الباردة، ثم عدنا إلى مرسى القنطاوي " .

ب - طرابلس :

لا يخطر ببال أي قارئ يعرف المؤلّف ويدرك منذ البداية هوية الشخصية أن تغيب طرابلس عن هذه الرواية، وقد تحدّث عنها الراوي بكثير من الحب والألم

شعرا ونثرا لما تمرّ به من ظروف قاسية بعد أن كانت قبلة الزوار. ورغم إقامة عائلة الشخصية بتونس العاصمة بسبب ظرورف الحرب على غرار مئات العائلات الليبية فكان لا بدّ أن يحقّق عمر العدل في التواصل بين القطرين فكانت الرحلة إلى طرابلس ضرورية وهما رحلتان أولاهما في الواقع والثانية في الحلم. وكانت الزيارة الأولى من وحي الأحداث الراهنة بسبب عملية اختطاف أحد الأقارب .

ورغم أنّ ظروف الزيارة غير طبيعية وغير مريحة فكان لا بد من جولة تستعيد ميدان الشهداء وغيره من معالم المدينة:

" - فدخلنا من باب البحر، ووقفنا قليلاً تحت قوس ماركوس أوريليوس، ثمّ اتجهنا صوب ميدان الساعة، بالمدينة القديمة، ومنه إلى ميدان الشهداء، حيثُ الناس تطعم الحمام.. كان الحزن يخيّم عليها، رغم سحر جمالها.. اعتليتُ نافورة الميدان، وتوجّهتُ صوب السراي الحمراء، وأخذتُ أنشد مخاطباً طرابلس، عروس البحر الأبيض المتوسط الحزينة:

- إثر ذلك، خرجنا من ميدان الشهداء، وأخذنا نتنقل بين شارع عمر المختار، وشارع ميزران، وشارع هاييتي، وشارع البلدية، ثمّ انعطفنا إلى ميدان الغزالة، حيث كان تمثال الغزالة والحسناء، يُزيّن عروس البحر، منذ الغزو الإيطالي، مطلع القرن العشرين، ويُعدّ علامة من علاماتها الفارقة.. آلمني اختفاء الغزالة والحسناء؛ فانقبض قلبي، ولم أستطع البقاء هناك، مدة أطول؛ فغادرنا المكان، وعدنا إلى السيارة"

ولا يُخفي هذا الوصف ما فيه من حميمية وإعجاب واعتزاز بتاريخ البلد وحضارته، وهو مشوب بالحسرة من كلّ ما حدث باسم الثورة، التي انقلبت إلى مؤامرات خارجية تريد أن تستأثر بخيرات البلد وتحدد مستقبله على نحو ما يحلو لتجّار السياسة:

3- **الشخصيات** :

قامت الرواية على شخصيتين أساسيتين عمر وألفة ومن ورائهما أفراد العائلتين، وقد حرص أحمد رشراش أن يخلق تكاملا بين الأسرتين فجعل للشاب الليبي جذورا تونسية من جهة أمه منوبية المسدّي، ولحبيبته ألفة جذورا ليبية من جهة أبيها الحبيب الطرابلسي، وهو اختيار يترجم إيمان الكاتب بعمق العلاقة بين البلدين والشعبين .

ولو تأملنا في سرّ إسناد الأسماء إلى شخصيات الرواية لوجدنا أنها تستند إلى مرجعية تاريخية وذاتية. فالشخصية الرئيسية تحمل اسم البطل الليبي عمر

المختار رمز الكفاح والبطولة، أما الأسماء والألقاب الأخرى فهي شائعة ولها رمزية كاسم صليحة أو لقب المسدّي يحيل ضمنيا على اسم الدكتور عبد السلام المسدّي، علما أنّ أحمد رشراش له تقدير كبير لهذا الباحث وهو معجب به وبدراساته وقد ألّف كتاب "الأسلوبية" وهو نفس الاختصاص الذي اشتهر به الأستاذ عبد السلام المسدّي. أماّ محمّد ونجاة الحاضرين في الأمسية الشعرية، فقد أوردهما في صفحة الإهداء مع بعض التمويه بالتصرف في لقبي الشخصيتين. وله معهما صلة عميقة وتواصل لا يخفى على من يعرف الدكتور أحمد رشراش والساحة الثقافية في تونس. فلم تكن الأسماء اعتباطية ولا من فراغ .

- عمر :

كان السرد في كامل الرواية بضمير المتكلم المفرد على لسان عمر، وهذه الرؤية لم تمكّن السارد من أن يعطي القارئ بسطة عن ملامحه فكانت الصورة غائمة على خلاف صورة ألفة التي تفنّن عمر في وصفها.

- ألفة:

دفع الحب من نظرة أولى عمر إلى النظر إلى ألفة نظرة الإعجاب ويصحّ فيها المثل القائل: " عين الرضا عن كلّ عيب كليلة..." لذا جاء رسمها بالكلمات لوحة فنّية قدّمها الراوي بأجمل الكلمات وأعذبها:

"فجأةً ساقها القدر أمام ناظري؛ فوقعتْ عيناي عليها، وقد سطع نورها، وأشرقتْ بهجتها، وراقتْ نضارتها، وتألّق حسنها؛ فحصل لقاءٌ ودودٌ، قادتْ خُطاه صدفةٌ عجيبةٌ.. كانتْ فتاة حسناء، هيفاء، بيضاء، تكسو وجنتيها حمرةٌ كشقائق النعمان، فبدتْ لي وكأنها من فصيلة الورود، حلوة القدّ، متوسطة القامة، معتدلة الوزن، ريّا المعاصم، عبلة الساعدين، يغلب عليها الهدوء والوداعة، تجمّلها الحشمة، ويزيّنها الخجل، تبدو زاهية كفراشة الربيع.. جذابة تعتني بمظهرها وتهتم بأناقتها، ترتدي سروالاً أصفر، وقميصاً أزرق، ومعطفاً أصفرَ، فاقعاً لونه، وحذاء رياضياً أصفر، وتضع على رأسها وشاحاً أزرق، لا يُخفي خصلات شعرها الأشقر"...

وهذا الحبّ من النظرة الأولى كالذي تحدّث عنه ابن حزم في "طوق الحمامة" جعل الراوي يركّز الاهتمام على ألفة ليمتلئ من أوصافها ويمنح القارئ ما يدفعه إلى مشاركته الإعجاب والتماهي مع قصّة الحبّ وتصبح الرواية ممتعة.

- العاذل: نوفل

ككلّ قصص الحب لم تخل قصّة عمر وألفة من وجود عاذل يسعى إلى عرقلة

العلاقة العاطفية بين الشابين، فكان نوفل الخطيب الحريص على الارتباط بالبنت رغم نفورها منه، واكتشافها مع الأيام أنّه لا يمثل فارس الأحلام فكانت حدّة النفور منه. وفسّر نوفل هذا الجفاء بسبب وجود عمر في طريقه فسعى إلى إبعاده بالكلام أوّلا وحين لم يفلح سعى إلى تأجير شابين لاغتيال عمر في منعطف أحد الشوارع ذات مساء .

ويبدو أن الغاية من هذه القصّة أن تساهم في كشف حقيقة نوفل وفي رفعة أخلاق عمر الذي تنازل في المحكمة عن المطالبة بحقه في تتبع الجاني، إضافة إلى ما توفّره للرواية من عناصر التشويق التي تنقذ الحكاية ممّا قد يصيبها من رتابة بسبب تواصل الأحداث على نفس الوتيرة.

4- البناء الفنّي :

هذه الرواية هي الأولى في تجربة الدكتور أحمد رشراش، ورغم تشبعه بثقافة أكاديمية وتمرّسه بالعمل النقدي، فقد عمد إلى كتابة يسيرة دون تعقيد أو تجريب من شأنها أن تريح القارئ وتوفّر له قصّة حبّ رومانسية لا تخلو من عناصر التشويق والمفاجآت، كعملية خطف ابن العمّ في ليبيا وما صاحبها من تفاصيل تبرز أصالة الشعب الليبي وتآزر أفراده في الضرّاء بعيدا عن كلّ الشعارات السياسوية.

والتشويق الثاني تمثّل في محاولة اغتيال عمر عبر تأجير نفرين للقيام بالعملية.

وجوهر هذا التشويق أن تبرز الرواية عمق التواصل بين الشعبين الليبي والتونسي وكأنهما شعب واحد في بلدين، لذا يفكّر عمر في أن تكون شركته التي يحلم بها في تونس، من غير أن تغيب عنه ليبيا وناسها وتقاليدها .

- التوثيق :

غلب عنصر التوثيق على هذه الرواية التي حفلت بفقرات تسجيلية:

- توثيق صنوف الأطعمة في تونس وليبيا :

- قليل رجعتْ هي والفتاة العاملة عندهم بسفرتين، الأولى مليئة بالحلويات التونسية اللذيذة (كعك الورقة، وكعك العنبر، والصمصة، والبجاوية، وحلو اللوز) بدتْ لي من حلويات الجوهرة، والأخرى بها أكوابٌ مليئة بعصير الليمون البارد (السيترو) الذي أعشقه كثيراً في تونس..

- جلسنا نحتسي القهوة العربية بالزهر، مع تناول بعض الحلويات الليبية (الكعك الحلو- والكعك المالح- والمقروض) على إيقاع الأغاني الليبية القديمة

- في اليوم التالي، وكان يوم جمعة، بقيتُ صباحاً في بيت عمي، حيث اجتمعتْ

العائلة، وتناولنا (البازين)( ) وهو الغذاء المعتاد عند أغلب العائلات الليبية في هذا اليوم.

- توثيق الأغاني :

شغلت الأغنية الليبية ذهن أحمد رشراش لأنه يعتبرها من مقومات الشخصية ولم يذكر من القلادة إلا ما يحيط بالعنق، فاكتفى بذكر بعض ما ارتبط بالظروف العاطفية التي كان يمرّ بها عمر :.

- إيقاع الأغاني الليبية القديمة، من بينها أغنية (خوذ الريشة يا فنان.. وارسم زول اللي شقّاني.. صفة مزينها الرحمن.. نعجز نوصفها بلساني) للفنان نوري كمال، وأغنية (ما حيّراش القلب سحر جفونك.. الّلي حيّره معنى كلام عيونك) للفنان راسم فخري، وأغنية (لا تغيّب عنّي لا تغيب.. لا تغيّب خلّيك قريّب.. لا تغيّب يا الورد العاطر.. لا تغيّب يا الغيم الماطر) للفنانة تونس مفتاح.

- توثيق المسرح :

لم يكن التوثيق كاملا ولا تاريخا لهذا الفنّ، بل شذرات تفيد تجذّر هذا الفنّ في نفس الشخصية التي لم ينسها الضرب في أرض الله ما ترسخ في الذاكرة من أعلام نسجوا الحياة الفكرية والثقافية في ليبيا :

- توجّهتُ مع أبناء عمّي صوب مسرح الكشّاف؛ لحضور المسرحية الكوميدية (يوميات ليبي في حجر الكورونا) بطولة نخبة من الفنانين: (خدوجة صبري، وفتحي كحلول، وحاتم الكور، وبسمة الأطرش، وخالد كافو، وعبد الباسط أبوقندة) بمشاركة عدد من الوجوه الجديدة، من تأليف الكاتب منصور أبوشناف، وإخراج الفنان فتحي كحلول..

ويترجم هذا التوثيق تشبّث الكاتب بتفاصيل هويته التي هي جزء منه وإن ابتعد عنها في المكان لكنّها حاضرة في وجدانه. ولعلّ الغاية العميقة هي أنّ ليبيا ليست آبار بترول لمن ينهب، بل هي حضارة عريقة وثقافة متجدّدة لها بصماتها وجمالها وهي جديرة بالتدوين والتوثيق.

- الوصف:

حاول أحمد رشراش التنويع في أساليب الفنّ الروائي فاعتمد الحوار والوصف والوعي الباطني. وقام الوصف بدور كبير في نقل مختلف التفاصيل للقارئ حتّى لكأن قارئ الرواية يشاهد شريطا سينمائيا متكاملا، تحضر فيه مختلف الأوصاف المتعلقة بالشخصيات أو بالفضاءات :

- أخذتُ أتأمل في تقاسيم وجهها؛ كان حاجباها كقوس قرمزي، وأهداب عينيها كريش الطاووس، بدأ عشقها يتسريل إلى

قلبي بهدوء، حاولت النجاة منها، فتمزّقت أشرعتي برياح هواها، وغرق زورقي في بحر عينيها.. خجلتُ من كثرة النظر إليها وهي نائمة، فالتفتت إلى النافذة؛ لأستمتع بمناظر الجبال الخلابة تارة، والبحر تارة أخرى، مع التمعّن في السحب،

وجعل السارد من فصل الربيع عنوانا للرواية ولهذا تفنّن في تقديم وصف تسلطن في عرضه احتفاء بهذا الاختيار وهذه النزعة المتفائلة :

"ويظلّ الربيع عروس الفصول الأربعة، ووجه الدنيا المبتسم، بهوائه اللطيف الرقيق، ونسماته الخفيفة الهادئة، وشمسه الحنونة الدافئة، حيث تأخذ الأرض زينتها، وتكتسي حُلّتها، وترتدي لونها الأخضر، المرصّع بوروده الزكية رائحتُها، الزاهية ألوانُها، فتتلّون الأرض الخضراء، باللون الأبيض الناصع، والأصفر الفاقع، وتزينها شقائق النعمان، بلونها الأحمر القاني، وتزهر أشجار اللوز، والليمون، والبرتقال، والرمان، ويتغذّى النحل من رحيق الأزهار، وترفرف الفراشات الجميلة في البساتين، بألوانها الزاهية، وتتزيّن السماء باللوحات البهلوانية الرائعة لطيور الخطّاف، التي لا تكاد تتوقّف عن الطيران، وتنشد الطيور فوق أغصان الأشجار بعذب شدوها أجمل الألحان، تعزفها العصافير بزقزقتها، ويلحّنها الحمام بهديله "...

- تضمين الشعر :

على طريقة المؤلفات العربية القديمة كالمقامات و"الأغاني" وغيرهما، سعى أحمد رشراش إلى تضمين روايته جملة من القصائد العمودية والحرّة سعيا إلى مزيد الإيضاح لما للشعر من منزلة في قصص الحبّ، وحبّ الأوطان. وغير خاف على القارئ رغبة المؤلف في الكشف عن موهبته التي لم يسبق أن احتفل في ديوان، ولعلّ هذه الرواية تبشّر بميلاد روائي وشاعر معا .

- التحليل النفسي:

لم يقف الوصف عند ظاهر الأشياء فحاول أحمد رشراش نقل بواطن الشخصية، متابعا مختلف الحالات التي تمرّ بها في حالات الفرح والتوتر والخوف:

- انقضتْ كأنها ثلاث سنوات، في ظل الخوف من المرض، وانتظار انتهاء مدة الحجر من جهة، والبعد عن ألفة وانقطاع أخبارها من جهة أخرى، نُقِلْتُ بعدها إلى المستشفى، لإجراء الفحوص اللازمة، ومنذ أن وطأت قدماي المستشفى انتابني الذعر وتملكني الخوف، لما رأيته من لباس الأطباء، حيث كانوا كرجال الفضاء، أو

كمربي النحل، مغلفين بالكامل باللباس الأبيض؛ الأمر الذي جعلني أشعر بأنني في عالم آخر غير كوكب الأرض! بعد ذلك أُدخلتُ إلى حجرة التحاليل لسحب الدم، ثمّ نُقِلْتُ إلى غرفة بها معدات طبية وأجهزة التنفس الاصطناعي (الأكسجين) كان موقفاً رهيباً ومرعباً بكل المقاييس.

إن هذه الرواية البكر تبشّر بسارد أثبت قدرته على خلق الشخصيات والدفع بها في خضمّ الحياة، وتحميلها رسائل سياسية واجتماعية ونفسية بعيدا عن الشعارات ومنطق الإيديولوجيا من شأنها أن تشفي غليل القارئ وتبعث فيه الأمل على مقاومة الرعب الذي سكن الناس من هذا الوباء الذي حيّر الجميع وأعاد الناس إلى عهود سابقة كانت فيها الأوبئة تحصد الأرواح، ولعلّها المرة الأولى التي يضرب فيه الوباء كلّ أنحاء المعمورة، ومثل هذه الرواية تبعث الأمل في الشفاء وتجعل الحب سبيلا إلى الانتصار على كل ما من شأنه أن ينغص حياة الإنسان .

إن رواية "ربيع الكورونا" رسالة حبّ تتجاوز الجانب العاطفي لتشمل الجوانب السياسية التي تعصف بالدول وتجعل غول الحرب يعيث في البلاد فسادا والأولى أن ينتصر الحب والتآلف لبناء ثقافة جديدة وحضارة متطورة توفّر للإنسان ما به يحقق إنسانيته وتجعله يحسّ أن على هذه الأرض ما يستحقّ الحياة .

المؤلف والثورة في ليبيا :

لم يتردّد أحمد رشراش في فضح الواقع البائس في ليبيا خلال السنوات الماضية وإدانة الحالة التي قادت إليها الأحداث السياسية والعسكرية، فتحدث عن بعض العاملين والعاملات في المقاهي أو في مواقع أخرى في تونس بعد ما حدث لهم ولذويهم من اغتيالات وبؤس، وانتصار أحمد رشراش للثورة في بداياتها لا يرقى إليه شكّ:

..."عصفتْ بنا في بداية عام (2011م) رياح التغيير، التي كنّا نتوق إليها منذ عقود من الزمن، بعد أكثر من نصف قرن من الحكم المطلق للأفراد، متطلّعين إلى استنشاق نسمات الحرية، متشوّقين إلى التحوّل للدولة المدنية، دولة القانون والمؤسسات، التي تقوم على الديمقراطية، وتتيح لكلّ فرد حقّ تقرير المصير، واتخاذ القرار ".

وهذا الحلم تبخّر سريعا بعد انحراف الثورة عن أهدافها النبيلة :

..."فإذا بنا نستبدل الجلاّد بجلادين، والطاغوت بطواغيت، وإذ بالإرهاب يضرب بأطنابه في بلادنا؛ فتقطع الرؤوس

ويُلعب بها ككرة القدم بين الأقدام؛ فأُصبنا مصاباً جللاً في أمننا واستقرارنا، واستعصى علينا قوت يومنا؛ وكثر الهرج والمرج بيننا، وعمّت الفوضى في مدننا، وساد الفساد بمؤسساتنا، وطمعت الدول الاستعمارية الكبرى في خيراتنا؛ فتحوّلت بلادنا إلى ساحة حرب لهم بالوكالة... فالوضع كل عام يزداد سوءاً، والحروب ما تفتأ تدق طبولها، وتستعر حدّتها في المدن الليبية، إلى أنْ نشبتْ الحرب الأعنف في الصراع الليبي، بالعاصمة الليبية طرابلس، منذ مستهل شهر أبريل (2019م) ولم تضع أوزارها إلا في شهر يونيو (2020م)"

إنّ "ربيع الكورونا في ظاهرها رواية رومانسية، تبعث الأمل في النفوس، وتنتصر للتقارب بين القطرين تونس وليبيا لما بينهما من وشائج عميقة وعريقة، ومصالح مشتركة، وهذا الجانب الظاهر لا يخفي ما تترجمه الرواية من آلام وأحزان ودمار لم يسلم منه البشر ولا الحجر نتيجة التعنّت السياسي والصراع الإيديولوجي والطموحات الأجنبية، والرواية تريد أن تكون رسالة حبّ وسلام تستقيم معها الحياة في ليبيا لتستعيد ألقها وأمجادها وتواصل مسيرة البناء والعلم لتحقيق أحلام الأجيال بما لها من أعلام في مختلف الميادين، لذا جعل الدكتور أحمد رشراش الربيع عنوانا للأمل في المستقبل. ونرجو أن يكون توقّف الصراع العسكري في يونيو 2020 منطلقا لتحقيق الآمال والأحلام الفردية والجماعية.

المنستير 2 نوفمبر 2020

الصوفي والسوريالي في ديوان جوازا تقديره هو للشاعرة "ماجدة داغر"

د. ليلى لعوير، كلية الأدب والحضارة الإسلامية
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - الجزائر.

إن التصوف ظاهرة عامة في كل المجتمعات على اختلاف دياناتها ونزعاتها وهي مشترك إنساني تسعى فيه الأمم إلى استكمال مطالب الروح والمعرفة،وكل إنسان خلق وفي داخله حس تصوف تؤطره وتزيد فيه أو تنقص توجهاته وقناعاته وهو يبحث في عوالم الوجود عن ذاته وكيانه المشتت بأسئلة الغياب ومفاهيم تتجاوز الأنا لتستغرق آراء الأغيار التي تتعدد معها معاني الصوفية فترتبط بالرومنسية وتتحد بالوجودية وتتجاوزها إلى السوريالية التي تتعدى الواقع لترسم خرائط وجود للإنسان "فيغوص في لا وعيه لمساءلة ذاته مقصيا بذلك آليات العقل ممتلأ بنشوة الفرح الماورائي، بعيدا عن عالمه الأرضي احتفاء بالعالم الفني هناك،حيث تنسجم الذات مع عالمها، وتسكن إليه في ألفة" ومن ثم فالتصوف لم يرتبط بالديني وحده بل له أبعاد وتمظهرات أخرى لعلّ أبرزها بعد اللغة التي يتشكل بها الخطاب بعيدا عن تجارب الصوفية في علاقتهم مع الله العظيم

وأنا أقرأ ديوان جوازا تقديره هو للشاعرة اللبنانية ماجدة داغر لبستني حالة صوفية استغرقتها لغتها وأنا أحاول أن أفكك العنوان الذي وقفت عنده طويلا، أسأل عن جواز التحوّل من الأنا إلى الهو والأصل في الأنا الثبات هل هو الحلول في الآخر هل هو الاتحاد فيه. هل هو الاستتار والغيبة إذا حل، ومن هو هذا الآخر الذي يتشكل في الديوان بضمائر مختلفة؟ لم الاشتغال على ثنائية الوجوب والجواز؟ أي خيط فلسفي يربط اللغة بالمعنى؟ هل هو التصوف أم التسريل الذي ينفي سلطة العقل ويعرض المتناقض واللامنطقي وسيلة للتخاطب.

أبحرت في عوالم الديوان الذي ضم اثنين وعشرين قصيدة، جاءت كلّها بصيغ اسمية لتفيد الثبوت على قناعات الرؤية التي تحمل، والتي تمنحها مشروعية الاشتغال على أناها كما تشاء هي، وهي تمتطي التخييل والصور والإيحاء وسيلتها في التّعاطي مع المعاني لتجعل من الشعر كائنا لغويا يلبسها كما تشاء.

،لم يكن إهداؤها الديوان لأنسي الحاج اعتباطا" إلى أنسي الحاج آخر الآباء،أول القصيدة " بل هو يرسم ملامح طريق في تبني خط حداثته الشعرية وتتمثله نموذجها الأول والأوحد في الكتابة بتشكيلاته التي تراها ذروة الإبداع ومنتهاه وقد سمت قصائدها كتابات مائلة لميلها عن السائد والمألوف والعاقل إلى ما هو مختلف وهي تبني رؤيتها الشعرية تماما كما هو نهج أنسي الحاج. بوصف الشعر هو الأكثر حقيقة وهو لا يصبح الحقيقة الكاملة إلا في عالم آخر يصبح الشاعر فيه هو الذي يملك الحقيقة، متجاوزا بذلك دور الفيلسوف وحتى النبي لأن كليهما محصور في اعتقادهم بعالم الحقيقة الضيق والمرتبط حسبهم بالحضور حيث تصبح الحقيقة جوازا تقديره هو.

وهذا الهو، هو المطلق أو الآخر الذي يصنعه الشعر ولا يحتكم إلى مرجع. ويلبس المحلات باعتبار الجواز، أين يصحّ أن يحل محله الاسم الظاهر بصفة الضمير (هو)، وكأنّ حضور المسمى يمنع حضور الاسم، وغياب المسمى يسوغ ظهور الاسم، وهذا التداول الحتمي بحسب القاعدة اللغوية وهويعيد النظر في طبيعة العلاقة بين الذات الشاعرة والآخر والذات الشاعرة والوجود، والذات الشاعرة والحياة، والذات الشاعرة والكون والذات الشاعرة والمطلق والتي يحملها سؤال الجواز المتعالي عن الوجوب والذي يظهر جليا في العنوان " جوازا تقديره هو" أين يتلبّس الصوفي بالسريالي والسريالي بالصوفي عبر فلسفة الحلول والتي تقضي بثنائية الطبيعة الإنسانية : اللاهوت والناسوت النصرانية، فتصبح الأنا الشاعرة،مركز الفكر بتداعياته المتكررة التي تخترق عوالمها، فتعبر عنها بما تحسّه وتتبناهمن خلال رمزية وراء التعبير تدهش المتلقي وفي ذات الوقت تربكه لعسر الوصول إلى المعنى الذي يتجاوز الحسي،ويتجه وجهة صوفية نفسية تبحث عن كل مثالي وجمالي،أغرقت فيه الشاعرة، وهي تبحث عن العالم الكامل الجميل والأبدي الدائم، بحس الأنثى التي تمركزت في قصيدتها أغنيات بليتيس كرمز فينيقي أسطوري لبسته الشاعرة في إشارة إلى تفردّ أشعارها وتفرّد لمستها الأنثوية الشعرية الخاصة تماما كما تفردت الشاعرة الفينيقة بليتي وهي تكتب أغانيها من وحي

عيش في الطبيعة، كراعية في أعالي الجبال أين استيقظت الموسيقى في كلماتها، التي تتجاوز مخيال الإنسان وتتعداه فتقفز أناها عن أنا الوجوب المتعلق بالآخر، والمتمركز في الأنا الجمعي على أنه التفوق والإبداع والتفرد ليصبح جوازا تقديره هو،فتحلّ هي بما عندها من قدرات وتصبح الوجوب الذي يتحرك في عوالم القصيدة كما يشاء مرة بآليات الصوفي وأخري بآليات السريالي مرجعا وممارسة حسب الأنساقوالرؤى.التي تتشابك فيها عناوين الديوان وتتحد، لتومئ إلى ما ورائيات الشاعرة وهي تلتحف، "لا حدوث خلف أسوار المدينة " و "قلق الريح "، و"مرثية النزق "وأنا في عهدة النقطة " وغيرها من غوايات العناوين وسحرها الباذخ .التي تأخذك لا شعوريا إلى حيث الحضرة الصوفية اللغوية وإغراءاتها المتوارية خلف الكلمات والرموز، لتؤسس لعالم صوفي سوريالي، الحلول مطيتّه، واللغة التخييلية بنيانه .و مدار الصوفية في مناخ الشاعرة ماجدة داغر لا يتحدد بتلك الثنائية التي تحدث التوافق بين العبد والرب وتنزع بالعبد نحو تحقيق العبودية لله عز وجل،خضوعا وانكسارا بأبعاده المختلفة،كما هو الشأن في التصوف الإسلامي، وإنما عوالمها مختلفة تماما تنزع منزعا صوفيا مسيحيا يجعل من الحلول والاتحاد والانفصال أيضا وسيلتها في التباهي بالكلمات وصناعة كيمياء الشعر ولمحاته،أين يتشكل الأنا وفق رؤية شعرية تتجاوز الشخصاني إلى المطلق، والغيبي إلى الظاهري حيث تحل الذات الشاعرة في الأشياء لتؤكد أن " الحقيقة في مثل هذه اللحظة لا تجيء من خارج الكتاب أو الشرع أو القانون أو الأفكار والتعاليم، وإنّما تجيء من الداخل، من التجربة الحية من الحب ومن التواصل الحي مع الأشياء والكون،أين يتشكل وعي مختلف تماما عما هو سائد يحققه انخراطها في الوجود عبر ثلاثية مدرها صوفي " هي:

1. الطبيعة.

2. المرأة المتفردة.

3. الانخراط في الأبدي.

إن ما نلاحظه على مستوي هذه المدارت،أنّ الذائقة الشعرية لدى الشاعرة، تحتكم إلى رؤية حلوليةمستقاة من منابع عقيدتها المسيحية التي ترى في الحلول واجهة الحقيقة، وتمتد في آلياتها إلى السوريالية لتلخص أبجدياتها في كتابة النص الذي يحتكم في الديوان إلى الحلم الذي يقدم للإنسان واقعا جديدا،يتيح له مطابقات جديدة بينه وبين الوجود، ويفتح أمامه أبعادا جديدة تتفق فيها الصوفية والسوريالية وهي وحدة المتناقضات،ووحدة الوجود، كما تتكئ على

لغة شعرية خاصة، تكتفي بذاتها وبعناصرها لتبني عالما شعريا تجهله عناصره الأولية، متخذة من وحدة الأضداد حقلا للعبة اللغوية، ومن المتناقض والمتعارض والإشاري والرمزي وسيلتها في الكشف الغامض عن المقول الملغم بالكلمات الغامضة، أين يعسر الفهم، فيفتح أبواب التأويل والتخييل على مصراعيه حيث تتعدد المعاني المنتجة في القصيدة،وينتفي المعنى الواحد الوحيد الذي يجعل من تخريجاتي مجرد تأويل في متعدد، أمام نسق مخفي غير مكشوف لا يقول ذاته بسهولة،وإنما يحتاج ضرورة إلى ممارسات قرائية تأويلية تفتحه على المعنى الذي نحتاجه كما هي معطيات الفلسفة السوريالية .

ومن ثم، فإني لا أعتبر ما كتبته عن هذا الديوان وشاعرته المتميزة سوى بداية قرائية استرعت اهتمامي لكي أنفتح على مغاليق وإشكالات فلسفية وجودية تراهن على آليات قرائية ارتبطت بنصوصها الأخرى، تزيد في تفعيل المعرفة ووصل البعد الحداثي بعرض بديل يستلهم من ثقافات غيرية لينقد المختلف في الرؤية والآلية.

المراجع :

1. أدونيس: الصوفية والسوريالية، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط 3، سنة2006ص49
2. سفيان زدادقة: الحقيقة والسراب قراءة في البعد الصوفي عند أدونيس مرجعا وممارسة منشورات الاختلاف، ط1، سنة2008.
3. عبد القادر فيدوح: الرؤية والتأويل ديوان المطبوعات الجامعية ط1 الجزائرسنة1992.
4. علي الجارم ومصطفى أمين: النحو الواضح في قواعد اللغة العربية، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع (دت)، (دط)، ج 2، ص228، وانظر أيضا عباس حسن:النحو الوافي، دار المعارف، ط15، ج1.
5. كمال شاهين: صفحة سوريا التاريخ والحضارةaljaml.com تاريخ الدخول 2020/10/03
6. ماجدة داغر: ديوان جوازا تقديره هو.كتابات مائلة.دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2015.
7. موسوعة المصطلح النقدي:وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، مج1، بغدادسنة1982.

الكتابة في واقع متغير

محمد عطية محمود (مصر)

بين التفتت والتشظي، الذي أصاب الواقع، ومسَّ كل شيء، ونفذ إليه، وتغلغل فيه، أتت تيارات الكتابة (الراهنة !!!!)؛ لتعيد صياغة المشهد الأدبي والحياتي على نحو من الغرائبية، والإمعان في معانقة ظلال الأشياء الباهتة، فكل ما حولنا أصبح ظلاً غارقاً في سديمية تنحو نحو الرمادية الغامقة التي تتشابك فيها كل الأشياء وتتماهى الصور وتتداخل بتعسف مهدر لقيمة كل ما هو أصيل.. فربما أتى هذا المصطلح/ التسمية كقناع من أقنعة الحداثة، أو بحثاً عن وجه جديد تتجمل به مستجدات ومستحدثات الواقع المحيط/ المحبط الذي يحاول فرض طقوسه من خلال تيمات جديدة تعانق الواقع الأدبي المكتوب بإلقاء هذه الظلال عليه.. وكمحاولة للتنظير والتأطير لنسق جديد من أنساق مواكبة التحول والتطور. لكن الوعاء ربما لا ينضح بجديد متفرد، ومعبر حقيقي عن وجه الإبداع الخالص ..

وما بين تدرجات هذه الرمادية تقع فعاليات تلك الكتابة التي لا يمكننا بأي حال من الأحوال تسميتها بالجديدة، لأن كل أدب وكل إبداع هو على ماهيته جديد، فكل يوم بل كل ساعة، بل كل تفاعل لقلم مع الورق بغرض الكتابة، هو كتابة جديدة..

فعندما كتب تشيكوف في أواخر القرن التاسع عشر كان يكتب كتابة جديدة، وعندما كتب يوسف إدريس في منتصف القرن العشرين كان يكتب كتابة جديدة، وعندما لحق به المخزنجي وأصلان والمنسي قنديل، وغيرهم، وغيرهم من الأصوات والأقلام المتفردة في كافة مجالات الإبداع السردي والشعري، كانت كتابات جديدة، وكل ما كتب في مختلف العصور كان في وقته جديداً، ولكن الواقع هو الذي يختلف ويحسم توجهات الكتابة ومساراتها التي تتلون بتلون مراحل الواقع، ومراسمه المختلفة بكل تأكيد..

وعندما يكتب تيار ما بين ألفيتين، فهناك المزيد من الإشكاليات والدروب الفرعية لابد وأن تبدو للمتفحص، في حين لا يراها من يغرق في هذه السديمية الإبداعية، فربما تتوه منه ملامح الإبداع، إلا أن المبدع الذي يكتب من منطلق إحساسه بالتصاغر والتفتت، لا ينقذه إلا وعيه الذاتي والإبداعي بما يكتب، ذلك أن الكتابة الإبداعية الجادة مرهونة بالوعي الاستباقي الذي لابد وأن يكون متيقظاً داخل ذات المبدع، ليحرِّض على التغلغل والنفاذ في الحالة الابداعية المحتدمة، والمتأثرة بتداعيات وفعاليات الواقع الخارجي المتفتت، والذي يلقي بظلال التشظي كما أسلفنا..

هذه إشكالية لا نسقطها بكل تأكيد على العموم، عموم المشهد الكتابي الجديد / الراهن تحديداً. إلا أن التفتت والتشظي كسمة صارت تُعالج في كثير من الكتابات التي تحاول معانقة التجريب، أو تجاوزه . دون مرجعية جديدة ثابتة . نحو التجديد الذي هو غاية من الغايات القصوى التي تقع على عاتق الصفوة/ القلة التي لا تتنسم البشرية كلها على كافة مستويات الفكر والفن والإبداع، عبيرها إلا نادرا .

فهل ما تحقق لهذا المشهد، من زاوية الكتابة القصصية كرافد من روافد الكتابة الأدبية، يكفي لمعالجة أطراف هذه المعادلة الصعبة للكتابة، التي تتطلب من المتصدي لها التسلح بذخيرة متكئة علي تاريخ من الإبداع والتأصيل معاً، دون هوة عميقة ما بين ما سبقه، وما تمليه عليه الظروف الراهنة / الواهنة، لإنتاج ثقافة الهشاشة بدعوى التفتت الذي أصاب كل شيء، والتشظى الذي لحق بذاته هو..؟

ثمة كتابات قصصية تعانق العمق، وتغاير المألوف بحرص ووعي، لكن السائد هو الاستسهال المقيت الذي يؤدي بعمل أدبي/ نص مطلوب منه النفاذ إلى العمق، فيخالف المنشود، ويدور في فلك الخفة والنكتة على حساب الرصانة الأدبية واللغوية، ناهيك عن اعتماد قاصر على لغة دارجة لا ترتقي في كثير من الأحوال إلى مقام التعبير الفصيح اللازم للكتابة الأدبية التي تملك مفاتيحها اللغة في المقام الأول والأهم ..

"ما العمل الأدبي إلا لغة مشحونة بالفن و الدلالة.. عيزرا باوند .. "

فهل الحداثة هي تشويه اللغة والفن، واعتماد السهل الهين، والخروج عن قاعدة الفن، التي هي أسمى ما في الإبداع؟.. وهل السرعة الرهيبة التي يمر بها كل شيء والتحولات الهائلة، والتشتت المقصود وغير المقصود.. تتطلب منا أن نجاريها بغوغاء وتهور، وهوجاء ..؟

ولنأتي إلى إشكالية من إشكاليات الواقع الأدبي الراهن، وهي كتابة القصة القصيرة جداً، تلك التي اقتحمت المشهد الأدبي، بعد تسللها الحثيث من خلال الصحف والجرائد، التي اختزلت قيمتها وحجمها في هذه المساحة (الكبسولة) أو (البرشامة)، ثم جاءت على استحياء على هامش متن بعض المجموعات القصصية، حتى جاء الوقت (الراهن) الذي صار لها الوجود الأقوى من خلال إصدارات قصصية كاملة، ومحاور تحتفي بهذا النوع من المغامرة على مستوى الفكر والسرد واللغة، فالوعاء الجديد الذي تسربت إليه الكتابة القصصية لتملأه، وتكتفي بما تسمح به مساحة الومضة/ اللحظة العابرة/ نقطة الكمون العابرة التي تفجر هذا الحدث، (والذي ربما بُتر أو اختزل إلى حد الشح والفقر معا بفعل فاعل). هذا الوعاء هل يتوفر على قدر من الحبكة والدقة.. أم يعتمد على الاختصار والتلخيص وإلقاء ما في الجوف دون النظر الى أهمية وجود الفن في هذه المنظومة الصغيرة المتناهية في الصغر، والمطالبة بتفجير هذا الكون كله للخروج بجوهر القضية.. تلك سمة التباس وتداخل في المفاهيم المتعددة لذاك النوع الأدبي المعتمد على المفارقة والتكثيف والاختزال، والقائم على لغة مشحونة تعتمد منطق التراكيب الهندسية لإحداث هذا النسق المعماري المتماسك على قصره وكثافته ومدى متانتها وتحقيقها للنتيجة القياسية للعمل الأدبي الإبداعي، والتي تتناسب مع معطيات العصر، وتتواكب مع أفكاره الجريئة، وأحداثه المتخطية حدود العقل في غرائبية وتشظٍ.

أيضا فيما بين الكتابة ومحاولات التنظير والتقنين، ومدى القدرة على التماس مع الواقع المحيط المتغير، تبدو إشكالية القصة القصيرة جداً، في أصعب أوضاعها، كفن يغازل الشعر ويجافي السرد على نحو من التبرأ المذموم . أحياناً . لكن الواقع غير ذلك؛ فالقصة القصيرة جداً، يمكنها بكثير من الجهد والتركيز والتدقيق أن تكون مبضع جراح يتناسب إلى حد كبير مع هذه المرحلة من التشظي وانعدام الوزن، ذلك أن ما تطرحه من قضايا فلسفية قد يتجاوز ويتخطى ما تطرحه أشكال أدبية أخرى أعرق وأقدم, أكثر قدرة على النفاذ من خلال الواقع الأدبي والثقافي والتواجد الإعلامي، وتحت أضواء الاهتمام المؤسساتي، وربما يُحتفى بها على نطاق واسع من الترويج والإعلام، وإن كان بصورة غير رسمية في بعض حالات المراوغة والتفلت من الأسر .

ومن هذا المنطلق.. هل تتوازى إشكالية القصة القصيرة جدا مع إشكالية قصيدة النثر، في كونهما وليدتا مراحل متشابهة من

التفكك والانتقال من مرحلة إلى مرحلة وحقبة زمنية إلى أخرى فاصلة على المستوى الاجتماعي والسياسي والاقتصادي؟ أم أن المشهد قد تخلى عن هذه التقنية من الكتابة، وهي قد صارت جزءً منه، وتحمل سمات كثيرة من سماته، وتعبر . حال نجاحها . عن الكثير من نقاطه ودقائقه، وعموميات ملامحه الشائهة...؟ فهل انتقل هذا التشوه إلى القصة القصيرة ذلك الفن المراوغ الذي يعاني أزمة حقيقية على مستوى التلقي، وعلى مستوى النشر، وعلى مستوى المؤتمرات، وعلى مستوى الاهتمام النقدي وعلى مستوى الكتابة نفسها، وإن كانت راهنة تدعي الجدة، وإلى القصة القصيرة جدا التي تعاني مع بعض قصورها من الاغتراب، على الرغم من دعوات الترويج لها وامتهان كتابتها، والتخصص فيها.. في الوقت الذي تصدرت فيه الرواية المشهد الإبداعي الأدبي بجدارة، على الرغم من انعطافها هي الأخرى منعطفاً خطيراً، نحو كتابة جديدة شكلاً ومضموناً، ولكنها تحمل نفس السمات النفسية للمرحلة. فهل تحل القوالب الجديدة لكتابة الرواية، محل ما استقر في ذاكرة الإبداع الروائي من أعمال عانقت التركيز والثقل الفكري والإبداعي.. ذلك مما تحبل به العقول المؤرقة . في اعتقادي . في وقت تألقت فيه العديد من الأقلام الواعدة واستطاعت تقديم أعمال روائية تحاول الجمع بين الحالة الراهنة وهذا النسيج المتين المتوارث، والذي حتما يمس شغاف قلب الواقع الشائه، ولكن يلح السؤال :

-هل ستقاوم الرواية بمفاهيمها الجديدة، وأشكالها، ونماذجها المكرسة لمفهوم التعرية والفضح، والسقوط في دوائر العتمة والحيرة والالتباس، والدوران في فلك الهامش وواقعيته البذيئة، وبتناولها الجديد لكل هذا الراهن، وباعتمادها تقنيات تستقيها من كافة الأنواع الأدبية، وتذيبها لتنحت خصوصيات جديدة تجمع بها كل تلك السمات وتستمر في المواجهة؟

ثمة إشكالية أخرى يطرحها سؤال التعاطي الثقافي والأدبي التفاعلي لوسيلة الشبكة العنكبوتية، كوسيط إعلامي، وكوسيط ينتج مادة حوار ونقاش ومعايير جديدة للحكم على العمل الأدبي من خلال منتدياته وغرف حواره (الشات) أو chatting، ومدى تأثير هذه الشبكة وتلك الفعاليات في ما آل إليه حال الكتابة، والدخول في حالة إبداعية جديدة تتنفس في هذا الحيز (المضروب) أو غير الموثوق فيه ..

هل توفر هذه الشبكة المناخ الملائم لهذه الكتابات الجديدة أم أنها تقتل مساحات

الترقب والقلق الذي ينتاب المبدع/ الكاتب على عمله كي ينجح ويجتاز اختبارات النشر والإجازة التقليدية الورقية، ومن ثم الانضباط لمعايير الجدة والتقنية الفنية للكتابة، وخصوصا في مجال القصة القصيرة، والقصيرة جداً، والقصيدة أيضاً، حيث الأسهل والأسرع، مما شكل نوعا من الكتابة الـ (تيك أواى) take away المخصصة للمنتديات والمواقع المتساهلة في انتقاء المادة الإبداعية دون النظر إلى جديتها وتميزها على كافة مستويات العملية الإبداعية، وذلك أيضا مما ينسحب على الشعر، والنقد كمجال لاستنزاف هذه الرؤى الانطباعية التي نتجت من امتهان عمليات الحوار والتعليق على النصوص التي لا يجيزها متابع أو مراجع أو ضابط لإيقاع المنتدى الذي يروم . فقط . أعلى نسب المشاركة والحضور، وإن كان على حساب الحالة الإبداعية.. ذلك بالطبع بعيداً عن المواقع الثقافية المحترمة الجادة التي ربما تحملت عبءً كبيرا في عملية التمحيص والتدقيق والتقصي، من أجل انتقاء المادة الإبداعية التي تعبر عن الصدق والمعايير الفنية في الكتابة المنشورة بها، إن كانت كتابة تتعاطى التجريب ومحاولات التجديد الحذرة، والمبشرة في ذات الآن.

هل هذا المشهد من مشاهد الكتابة الإبداعية قادر على اكتساب أرضية جديدة في ظل هذه التشوهات.. أم أن جسد الثقافة لم يعد قادرا على تحمل الكثير من التجريب والمحاولة، والجراح التي لا يني يستريح منها، حتى تطفو على سطحه معلنة الحروب الفكرية والإبداعية التي تحاول أن تطغى على الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تطحن الكاتب كإنسان؟

ذاك تساؤل يطرح إجابة في ذات الوقت.. إن لم تعبر الكتابة . بجدية واقعها . عن الواقع المتغير، فمن يعبِّر إذن؟! وإن لم تتغير فكيف تُغير؟

في يقيني على الرغم من كل تلك الاعتراضات والعقبات أن الكتابة الراهنة/ الجديدة قد لامست جزءً كبيرا من شجون الوطن أينما كان، واستطاعت على نحو ما من التشتت أيضا أن ترسم صورة سديمية مشابهة، قد تصل إلى حد النقل والتسجيل المرعب لدقائق الواقع من خلال آليات للكتابة لا تعدم الصدق، والتي من الجائز أنها قد تمثل شهادات ربما غير كاملة، وغير مكتملة المعالم، ولكنها بلا شك تمثل مخاضا قويا لتيارات من الكتابة وآلياتها الراصدة المتفاعلة مع جسد الثقافة/ الوطن الذي ربما تشكل من جديد عبر كتابات راهنة تحاول التجدد،

ربما صارت يوما ما جديدة في تناولها الصادق لقضايا الهامش والمتن معاً لرسم المشهد العام، من خلال أصوات وأقلام جادة وإن قلت، وتوارت وسط الركام إلا أنها قادرة على البزوغ من أجل كتابة جديدة المفاهيم، وأكثر التصاقا بقضايا الثقافة والوطن، والإنسان.. وأكثر تعبيرا عن الذات بصدق، اقترابا من مفاهيم أكثر التصاقا بالواقع العملي، الإنساني، وأكثر اعتمادا على الذات/ الذوات المبدعة في إنتاج ثقافة غير مقولبة ولا موجهة، تتجه نحو عدم الاعتماد على طوابير الثقافة المدجنة، والمقيدة في بعض الأحوال لبعض من حريات الكتابة والانفتاح الفكري على آفاق أرحب من التميز والإبداع.. وبمرجعية فكرية وفنية لا تفقدها القدرة على الانطلاق في معانقة المفهوم المتجدد للفكر والإبداع لتحقيق هذه الكتابة الجديرة بتميز جدتها وراهنيتها الملتصقة بالواقع المعيش، حيث الكتابة الجادة بطبيعتها مغامرة تعانق الإبداع، وتحاول الاصطياد في المناطق الوعرة، والعميقة، والمنذر جوها بالهبوب العاصف، فمَنْ للحياة ومَنْ للمعاناة ومن للإنسانية غير كتابة متجددة . ربما لا تكون جديدة، ولكنها راهنة ملتصقة بأديم الأرض وزفير الأنفس المهتاجة ومعاناة أبناء تلك المرحلة السديمية بحق . تصمد في وجه تلك الأنواء، وتعافر بأقلام حاملي أمانتها.. وبإذعان لسلطة البقاء للأقوى والأصلح والأقدر على المضي في درب الإبداع المضني، ولمصفاة التاريخ؛ فربما تمخضت عن علامات جديدة للإبداع قد تميز هذا الواقع الراهن وتداعياته، وتلتصق به كعلامة تاريخية واجتماعية، كرهان على استمرار التوجه نحو الإنسان أينما كان، الذي هو مناط الإبداع ومحركه ومبدعه الأصيل.

الفشل .. الارتداد .. وسياق التاريخ!!

صلاح حسين الحداد

عندما يستشعر الإنسان ضرورة تغيير واقعه (غير المرضي عنه) وتتوافر الظروف والمعطيات لذلك، وتحين اللحظة التاريخية الحاسمة التي تمنحه القدرة والمبرر الكافي للتحرك تجاه التغيير بعد ترسخ قناعاته بضرورة هذا المشروع، تصبح قضية (الفعل) أمراً لا مناص منه، ليقع على هيئة (تحرك حقيقي) تجاه عملية التغيير، والذي يفترض أن يكون الإنسان قد تشكلت قناعاته تجاهه لغرض الفكاك من واقع يعتقد (سوءه) إلى آخر أفضل وأنسب بالنسبة إليه.

وتبقى قضية (المعالجات) و (الإجراءات) التي يتخذها لتحسين هذا الواقع قضية منفصلة عن إدراكه وقناعته بسوء واقعه وضرورة تغييره، مما يعني أنه قد لا يتمكن في لحظة ما من توفير (شروط) تحسين واقعه بالشكل المطلوب، مع ما يمكن أن يستجد من معطيات وظروف قد تفضي إلى (فشل) مشروعه كلياً أو جزئياً!!

إلا أن ذلك لا يصح مبرراً (للارتداد) و (الانتكاس) إلى الحالة الأولى من الواقع (المُفترض) أنه اقتنع بعدم صلاحياته ولا ملائمته لطموحاته ورؤيته لنمط العيش الذي يرتضيه لنفسه من خلاله!!

حتى وإن لاحظ خطأ تقييمه لهذا (الواقع) أصلاً، وهو أمر قد يحدث في بعض الحالات، لأنه وفي هذه الحالة يكون الآوان قد فات، باعتبار أن (الفعل) الذي إتُخذ في اتجاه التغيير سيكون قد صاحبته الكثير من المعطيات والظروف والمتغيرات في عديد المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ... وحتى الأخلاقية، مما يعني أن (الارتداد) ينطوي على مخاطر بالغة التعقيد قد تحيل القضية برمتها الى أزمات أعمق بكثير مما يتصور البعض!!

وهنا يفُترض أن يتجه الإنسان لتحليل وتفكيك (شروط التغيير) وجملة (المعالجات والإجراءات) التي تشجم عناء إتخاذها لإعادة تقييمها وتطويرها وإصلاحها بما يضمن توفير مناخ وشروط أفضل لمسيرة الإصلاح والتغيير، عوضاً عن الإرتداد والعودة الى الوراء ومحاولة ترميم وإعادة تشكيل (واقع) قد فقد سياقه التاريخي ولحظته التاريخية !!

إذاً فالفشل في التغيير:

1 - لا يعني تبديل صفة (الواقع) المراد تغييره من (سيء) إلى (ممتاز) أو حتى (جيد) أو (مقبول) !!

2 - لا يبرر العودة والإرتداد إلى واقع قد تكرست القناعة بضرورة تغييره، وفقد سياقه التاريخي أثناء محاولة التغيير!!

3 - يفرض ضرورة تعديل (إجراءات ومعالجات) التغيير العاجزة عن تحقيقه بأخرى أكثر نجاعة وواقعية وملائمة تأخذ في اعتبارها السياقات التاريخية الجديدة والتي فرضت واقعاً آخر بكل معطياته وظروفه وملابساته !!

وفي الختام ... نشير إلى أنه بالإمكان اكتشاف صدق هذه المعارف من خلال التمعُّن فيما يقع من حولنا من أحداث وما تقتضيها من مسببات ونتائج تبعاً للظروف والملابسات التي تحيط بهذا الحدث أو ذاك، ولا يكاد يخلو تحرك ما للإنسان في اتجاه ما إلا ويكون محكوماً بهذه القوانين.. الأمر الذي يتطلب استظهارها واكتشافها حتى نتمكن من توظيفها وتعديلها بما يتلائم مع الوقائع المستحدثة في ظروف وملابسات غير تلك السالفة الزمن، مما يسمح للمرء بالاستمرار والمواجهة والكفاح في سياق رحلته للسيطرة على المصير.

الشاعرة بدرية الأشهب:

أنا من نفس أمي وصوت رحاتها

حاورها: عبدالرحمن سلامة

بدرية إبراهيم الأشهب شاعرة رقيقة لقبت بشاعرة ليبيا، أبصرت النور في مدينة بنغازي وهى متيمة وعاشقة بمدينتها وتغنت بها في كثير من المناسبات وأفردت لها وللوطن عديد القصائد، شاعرة كانت سفيرة مميزة لعدد من المهرجانات التي شاركت فيها خارج الوطن، بدرية الأشهب امرأة عصامية ومعلمة فاضلة وشاعرة رقيقة تحب الحياة وتتغنى بالورد وبالنسمة الجميلة وبالبحر شاعرة مزجت في قصائدها ألواناً بطعم الوطن ونكهة الأصالة وعبق التراث الليبي، شاعرة عرفت نقطة ضعف الحس المرهف فبدأت بنقطة ضعف لكنها حققت نقاطا لا متناهية من القوة والجزالة والصدق والإحساس والشفافية، نلتقي في هذا العدد بشاعرة ليبيا بدرية الأشهب..

-أنا حقيقة سعيدة بهذا الحوار، وأنا سعيدة وأحمد الله أنني ابنة هذا الوطن

أنا بنت هاذي الأرض من .. طياتها
أنا من مطرها وعشبها .. والسيل
أنا من دماً سالت على .. جالاتها
نايات تجري في عروق .. الجيل
أنا من بَحَرْها ومن شجر .. غاباتها
من كل واحة وارفة .. بنخيل
أنا من سواحلها وهوا .. جناناتها
أنا م الرتم والطلح .. والقصيل

أنا من قرى متوسدة .. طيباتها
ف ظل المحبة عاشقة .. لمقيل
أنا من صحاري غازلة .. ذراتها
ثياب لانبياء وساحة .. التنزيل
أنا من أجبال أحقافها .. ثكناتها
لنار المعارك شاعلة .. الفتيل
أنا من نفس أمي وصوت .. رحاتها
وبكيت هجاويها عقاب .. الليل
وغناوة (الجباد) في .. حوشاتها
اللي جابت مخاوير أسمرة .. و النيل
أنا من عباه رحلن .. سداياتها
وتبقى العبا رمز لتراث .. أصيل
أنا بنت هاللي في (العقيلة) .. امباتها
ورا من (شبردق) ناظرات .. الويل
بنت السمايا وفقد .. فزاعاتها
اللي يخلن براريم النعال .. دقيل
باستشهادها تشري سنين .. حياتها
عليهن حكى (بوحويش) .. بالتفصيل
أنا (مبروكة العلاقية) في .. صولاتها
فوق من اللي أنشال الثقيل .. يشيل
أنا الفخر منقوش في .. ركاباتها
وين همزت طارت تقول .. هميل
أنا (مبروكة) أخت عيسى لابسة خلاطاتها
(الوكواك) فزعتها نهار .. الشيل
قدام قاضي ايطاليا .. وقفاتها
تاريخ لصبايا مالهنش .. مثيل
و(فاطمة عثمان) من .. نظراتها
تنبت قصايد رافضة .. التنكيل
ونا (مريم الحجلا) ف عقلها .. وثباتها
وين ردت على (البنكة) وهالت .. هيل
و(خديجة الجهمي) في المسا حكاياتها
يسرن كما سروة نسيم .. عليل
(عيشة المزوغية) وحزن .. مرثياتها
أشعار فوق من خد المسا .. أتسيل
وين ما حكت عن فقد .. ودّاداتها
)تاريت قزون الكبيرهبيل(
أنا الأم هاللي فاردة .. جناحاتها
علي عشها يوم فقد .. بوكمبيل
الصيت والعَصَر والصبر هن غاياتها
جبينها يستاهل .. التقبيل
انأ الليالي لو بخت .. نجماتها
يضون الليبيات كيف .. سهيل
أنا كتب للتاريخ في .. صفحاتها
نساء لابسات عقود .. وأكاليل
أنا كتب للتاريخ من .. صفحاتها
يطل الضياء واطيور .. أبابيل
أنا ليبيا أنا عزها .. وراياتها
مزروع في دمي صهيل .. الخيل
لا تقول أحضرية وغيرت .. عاداتها فيا
البداوة أصل .. ومفاعيل

-لماذا تكتب بدرية الأشهب؟

-لكل إنسان بداخله بعض الأفكار تبدأ في الطفولة ثم تتبلور في اتجاهات فنية وفي اتجاهات أدبية، وتمر في مرحلة مخاض وبعدها تتضح الرؤية وتتضح الاتجاهات، ويبدأ الإنسان يجمع شتات نفسه ليتخذ الطريق الذي فرضته عليه قريحته

ومستوى ذاته، فيجد نفسه يكتب ولزاماً يسمعه الآخرون، فالمبدع هو طائر يحب أن يغرد في كل فضاء فلذلك الإنسان يجمع شتات أفكاره في كتاب أو في لوحة أو في مقطوعة موسيقية في عمل غنائي وتكون البداية عندما تكون ايجابية تكون مدخل لهذا المجال.

-ما هى نقطة ضعف الشاعرة بدرية الأشهب؟

-الإنسان لديه العديد من نقاط الضعف الايجابية والسلبية ولكن من النقاط الضعف الايجابية هو ديواني نقطة ضعف الذي أصبح نقطة قوة وقريب إلى قلوب الناس.

-لديك أيضا إضافة إلى الشعر العامي كتابات فصيحة

-نعم فأنا أكتب الخاطرة وهناك من الكتاب والنقاد من قال أنها شعر فصيح غير أنني لا أريد أن أتورط في كتابة الشعر الفصيح ومع ذلك اكتب النص والخاطرة والتي لا أريد أخضعها لأي تقنين.

-محطة القصيدة المغناة ماذا تعني لك؟

-بداية أنا عملت في عام 1997 م عدة أعمال منها عمل غنائي للأطفال وضم العديد من القصائد، وعملت أيضا قصيدة وكانت أول عمل للملحن وأول عمل للمطرب ووجدت قبولاً لدى الناس ثم توالت الأعمال المغناة سواء في العاطفي أو الوطني لعدد من المطربين أمثال عمر الفيتوري وسعد الفيتوري وأيضا وفاء محمود ومريم السعفي، وأيضا عدد من المقدمات الغنائية لبعض المسلسلات التي غناها عدد من المطربين مثل سعد الفيتوري والفنان سيف النصر، وقدمت أربعة أشرطة للأطفال.

-أيضا لديك عدد من الأشرطة والأقراص الصلبة التي تحوي قصائد شعرية بصوتك

- نعم وهى كلها وسائل انتشار، مثلاً فالأغنية وسيلة انتشار في مجالها وهناك بعض الناس تحب الاستماع إلى الشعر بصوت الشاعر وهناك البعض الآخر يحب أن يقرأه وكل هذه الأشياء قنوات لتسويق الشاعر فوصول الصوت بشتى الوسائل مهم جداً للشاعر وأنا استعنت بهذه التسجيلات للوصول إلى محبي ومتذوقي الشعر.

-ما رأيك في الأصوات الشابة التي بدأت تصدح في سماء الشعر الليبي؟

-مثلما نحن تتلمذنا على يدي من سبقونا فهم أيضا يعتبروننا مدرسة شعرية فلا يأتي شئ من فراغ ونحن وجدنا أمامنا مدارس شعرية وقامات شعرية وأعجبنا بهم وقرأنا

لهم واستمعنا لهم وكانت في تلك الفترة لدينا محاولات والآن أيضا يوجد جيل آخر لابد أن نكون نحن مدرسته ولابد أن يستعين بنا وبالسابقين حتى يستطيع أن يقف فكلنا اخترنا أرضية لنقف عليها حتى نستطيع الانطلاق وكذلك كل جيل وحقيقة بدون ذكر أسماء فيوجد في ليبيا ومن معظم المدن أصوات شابة جميلة وممتازة جدا وشئ يبشر بالخير.

-ماذا تقولين عن هذا الانفلات الشعري فهناك كثير ممن يزاحمون الشعراء الحقيقيين من الشعراء المتطفلين؟

-لا يصح إلا الصحيح والنص الجميل يفرض نفسه في أي مكان سواء صدر عن مبتدئ أو شاعر مخضرم فالجميل يتفق عليه الجميع وما من أصوات كثيرة سقطت ولم تستطع الاستمرار لأن في النهاية لا يبقى إلا الشئ الرائع وبالنسبة للمحاولات الشعرية فكثيرون ممن يحاولون كتابة الشعر والباب مفتوح للجميع ولازالت هناك فراغات يستطيع الإنسان أن يكتب فيها.

-وماذا عن الملاحم الشعرية؟

-الملحمة لا بد أن تأخذ أسطورة معينة تتحدث عنها أو مرحلة جهادية، فالملاحم عادة تتحدث عن السير والتي فيها بطولة وابريتات أو أعمال مسرحية غنائية لكن من وجهة نظري الملحمة عمل كبير يحتاج إلى إمكانيات والى مواقع لتنفذ فيه هذه الأعمال الملحمة العناية هى سيرة مثل السيرة الهلالية ففيها القصة والبطولة وفيها الحوارات ولكن أن يأتي مجموعة من الشعراء وكل واحد يدلي بدلوه في موضوع واحد فهذا لا يطلق عليه عملاً ملحمياً وإنما يطلق عليه أوبرت .

-لمن تقرا بدرية الأشهب وهل ثمة شعراء ترين أنهم شكلوا ملامح الشعر الليبي؟

-لدينا الكثير من شعراء الأغنية وأنا اعتبر عبدالسلام قادربوه ومحمد مخلوف وعبدالهادي الشعالية وكثير من الشعراء الذين تتلمذ عليهم من سبقونا ونحن وأيضا من يأتي من بعدنا.

-هناك شعراء لديهم طقوس للكتابة فهل هناك أجواء تحيط بميلاد القصيدة؟

-فكرة القصيدة تداهمك في أي مكان ولكن كيف تقتنص هذه الفكرة فهي تدور في ذهنك فإمكانك ان تخترنها في ذهنك او تكتبها فأنت غير مجبر على أن تكتب القصيدة فور مداهمتها لك، كما أنه ليس للهواء أو البحر أو الأشجار دخل في ولادتها، وإنما تتوقف القصيدة على التقاطك أنت للفكرة وتترجم ما تراه

عينك، فالفكرة تقتنصها في لحظة وجدانية وتخلق منها عمل إبداعي

-وماذا عن دواوينك؟

-بداية أنا طبعت أربعة دواوين على حسابي الخاص وهى نقطة ضعف، أوراق خاصة، رفيف الغيم، قصائد خارج النص وطبعتها على حسابي الخاص ثم ديوان عيون الليل وأيضا السبحة والمنديل طبعتها عن طريق مجلس الثقافة العام، وأيضا ديوان قصائد تحت المطر عن المؤسسة العامة للثقافة أما كتاب معجم المفردات البنغازية فطبعته على حسابي الخاص

المبدع هو طائر يحب أن يغرد في كل فضاء

فكرة القصيدة تداهمك في أي مكان

وصول الصوت بشتى الوسائل مهم جداً للشاعر

الشاعرة/ بدرية الأشهب

-كيف جاءت فكرة كتاب معجم المفردات البنغازية؟

استغرق تأليف هذا الكتاب حوالي ثلاث سنوات لأنني أحسست أن كل من تحدثوا عن مدينة بنغازي تحدثوا من الناحية التاريخية وأهملوا الجانب الاجتماعي على الرغم من أن الجانب الاجتماعي جانب مهم جدا لأن فيه تأريخ مرحلة خروج ليبيا بعد الحرب العالمية الثانية، كيف بدأت حركة المجتمع؟ وكيف بدأ يتنامى المجتمع الليبي في هذه الفترة بعد خروجهم من مرحلة حرب ومرحلة فقر ومعاناة وكيف استطاع أن ينتشل نفسه منها، وما هي المفردات والأمور التي كانت تحدث وهذا العمل توثيق للأجيال القادمة حتى تعرف بنغازي كيف كانت في تلك الفترة، كما فيها عبرة كبيرة جدا من الحميمية التي كانت موجودة ومن الأشياء التي فقدت الآن من زحف المدينة إلى المدنية وبشكل خاطئ وتداخلت الثقافات واكتسبنا ثقافات أخرى فدخلت على قيمنا وحياتنا اليومية فأثرت فيها، فأنا في كتابي تناولت مرحلة النقاء التي كانت فيها المدينة حتى يقرأها القارئ ويستفيد منها، حيث حاولت الغوص عميقاً في الأيام البنغازية الماضية خاصة في مناطق خريبيش والصابري وسوق الحشيش، وتحدثت فيه عن الألعاب الشعبية والأزياء والأدوية وأسماءها و الجرود والأحذية والقابلات وأجواء

الأعراس وحفلات الختان والعطور والأعشاب والطب الشعبي وغيرها، فالجانب الاجتماعي مهم جداً واخذ مني جهداً وتعباً ومادة فأنا معلمة ولا أكسب من الحياة إلا مرتبي وجمعت منه ما أطبع به هذا الكتاب وكنت أتمنى ان يحظى بوافر من الحظ في التوزيع داخل وخارج ليبيا.

-وماذا عن اهتمامك بالتراث وبغناوي العلم؟

-أنا اخترت في كتابي معجم المفردات البنغازية ما يقال من غناوي العلم في أفراحنا وغناوة العلم في بنغازي لا تختلف عنها في المدن الليبية الأخرى وخصوصا في المنطقة الشرقية يمكن في المنطقة الشرقية امتازت بالرباعيات الشعبية وهي فن جميل جدا ورائع وفيه خصوصية المرأة وغناوة العلم في الأفراح فيها خصوصية المرأة وأتمنى أن أقوم بجمع كل أغاني الأفراح التي تقوم بتأليفها المرأة الليبية في المنطقة الشرقية كلها.

-لماذا لا تقومين بتأليف كتاب خاص عن غناوة العلم؟

-أنا ساهمت مساهمة فعلية في جمع كتاب بعنوان أغاني العلم ضمن لجنة لجمع عشرة آلاف غناوة على رأسهم الكاتبة خديجة بسيكري ومجموعة من الأدباء وجمعت أنا شخصيا حوالي ستة آلاف غناوة علم مع التصحيح والمراجعة والتصنيف واستغرق هذا العمل أكثر من سبعة أشهر وجمعنا في هذا العمل واللجنة التي كانت تظم عددا كبيرا بدأت تتضاءل واقتصرت تقريباً على ثلاثة أشخاص وكان هناك عبئاً كبيراً جداً علي في تجميع هذه الأعمال واستغرق مني وقتاً وجهدا كبيراً، ثم قمت بتصحيح كامل الكتاب وكان حقيقة سهر وجهد مضني.

-ما هو جديد الشاعرة بدرية الأشهب؟

-فى حوزتى الآن أربع مخطوطات وهى : صفحات بنغازية , خَربَشات على جِدار لوَطَنْ.

شعر باللهجة المحكية، جَناح الشوق (شعر شعبى)، كتاب فى الأدب الساخر بعنوان(خليك فى حالك)

-كلمة أخيرة:

-من شدة اليأس والإحباط باتت مناشدة المسؤولين بالاهتمام بالقوى الناعمة امر يثير الأعصاب.. أشكر حضوركم البهى. للجميع التحية

نزيف إثر آخر

(النزيف الثالث)

عـزّة المقـهور

أودعت جسدها الماء.. هكذا.. بكل بساطة، لم تقذف به ولم تدفعه. انزلق واستسلم بسلاسة.. كما زلة ادراكها وسقوطها في النوم وقت القيلولة، كما عجزها عن المقاومة، وكما تحلم بحواسها وتهيم بعيدا عما حولها، كما تمتص لحظات الفرح باستمتاع وكما تلتقط ثمرة أنهكها نضجها..

هكذا كانت تجربتها الثالثة.. سريعة دون عناء يذكر.. حتى صراخها الذي بدأ كتوما ومحتشما، انتهى سريعا بصرخة عالية وهي تشد شعرها دفعة واحدة، لتنزلق هديتها الثالثة من بين فخديها، وتحت ناظريها، فيضيء وجهها المنهك ما أن تناهى إليها صراخها.

قلّبت القابلة ملفها سريعا ثم أفصحت بوجه ممتعض عن بعض من العنصرية فيما هي في كامل ضعفها، لا قوة لها.. ليس هناك أضعف من امرأة في حالة وضع، تتألم وتلتوي على فراش، تستحي من إعلان ألمها، وتشعر بخوار قواها وما عليها إلا الانتظار..

كانت القابلة قصيرة القامة ممتلئة بشعر مجعد أشقر وعينين تضيقان من وراء نظارة طبية. أعلنت فجأة،

"حان نهاية دوامي"

فرحت للخبر. حلت أخرى شقراء شابة، بوجه صبوح مطعم بتقاطيع دقيقة، وابتسامة لا تكتمل إلا بإغلاقة من عينيها.

"أنا القابلة، سأبدأ دوامي بك"

حاولت الابتسام...

بصوت هادئ، قرأت عليها اسمها ومحل إقامتها.. سألتها عما إذا كان لديها أطفال

"نعم، بنتان"..

ردت مبتسمة، "أه.. هذه ستكون الثالثة"

"هل تعملين؟"

"نعم .. محامية"

توقفت القابلة لوهلة وبدا على وجهها تفكير عميق..

"تقيمين في "سوست"... تعملين محامية.. وجنسيتك..." صمتت، ثم بعينين ملؤهما الاستغراب، وبصوت عال نطقت..

"إذا أنت تعملين في القضية الشهيرة في زايست؟ "

مازالت تتألم، لا تعرف إن كان هذا الاكتشاف سيكون في صالحها من عدمه.. لم تكن سوى امرأة في حالة وضع.. تحاول استخراج صغيرتها منها لا أكثر. ما عدا ذلك لا وزن له في تلك اللحظات.

كان حضورها أسهل تجربة خلال أشهر من الكدّ. أمضت حملها في قاعات مغلقة، بعضها معتم بلا نوافذ وأخرى مضيئة لكن بزجاج محكم الإغلاق. استغرقها العمل المُضني حتى نسيت ذاتها، كانت كعجلة تدور حتى تفقد الشعور بالدوار. لم تنوي حملا ولم ترفضه...لم تكن فقط تفكر فيه .

في قاعة المحكمة التي أمضت فيها أشهر، انتفخ بطنها ببطء.. برزت وتكورت، لم تتحسسها أو تواكب شعور استدارتها، ورؤية جلدها يتمطط كنسيج متمغط، لم تخفض رأسها نحوها من حين لآخر وتدير راحة يدها عليها، لكنه في إحدى الجلسات شعرت برغبة في القيء أسرعت للخروج من القاعة بحثا عن هواء ينعش روحها وتناولت بعض الحلوى والعلكة.

كانت تنوء بحملين، أحدهما في أحشائها، والآخر على ظهرها.. وكان على أحدهما أن يأخذ حيزا أكبر من الآخر، فكان ذلك الحمل الذي حملته عن غيرها عبء قضية ثقيل.

تجهد بإنهاك وصغيرتها في أحشائها تنمو بينما القضية تتفرع وتثقل مستنداتها، وكان على صغيرتها أن تكبر على أصوات الاستجواب، والشهادات، وتفاصيل آراء خبراء الأدلة العلمية.. تستنشق عبرها رائحة الأوراق والمستندات التي كانت مهملة في أدراج معدنية لسنوات حتى غمرها الغبار والتراب.

ذات يوم كانت تبحث عن ملف قديم في إحدى الإدارات، وضعت كمامة قماشية وبدأت البحث عن دليل وسط أكوام من المستندات والملفات، عثرت عليه ضمن ملفات أخرى تحت طاولة فغير مجرى الاتهام، وحين صرخت فرحا، شعرت بها تصحو مذعورة وتتحرك في أحشائها، فجلست على كرسي مهمل وهدأت من نفسها وتركتها تسبح داخلها.. حتى هدأت وعادت إلى النوم.

لذا حين انزلقت إلى الحياة...كانت كما ترتمي في مياه المتوسط الباردة ذات صباح باكر في غفلة عن الشبابيك المحكمة الإغلاق، كان لزاما عليها أن تمنحها اسما.. يذكرها بصبرها وحلمها على مشقة ذاك العام، لم تنتبه إلى وجودها إلا حين تدور في مائها كسلحفاة البحر، أو حين يشتد إرهاقها وتثقل أنفاسها أو تشعر بالدوار.. أما أغلب الوقت كانت تحملها ولا تشعر بها، تتجاوزها ولا تتعثر بها. لم تتابع طبيبا، ولم ترها في جهاز التلفاز إلا قرب موعدها، لم تأكل من أجلها ولم تتجرع من الماء الكثير.. كان زادها حركة تتثاقل وضجيجا لابد وأن يصلها طنينا مقلقا، وجلوسا لساعات في قاعة مغلقة تستدعي انتباها حتى تتنفخ قدماها، فتنزع عنهما حذائها بعد أن يترك رسومات على قدميها وتحط بهما على صناديق المستندات المخبئة تحت طاولة الدفاع.

خرجت السّباحة من الماء.. مزقت الجدار وارتمت في موج الحياة. كان عليها بعد سنوات أن تفضي إليها بكل ما حدث ...

في بحيرة باردة على قمة جبل، تحف بها أشجار البلوط بجذعه العريض، والزيزفون بأوراقه الرقيقة الشفافة، والجوز بكرياتها الصلبة المشققة القلب، والقرانيا بأزهارها المنفوشة البيضاء، وشجيرات بنفسجية محملة بعناقيد الكرز، وشجر الأرز المزركشة، والزعرور البري

ذي العنبات الحمراء ككرات تمنع قشرتها عصيرها من الاندلاق، وأشجار الزان بأوراقها المتعرجة وثرياتها الرملية المدلاة .

كانتا تسبحان معا.. اودعتا جسديهما الخمسيني والعشريني معا.. وتحممتا متجاورتين في المياه العذبة، متجهتين نحو الضفة الأخرى للبحيرة.. تساوت المرأتان الفائرة والفاترة في الماء.

"هل أردتني يا ماما؟ "

"ماذا تقصدين؟"، دون أن تلتفت إليها وهي منهمكة في حركة يديها المتباعدتين.

"هل كنت ترغبين في انجابي؟ أنا البنت الثالثة" كانت تضحك وهي تحاول أن ترفع رأسها بعيدا عن الماء..

مر بط أسود برقبة مزركشة...

"هل ترين هذا البط"؟

"نعم، ماذا عنه؟"

"يبدو منهمكا، متحركا، منشغلا، حتى مترددا أي اتجاه يسلك؟" استطردت " كنتُ مثله عندما شغلت حيزا فيّ.. لم أع وجودك إلا بعد أربعة أشهر"..

"كيف ذلك؟".. كانتا ما تزالان تسبحان متجاورتان بذات الطريقة .

"هو كذلك...كنت أشعر بك بغريزتي بين الحين والآخر، لكنني في غمرة انشغالي أؤجل يقيني بوجودك فيّ".. ركلت الماء بقدمها بقوة وتقدمت على ابنتها وحركت يديها وهي تغرق نصف وجهها في الماء بينما النصف الآخر يقلب ما حولها وتعبئ رئتيها من فمها بالهواء ثم تزفره فقاعات تحت الماء...

تسارع الفتاة نحو أمها... تلحقها، وهي على يقين من أنها ستتوقف بعد مسافة ما..

"المهم أنني كنت متوقعة الوصول."

"طبعا طبعا.. كنت هدية جميلة، بعينين بنيتين وشعر كثيف داكن وناعم.. انزلقت مني كما تنزلقين الآن في الماء.. ما لم أكن أتوقعه هو أن ننزلق معا في هذا الماء العذب يا صغيرتي".. " كنت أدفع بك بقوة وكان على جلدي آثار ملح من بحر أزرق يتوسط العالم.. ها أنا اليوم أسبح معك في ماء عذب في غابة بعيدة."

ركلت قدميها مجددا وابتعدت، فلحقت بها.

تحركت البحيرة وهي تثير موجات قصيرة ومتجددة...ارتسم قلق على وجهها الذي بدا التعب ينال منه.

"ماما يشتد التيار "

"لا تبالي به.. قاوميه بذكاء"..

"كيف؟"

"لا تحاولي كسره فهو متجدد طالما الريح تدعمه.. اسبحي بميلان.. هكذا"

تبعت أمها وهي تقلدها.. لم تعد الموجات تواجههما وتلطم وجهيهما وتتسرب إلى أنفيهما.

كان صخب الشاطئ يخفت حتى تلاشى تماما، تنامى صوت طرطشة الماء وهي تنفجر إلى قطرات متناثرة، وحركة الذراعين تغرقان في الماء ثم ترتفعان على مهل، ورفيف بعض الطيور وهي تدغدغ بطن السماء. وكلما أوغلتا في الماء، اشتد الخضار على اليابسة المحيطة وتشابك الشجر حد السواد، ازداد الماء برودة وهو يغمر جسديهما المسطحان، تشغلهما التيارات عن تفاصيل لم تعد تهم أي منهما.. كانت قوة الحاضر أكثر كثافة، وكان الماضي يبتعد كما تبتعدان عن الشاطئ نحو مياه أكثر برودة وأقل بشرا.. امرأتان تسبحان جنبا إلى جنب بعد أن كانت إحداهن تسبح في الأخرى.

2020 /10 /9

تنــــاقــــض

عبدالرحمن امنيصير

يُسدل الليلُ ستاره فتتلألأ النجوم في السماء، يُصيبني الاضطراب.. لا أعلم لماذا؟ هل هو مرض نفسي أم أنني فقط أكره الليل !

متناقض كمن يعلنُ الحرب لإيجاد السلام، مشتت وضائع، كأدواتي المدرسية، فقدت السيطرة على نفسي، تارةً أرغب في الرحيل، تارةً أخرى أرغب في البَقاء، بوجوه كثيرة، بمزاجٍ متقلب. هناك شيءٌ في داخلي ما عاد ينبض، جفَّ دمعي واستوطن الحزن قلبي.

لم تعد الريح تهمسُ لأحد، ولم تعد هذه الشمس تغازل أحلامي والحقول ماتت فجأة وسط زنابقها .

وحيد كفزاعة في إحدى المزارع، حزين كأم حملت طفلها تسعة أشهر وفي موعد اللقاء أتاها بلا روح. أنا ابن الخيبات المتكررة، من تجرع كأسها كل صباح، كل صباح ولم يشاركني أحد، ريشة سقطت من جناح عصفور لم يعد لها انتماء !

ما يغلق هذا الشرخ في أعماقي؟

إنه يبتلعني بسرعة، مجرد تائه على عتبات الأحلام.. ابن نوبات الكآبة.. من كسرت الحياة ظهري، ولم يجمع أجزائي أحد. ابن الصمت والنداءات التي لن تصل، من وقع في حفرة فغدا سعيدًا، لأنه لن يقع مرة أخرى، الوحدة تنهش روحي، الفراغ يلتهمني، أكاد أُمحى من الوجود.. و ليتني أُمحى!.

ثلاثة أيام في المحيط

(مسرحية من فصل واحد.. من المسرح التجريبي)

قيس عمران اخليف

الشخصيات

رجال بعثة استكشافية: خليل، سعد، سالم، القبطان علي

صياد يقطن القطب الشمالي - ابنة الصياد

*

المشهد الأول

(صوت رعد قوي، في ليلة حالكة السواد وأمطار غزيرة، وصوت سفينة تغرق وأضواء تظهر وتختفي، وإذا بصوت ارتطام قارب على سطح البحر يتلوه الجو الممطر، ثم يهدأ كل شيء، وتبدأ خيوط الفجر في الظهور ويختفي الظلام رويدا رويدا، ويطلع نور الصباح ليكشف عن خلفية زرقاء وقارب صغير يتمايل يمنة ويسرى وتلوح يد أحد ركابه للخارج، وصوت هدير البحر يملأ المكان)

يظهر راكب آخر ينظر داخل القارب.

الراكب (1)(يصرخ): انهضوا؛ هيا.. خليل، سالم.. استيقظوا لقد نجونا، الله أنقذنا من هذه العاصفة الهوجاء.

(ينهض راكبان آخران في حالة رثة ولا تزال اليد مدلاة)

راكب (2): آه، يالها من ليلة.. كدنا نموت لولا استجابة الله لدعائنا.

راكب (3): إن دعائنا ليس السبب أيها الغبي، فنحن لسنا الوحيدين الذين طلبوا النجاة، لكنه الأجل الذي كتب لكل شخص منا.

راكب (1): هذا صحيح يا خليل، فقد أنقذنا الله من تلك العاصفة وأمدنا بالعمر المديد.

راكب (2)(لاه عن الحوار ينظر للراكب الرابع المدلي بيده خارج القارب): خليل، سعد... أنظرا القبطان علي موجود هنا، لقد نجا من العاصفة.

سعد (يقترب من القبطان ويبدأ في جس نبضه): آه.. يا للهول إنه جثة هامدة، يا إلهي لقد مات القبطان علي ولم يتحمل العاصفة القوية.

خليل: إنه القدر، لقد رحل عنا الرجل الذي كان دائما القدوة للبحارة والذي كان المخطط الأول لهذه الرحلة العظيمة.

سالم: لا تقل إنها عظيمة، أنظر لما نصل إلى القطب الشمالي كما أراد القبطان وتحطمت سفينتنا وفقدنا كل الرجال ولم يبق سوانا من ركاب السفينة، وها نحن هنا (ينظر حوله)في المحيط ننتظر رحمة الأقدار لعل هناك من يساعدنا، أو تأتي عاصفة أخرى لترجعنا لأصدقائنا الذين ماتوا... كلا، إنها بالتأكيد ليست عظيمة.. ليست عظيمة.

سعد: أيها السادة، دعونا نفكر في طريقة للنجاة، فنحن الآن صرنا لوحدنا، والمؤونة هنا قد لا تكفي رحلتنا على هذا القارب الصغير، علينا أن نفكر في الأسلوب الأمثل لقضاء حياتنا على سطح المحيط الواسع.

خليل: أنت تعلم يا سعد، إنني وسالم لا نجيد سوى تنفيذ الأوامر التي كان يسردها القبطان، أما أنت فإنك كما أعلم كنت تدرس في الأكاديمية البحرية، وبالتأكيد لديك معلومات عن الملاحة البحرية، فإننا نوافق على أن تكون قائدنا خلال هذه الرحلة.

سعد: إن معلوماتي بالتأكيد بسيطة، فقد تركت الأكاديمية البحرية في السنة الثانية والتحقت بالمحاماة، ولكنني سأحاول تذكر بعض ما تعلمته هناك.

(صمت لفترة قصيرة، ثم يقف الثلاثة ويحملون جثة القبطان علي ويرمونها في البحر).

(ستار)

*

المشهد الثاني

(الليل يلف المكان ويظهر خليل وسالم وسعد، وكل منهم يجدف بهدوء تبعا لنداء سعد،... هيلا هوب. وعلى حين غرة، تظهر زعنفة لسمكة قرش ثم تتلوها أخرى وأخرى، قطيع منها يتجه نحو القارب، وفي الجهة التي يوجد فيها سالم، تقفز واحدة نحو سالم)

يقف خليل ويصرخ: سالم انتبه...القرش خلفك.. انتبه.

(يتنبه سالم ويبتعد)

سعد: أين البندقية يا خليل.

خليل: إنها بجوار قنينة الماء.

(يتجه سعد نحو البندقية ويرفعها ويصوب نحو سمك القرش الذي يدور حول سفينتهم)

سالم: ما لذي تريد ان تفعله يا سعد.

سعد: سأصيب إحداها، فإن تمكنت منه بالرصاصات القليلة التي معي، فإننا سننجو - اليوم على الأقل.. فأنت تعلم أن القرش يتجه نحو رائحة الدم وسيكتفي هذا القطيع بزميلهم الليلة..

(ثم يدور بالبندقية ويصوب نحو واحدة منها).

سعد: لقد اخترت طعام عشائكم أيها القطيع الجائع.

(يطلق النار ولكن السمكة تفلت من الطلقة).

سعد: تبا لم يتبق سوى رصاصتين، سأريك أيتها الملعونة.

(يدور بالبندقية ة يطلق النار مجددا ويصيبها. يظهر اللون الأحمر القاني على سطح البحر) .

سعد: لقد أصبتها؛ اللعينة كادت تفلت مني.

(يتجه القطيع إلى تلك السمكة ثم تختفي زعانفها من على سطح الماء) .

خليل: يبدو أنهم أخذوها للأعماق، للاحتفال بعشائهم السمين.

سالم: يا رب السماء، لقد رأيت الموت أمام عيني ليومين متتالين، يا رب لم هذا العذاب، لماذا لا نموت دون هذا العذاب المؤلم.

سعد: تشجع يا سالم، فنحن أمام محن صعبة، ولا ندري ما يخبئه لنا القدر بعد هذا الحادث، لقد خرجنا كرحالة مستكشفين وعلينا تحمل الصعاب والوقوف في وجهها.

خليل: اجل، فرغم العاصفة وأسماك القرش إلا أن الله أراد لنا أن نحيا ونعيش، فلنتعاون معا لنصل إلى بر الأمان منتصرين.

(هدوء يلف المكان، والقارب يتمايل يمنة ويسارا ويخلد الأربعة للنوم).

(ستار)

*

المشهد الثالث

(صباح اليوم الثاني وثلاثتهم يجدف متتبعين نداء سعد: هيلا هوب... هيلا هوب).

خليل: إن الهدوء قاتل في هذا المحيط.

سالم: أجل، فلو كنت لوحدي لمت منذ أمد.

سعد: ها ها، يبدو أنكما مللتما التجديف وتريدون الراحة قليلا.

سالم: كلا، ولكن لقد مللنا الهدوء، والمشهد الذي نراه هو نفس المشهد، هذه المياه الزرقاء والسماء وهذه الشمس، لم نعد نستطيع الاستمرار.

سعد: أتعرفون يا سادة، نحن هنا نعاني من الهدوء، وعندما كنا في المدينة كنا نعاني من الضجيج فياله من تناقض يميز الإنسان، فهو لا يفتأ أن ينزعج من حياته ولا يقدر جمالها إلا بعد أن يرى المساوئ التي يحملها له القدر.

سالم: هذا صحيح، ولهذا نحن نشكو الهدوء الذي يحيط بنا.

سعد: إننا في منطقة لا توجد فيها تيارات بحرية، لذا سننتظر حتى تعود الرياح فتساعدنا في عملنا.

سالم: وماذا لو كانت الريح في عكس اتجاهنا؟

سعد: وليكن، المهم أن تحركنا وتوصلنا إلى بر الأمان.

خليل: إني أدعو الله أن يحدث ما تريد، لنجدف يا رفاق، (يردد بصوت عالي) :

هيلا يا واسع ...

يردد رفيقاه: هيلا... هيلا.. هيلا .

خليل: المركب واسع.

يردد رفيقاه: هيلا.. هيلا.. هيلا.

(و هكذا يرددونها لمرات عديدة).

(ستار)

*

المشهد الرابع

(وقت الليل، والثلاثة جالسون يتغنون ويسترجعون الذكريات).

خليل: لا.. أنا أعرفه ذلك الموشح، إنه يقول:

جادك الغيث إذا الغيث هما......... يا زمان الوصل بالأندلس

سالم: أجل هو كذلك، إنه من أجمل الموشحات الأندلسية.

سعد: آه، إن العرب كان لهم أثر كبير على تقدم الحضارة في أوروبا، إنه عصر مضى وولى.

خليل: ألم تسمعوا عن أوبرا عايدا، إنها أحمل ما كتب فيردي، ألا تعرفونه؛ إنه ايطالي لقد كتبها حبا في مال مصر، في جمال العرب بالتأكيد.

(خلال حديثهم تظهر زعانف أسماك القرش رويدا رويداً، وتحيط بالقارب دون أن يشعروا ودون سابق إنذار تقفز سمكة قرش فتمسك بخليل وتجره إليها وتغوص وإياه، وهو يصرخ ويستنجد، يقف سعد يبحث عن البندقية، فيجدها...يطلق سعد رصاصة خاطئة، لا تصيب السمكة).

سعد: تباً، لقد اكتملت الذخيرة، سالم خذ مجدافك وعلينا بهم، (يهاجم سعد وسالم أسماك القرش الأول يستخدم بندقيته كالعصا والثاني بمجدافه إلا أن سمك القرش يختفي في الأعماق بعد أن اكتفى بفريسته).

سالم (يبكي): إني لا أصدق عيني، لقد سحبته السمكة للبحر، دون أن يبدي أي منا حراكاً.

سعد: رحمه الله، كان رجلا قويا، رحماك يا رب.

سالم: لم يا ترى؟! لماذا كتب علينا هذا العذاب.. لماذا؟

سعد: إنه قضاء الله وقدره، فلا مرد لقضائه.

(يعود الهدوء ليلف المكان).

(ستار)

*****

المشهد الخامس

(سعد وسالم يجدفان متتبعين أغنية خليل) :

هيلا يا واسع.......... هيلا، هيلا، هيلا.

المركب واسع........ هيلا، هيلا، هيلا.

(تبدأ الريح تشتد)

سعد: الحمد لله لقد دخلنا إلى منطقة تيارات بحرية، الريح ستتكفل بنقلنا إلى الشاطئ.

سالم: الحمد لله لو كان خليل معنا لفرح كثيرا.

(الريح تشتد، والمركب يتمايل بقوة يمنة ويساراً)

سعد: حافظ على مسار الدفة يا سالم.

سالم: حاضر يا سيدي.

(ظلام شديد يتبعه ضباب).

سعد: إن الريح تشتد والعاصفة قوية، حاول أن تتماسك.

سالم: حسناً يا سيدي.(يبدأ مستوى المياه في الارتفاع وتبدو أنها ستغرق القارب الصغير، الذي يهتز بشدة هنا وهناك) .

سعد: سالم.. إني لا أراك، هل تسمعني؟

سالم: سيدي، النجدة.. إني أكاد أقع. (يظهر سالم وهو ممسك بمؤخرة القارب، يقترب منه سعد وهو يحمل حبلاً يقوم بربطه على حافة القارب).

سعد: ابق في مكانك ولا تتحرك، سأدير الدفة لوحدي.

(تتصادم الأمواج بالقارب، وتظهر موجة كبيرة وصراخ سعد وسالم ؛ يختفي سعد).

سالم (يصرخ): سعد أين أنت؟. سعد، عد يا سعد... سعد لا تتركني لوحدي.

(الهدوء يعود بعد فترة قليلة).

(ستار)

*

المشهد السادس

(الليل حان وسالم لا يزال مستلقيا في القارب، يفتح عينيه، فيجد نفسه مربوطاً نحو مؤخرة القارب، فيتذكر ما جرى).

سالم (يصرخ): سعد أين أنت؟. سعد..

(يفك قيده، يقف لوهلة غير مصدق لما حدث له).

سالم: أنا الذي تمنيت الموت، أبقى حيا أما خليل وسعد اللذان يحبان الحياة ويكافحان من أجلها رحلا، ترى كم بقى لي لأرحل أنا الآخر، هل ستأتي أسماك القرش، أم العواصف أم أشياء أخرى لا أعلم بها.

(يجلس قليلا يفكر، ثم يقف وقد اعترته حالة من الهيجان، ويتجه نحو المجداف ويحمله ويبدأ التجديف) .

سالم (و هو يغني):

هيلا يا واسع.... هيلا هيلا هيلا.

المركب واسع....هيلا هيلا هيلا.

(يكررها مرتين ويجدف)

يعود ويغني باكياً :

جادك الغيث إذا الغيث هما.... يا زمان الوصل بالأندلس.

(ثم يحادث نفسه وهو يبكي، إذ يردد ما قاله له رفيقاه):

لقد تركت الأكاديمية البحرية في السنة الثانية، والتحقت بالمحاماة.

(يقهقه)

لقد أصبتها اللعينة كادت تفلت مني.

(يقهقه)

إن الهدوء قاتل في هذا المحيط، لنجدف يا رفاق.

(يقهقه)

إن الله أراد لنا الحياة لنصل إلى بر الأمان منتصرين.

(يقهقه)

ألم تسمعوا عن أوبرا عايدة، لقد كتبها حباً في العرب.

(يقهقه)

(صوت رياح قادمة من بعيد وظلام)

(ستار)

*

المشهد السابع

(سالم مستلق على صخرة كبيرة، خلفية ثلجية ويسمع صوت كلب قادم من بعيد وزلاجة. يقترب صياد يرتدي ملابس سكان القطب الشمالي مع كلبه وزلاجته بالقرب من سالم).

الصياد (يجس نبض سالم): إنه لا يزال حياً، الحمد لله سأنقله إلى المنزل لعله يستعيد صحته فأعرف من قصته.

(يحمله ويضعه على الزلاجة ويمضي به).

(صوت موسيقى ويختفي الصياد) .

(ستار)

*

المشهد الثامن

(غرفة صغيرة مضيئة يجلس الصياد بقرب المدفأة، بينما ابنته تجلس بجوار سالم على السرير. يصحو سالم ويبدأ بتذكر الأحداث وهو صامت ومن ثم ينهمر الدمع على خديه،

تعطيه ابنة الصياد كوباً من الشاي الساخن الذي يتصاعد دخانه بشكل واضح. يمر وقت مع موسيقى إذ يقوم سالم بتحريك يديه على أنه يروي حكايته).

سالم: وهذه هي قصتي منذ بدأنا هذه الرحلة اللعينة.

الصياد: إن الله أراد لك أن تنجو وتحيا، فلعله سيكون لك شأن عما قريب.

سالم: إنه قضاء الله وقدره.... ولا مرد لقضائه.

ابنة الصياد: إن أبي هو زعيم الصيادين في هذه المنطقة بأكملها وبالتأكيد إنك ستجد في ظله حياة طيبة تعوضك عن الحياة الصعبة التي لاقيتها.

سالم: الحمد لله... آه، لقد كنت الأكثر هلعاً وخوفاً، ولكن هذه الرحلة علمتني أن الخوف والهلع ليس لهما مكان في هذا العالم.

الصياد: أما آن لك أن تنسى، هيا بنا يا سالم سنقوم معاً بأول رحلة صيد لتتعلم هذه المهنة.

سالم: رحلة أخرى، يا رب متى ينتهي العذاب.

الصياد: اطمئن رحلتنا لا وجود فيها لأسماك القرش أو العواصف، إنها متعة وعمل

(يضحك ثلاثتهم).

(ستار)

ليل المحاذير

علي الجمل

كـي لا يُـصـارِعَ حـرْفـاً نـبـضُـهُ احـتـدَمـا
شـدَّ الـقـوافـي إلـى عـيـنـيـكِ وانـهـزَمـا

وَاحـتـالَ لِـلـصّـبـرِ أنْ تـغـشـاهُ ذاكِـرَةٌ
عَـجْـلـى تُـعـمّـدُ فـي كـاسـاتـِهِ الألَـمـا

يـكـادُ يـقـرأُ فـي كـفّـيـكِ دَهـشـتـهُ
مـا جسَّ صـمـتـكِ مُـرْتـابـاً وَمُـتّـهـمـا

مـا تُـنـكـِريـنَ... ؟! سُـؤالاتٌ يُـؤرِّقُـهـا
لـيْـلُ المَحَاذِيـرِ وَالشّـكُّ الذِي اقـتـحـمـا

إذْ تُـنـصـتِـيـنَ... وَمـِنْ أنـفـاسِـهِ نُـسِـجـتْ
تِـلـكَ الـقـصـائـِدُ يـسـتـجـدِي بِـهَا النّدَمـا

وَإذْ تـغـاريـنَ... مِـنْ دُورٍ وَمِـنْ صُـوَرٍ
وَمِـنْ وُجُـوهٍ وَمِـنْ مـاضٍ لـهُ ابـتـسـمـا

مـازَالَ يـنـبُـشُ فِـي أفـيـاءِ هـاجِـرَةٍ
يُـسـائِـلُ النَّـجْمَ عَنـكِ اليَوْمَ مـا احْـتـكَمـا

طـيْـفٌ يُـعـاصِـيـهِ هـلْ شـرَّعـتِ غـيْـبـتـهُ
لِـتَـسْـتَـحِـيْلَ الرُّؤَى فِي جَـفْـنِـهِ عـدَمـا

وَتَـسْـتَـجِـيْـرَ مـعَ الأسْـحَـارِ أخْـيِـلَـةٌ
بِـالغَـائِـرَاتِ الـتِـي كـمْ أوْقـدَتْ سـقـمـا

لا لـمْ يـجِـدْ... وَقِـرَى أسـفـارِهِ حـُرَقٌ
إلاَّكِ مـُلْـهِـمَـةً... بـدْءًا وَمـُخْـتـتـمـا

أوْلَـى بِـظَـنـِّكِ أنْ يـبْـكِـيـهِ مـُعْـتـذِرًا
لـوْلاكِ لـمْ يـشْـتـعِـلْ شـيْـبـاً وَلا هـرَمـا

صِـنْـوَانِ... أنـتِ وَحـتْـمـاً لِـيْـبِـيـا لـكُـمـا
شـوْقٌ يـؤوبُ وَقـلـبٌ بِـالهَوَى اعـتـصَـمـا

الخميس الموافق 10 / 09 / 2020 م

عـزف منفـرد

الاسعد الجميعي (تونس)

(هذه القصيدة، كتبتها وألقيتها هناك في الجبل "كاف المعبودة بماركي"، بعد إحساس موجع بالغربة والإحباط.. لا أحد يهتم بما تقول، لا أحد يستمع لقصائدك، لا أحد يقرأ لك...، كنت وحدي هناك وحدي بين الهضاب، وكانت عناصر القصيدة أمامي حيّة تتنفّس: الأشجار والنّحل والعصفور اليتيم..)

أعزف على ريـح الصّبا

حين تهبّ ..

أعزف لصبايا الحيّ

في غيابهنّ وغيابي

أعزف لما تبقّى في الذّاكرة

من صدى أصحابي

أعزف وأنتحب

لكن لا يسمعني أحد ..

أعزف لجمهور بديع

من الشّجر

ولنحل غافل

عن معارك البشر ..

ولعصفور يتيم

قطع عنّي نوبة البكاء

قال: "ألست منهم؟ "

قلت: بلى ..

لكنّي أحلم منذ كنت طفلا

أن أمشي مغمض العينين

إلى أبعد أغنيات الغجر

الّذين لا ماضي لهم

كي يفخروا بالموتى

ولا يؤرّقهم غد ..

أعزف على اللّغة المعتّقة

في دنان الخمر

حتّى إن أسقطوا النّاي من يدي

حتّى إن أحرقوا كلّ حقول القصب

سأعتكف في مجازها البعيد..

حتّى إن ذبحوني

من النّشيد إلى الوريد

ستظلّ روحي تعزف

كالصّهيل الجريح

حين يكسر موسيقى الخبب..

بعد الموت بقليل

سيولد المعنى الجميل

لا فناء ولا جسد..

أعزف على ربوة التوحّد منفردا

كأنّي أصيح من الأعلى :

إنّي أكره صخب الجنازات

فدعوني أمضي

إلى قبري منفردا..

ـ كاف المعبودة بماركي، أكتوبر 2015.

شرعية الحزن

عبدالباسط أبوبكر محمد

لا شرعية إلا لقلبك
وهو يُقايض هذا المساء الكئيب
على ما تبقى
في جبته من حزن.

لا شرعيةَ إلا لمخاوفكَ
وهي تترافع أمام الضحك
وتصدر أحكامها النهائية على بوحك.

لا شرعية إلا لموتكَ
وهو يربكُ حفنة الأماني
ويترصدك في أكوام القصاصات.

لا شرعية لك الآن

فالجهات مقفلة

والنهار مثقل بالأنين

وربيعك القادم

ينتهكه الغبار.

لا شرعية لرأسك المتدحرجة

بين رفاقك القدامى

وهم يعلنون دولة الخليفة.

لا شرعية لوقتك

وما تبقى منك

في قبضة الحنين

لروحك مخلصة للوجع

تُقايضها كل حين بقصيدةٍ

ولا يموت فيك الشغف.

اســتدارة

فتحية الجديدي

لما

لا تصبو إليَ

كم من العذوبة

حولنا..

ثغور مرتعشة

وألوان حائرة

لما بيني وبينك

أغطية بائسة

أسلب عنك تكلّفك

وكنْ على شفى فاهي

أستدر..

ففي نحري يكْمن النثر

لست أنا بمقاييس البشر

الطائعون

الرمال تكويني

والجبال منها تفاصيلي

الأقواس المنحوتة

من أثري

لولا عري الصخور

ما شبقت عناويني

انكشاف البحر

يشبهني

انقشاع السماء

من نهدي

أنا امرأة

بتقاسيم الكونِ..

نصـوص

مـنـايـا إبـراهـيـم

سموم

أيّ لحنٍ

لا يخرج النساء المسمومات من جسدي لا حاجة إليه؛

أيُّ حبٍّ

لا ترجف له المصابيحُ لا حاجة إليه.

سر

أدور أنا وقميصك،

مثل صوفية تبتهل..

أنا ونعلاك وبحر مثقوب،

أشياء تصلح لإبطال لعنة

أو إفشاء سر

ثقوب

ثوب عالق في غربتك

من خامة رديئة

أخيطه

فيصنع ثقوباً

يتأرجح منها الأسى

فقرة متأرجحة

بينما أحبك انا وقلبي سليل الندم

يغفو الحزن مثل فقرة متزحلقة

في عمود فقري

عتمة

يا أنفاسه الخائبة؛

متى ستعرفين الفرق

بين سجائره

ورماد الكنيسة الهاجعة في دمي. .

راهب وفقيه

وجيش من المشعوذين

هو الليل الذي لا نهار بعده

والنبع المصاب بالعطش

وانا شغفُ خلخالٍ يتأرجح

ولا عزاء لكاحلي...

أشعار من مرافئ بعيدة!!!

ترجمة: عطية صالح الأوجلي

(1) الحجر!!!

للشاعر الأوغندي نيكولاس ماكوها*

رحلت بجسدي من مكان بهذا العالم الى اخر...

كان أفضل ما فعلت. ..

تطلب هذا تأشيرة،

و.... رشوة.

الرشوة دُست بيد رجل يحمل مسدس...

أخذ راتب أمي الشهري الرجل ذو المسدس.

سأتحدث إلى موظف.....

هو أيضًا يريد أجرًا....

لأنه سيحدث القاضي....

الذي يريد أجرا..

ليستمع للموظف الذي رافق الرجل الذي يحمل المسدس.

وضاع راتب شهر آخر...

قالت أمي،

"في بلادنا ليس ثمة ما لا تستطيع فعله بالرشوة...

إنها تحرك الحجر" .

في انتظار أن يقول الرجل نعم،

جلسنا على درج المحكمة،

شربنا صودا،

رشفات أمي كانت أبطأ من رشفاتي،

بين رشفة وأخرى...

كان ثمة دعاء.

---

* ولد نيكولاس ماكوها في أوغندا، وفر مع والدته من البلاد، نتيجة لتعقيدات السياسية التي نشأت من الحرب الأهلية خلال ديكتاتورية عيدي أمين. عاش في كينيا وبالمملكة العربية السعودية ويقيم حاليًا في لندن. قدم أعماله في العديد من الفعاليات الدولية وقام بجولة في المجلس الثقافي البريطاني في فنلندا وجمهورية التشيك والولايات المتحدة وهولندا. أصدر عدد من الدواوين الشعرية والكتب من بينها: الجمهورية الثانية، المجموعة المفقودة للرجل الخفي، رجل القيامة، الظلام، ومملكة الجاذبية. حاز نيكولاس على العديد من الجوائز الأفريقية والدولية.

(2) السفينة الصامتة!!!

للشاعر: يحيى كمال بياتلي*

تُرفع المرساة....

تقلع....

بعيدا عن المرفأ..

نحو ملاذ..

وأي ملاذ...؟

صمت ودفة عمياء. .

وصاري...

لا ربان....

لا شِراع

لا يد في أفق تلوح...

أو مناديل وداع.

بل عذابات الرصيف..

ومآقي دامعة....

في ظلامات الأفق البعيد تطوف..

يا للقلوب البائسة. !..

ليست هذه أخر السفن المغادرة....

ولا أخر لدغات الأحزان....

عبثا.....

عودتها عبر المضيق..

ينتظرون ..

يتسألون....

أيا ترى سعداء هم؟...

لابد أنهم،

فرغم السنين...

من هذه الرحلة...

لا أحد يعود...

---

*يحيى كمال بياتلي (1884- 1958): أحد أهم رواد الشعر الكلاسيكي التركي. تتلمذ على يديه الشاعر ناظم حكمت في صباه، ولد في مدينة (اسكوب – اسكوبيا) درس في فرنسا العلوم السياسية، وتمكن من تطوير معرفته باللغتين العربية والفارسية. أٌنتخب عام 1923 نائبا في البرلمان التركي. كما تولى مناصب دبلوماسية في باريس ومدريد وباكستان . من مؤلفاته:

قبعة السماء (1961)، برياح الشعر التركي.(1962)
المأثورات التركية برباعيات الخيام والرباعيات الرباعية (1963).
عزيزتي اسطنبول.(1964)

(3) الحزن!!!

للشاعرة جاندي نيلسون*

الحزنُ منزلٌ

نسِيَتْ الكراسيُّ

فيه كيف تحضننا

ونسيَتِ المرايا

كيف تعكِسُ صورنا

ونسِيتِ الجدرانُ فيه

كيف تحتوينا

الحزنُ منزلٌ

يختفي كلما

طرق أحدُهمُ البابَ

أو رنَّ الجرس

منزلٌ يطيرُ في الهواءِ

عندَ هبوب أدني عاصفة

تدفِنُ ذاتَها

في أعماقِ الأرضِ

والجميعُ نيامٌ

الحزنُ منزلٌ

ليس بمقدور أحدٌ أن يحميَك فيه

منزل فيه يشيخ الصغير

وتتمنع الأبوابُ. ..

فلا دخولِ أو خروجِ.

*جاندي نيلسون شاعرة وروائية امريكية ولدت عام 1965. عملت كمحررة أدبية وناقدة. اصدرت عدد من الروايات منها:

"السماء في كل مكان" عام 2010، "سأعطيك شمس " عام 2014. نالت العديد من الجوائز على اعمالها.

(4) خمس قصائد قصيرة!!!!

للشاعرة امريتا بريتام*

(1)

هكذا قدرنا

رقع ممزّقة على مرأى البصر

آه...كم نحتاج إلى إبرة ضوء.

(2)

كسيجارة

دَخّنتُ حزني

في صمتٍ،

وحين نقرتها..

سقطت

بضعة قصائد.

(3)

سأراك ثانية

أين؟

كَيفَ؟

لا أَعْلم

ربما كطيف في خيالك

ربما

كرسم غامض على شراعك

ربما....

ولكن

في صمت وهدوء

ستجدني أحدق فيك.

(4)

أَنا أيضاً مِنْ البشر

أَنا إشارةُ الجرح،

رمز الحادث،

الذي، في تقلب الأزمنة

أصاب جبهةُ أمّي.

أَنا اللعنةُ

الذي تحل الآن على الرجلِ.

ولدت

عند تساقط الأنجم

حيث خمدت الشمس

وأسود القمر.

(5)

من ذا الذي يدرك

صعوبة أن أرعى الهمجية في بطني

أن ينحل جسمي وتحترق عظامي؟

أنا

فاكهةُ الموسم

الذي أزهر فيه توت الاستقلال.

---

* شاعرة وروائية ولدت في 31 أغسطس/آب 1919؛ وتوفت 31 أكتوبر/تشرين الأولُ 2005. اشتهرت بجمال أشعارها، رقة لفظها وبديع تصويرها. كان صوتها يرمز لجنوب القارة الهندية بكل تناقضاته وتعبيراته وشدة غموضه. حولتها أعمالها إلى أيقونة في الباكستان وبنجلاديش والهند وحيث ما نطقت اللغة البنجابية. كَتبتْ 28 روايةً، 18 مختارات نثرية، خمس قصصٍ قصيرةٍ و16 مجلدٍ نثر متنوعة. تُرجمت أعمالها إلى لغات عديدة مما اكسبها جمهورا عالميا.

متابعات

- مناشط وفعاليات
- رحلوا عنا
- إصدارات

مناشط وفعاليات..

أضواء حول الدورة الأولى لمهرجان الخريف للشعر الفصيح والقصة القصيرة تحت شعار: تسامح، محبة، سلام، إبداع - 11-13 نوفمبر 2020 - مدينة البيضاء

متابعة: عبدالرحمن سلامة

احتضنت مدينة البيضاء التي يحتضنها الجبل الأخضر الأشم الموغل في الاخضرار مهرجان الخريف للشعر الفصيح والقصة القصيرة في دورته الأولى، والتي انطلقت صباح الأربعاء 11-11-2020 فعاليات مهرجان الخريف للشعر والقصة القصيرة في دورته الأولى بقاعة المركز الثقافي البيضاء بحضور نخبة من الأدباء والكتاب من عدة مدن ليبية حيث رحب الدكتور عبدالله علي عمران رئيس اللجنة للمهرجان بالحضور مثمنا دور القائمين والمساهمين لإنجاح هذا المحفل كما أشاد بالمشاركين من القامات القصصية والشعرية الذين تجشموا عناء السفر وتحدوا أوضاع الطقس وجاءوا مع الغيث النافع لتهطل مشاركاتهم ألقا وفنا وعذوبة ودفئا، ثم أعلن عن بداية المهرجان بأصبوحة شعرية شارك فيها نخبة من الشعراء استهلها الدكتور والشاعر أحمد جارالله بقصائد ماتعة عن فلسطين وعن حال العرب رافضا كل محاولات الاستسلام التي تعيشها أمتنا العربية والإسلامية.

كما ألقى قصائدا دافع بها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤكدا ان الاسلام سينتصر ولو بعد حين، ثم توالت المشاركات الشعرية الحالمة من المشاركين تخللتها قراءة للقصائد الفائزة ألقاها الشاعر مفتاح معيزيق، ومن الشعراء المشاركين في هذه الأصبوحة الشاعر مفتاح ميلود بقصائد فلسفية منوعة وختمها بقصيدة بعنوان الميراد وصف فيها أجمل مناطق الجبل الأخضر والتي قضى طفولته فيها مستلهما حكاية ميراد مسعود ورضية، قصيدة أنيقة تفاعل معها الحضور، ثم ألقى الشاعر صالح بومختاظة من مدينة المرج عدة قصائد وأصر أن يدع قلبه الولهان ينثر حبا على القاعة فكانت قصائده العاطفية غاية في العذوبة وختمها عندما باح عن سيره على خطى أبن الفارض الشاعر، ثم جاءت مشاركة الدكتورة الشاعرة فاطمة الزهراء بوصخرة بعدة قصائد قوية مليئة بالصور والأخيلة والغربة والتحدي، ثم ألقى الشاعر إبراهيم مسعود المسماري من مدينة المرج عدة قصائد استهلها

بقصيدة لعلها قريبة جدا منه لذلك هى تتصدر مشاركاته دائما ويبدأها بتلك التي نحيا بها ولها، ملئت شغاف قلوبنا وجدا، ثم توالت قصائده الحالمة، كما جاءت مشاركة الشاعر حمزة الحاسي من مدينة درنة قوية عندما وسم قصيدته (ذاك المسمى وطن) انتقد فيها حالنا وحال الوطن اليوم وكذلك قصيدته (لا شيئ يشبهك)، وختام هذه الأصبوحة لشاعر هجر الشعر لسنوات ومهرجان الخريف هذا كان شاهدا على عودته لتعاطي الشعر فقد كان متأثرا ببيت شعر للشاعر إبراهيم مسعود المسماري، حيث ختم الشاعر حسين عبدالباري من مدينة شحات هذه المشاركات الشعرية بعدة قصائد ملونة، ليعلن بعدها رئيس المهرجان انتهاء هذه الأصبوحة الشعرية بعد أن باح بحسرته للقيود الاجتماعية التي باتت اليوم تهدد الابداع لدى الشباب والمواهب سيما صوت الأنثى المبدعة.

أمسية شعرية في اليوم الأول للمهرجان

اختتم مهرجان الخريف للشعر والقصة فعاليات اليوم الأول بأمسية في مركز البيضاء الثقافي بحضور ومشاركة من نخبة شعراء الفصحى الليبيين، قدم لهذه الأمسية الشاعر الدكتور عبدالله علي عمران والناقد الأدبي الدكتور عبدالجواد عباس حيث تأنق المشاركون بقصائدهم المفعمة بالحب والصدق وتباينت المشاركات وتنوعت فحماس الشباب وعنفوانه امتزج بالخبرة، كما تخللت الأمسية قراءة للقصائد الفائزة في المهرجان ألقاها مفتاح معيزيق واستهل هذه الأمسية الشاعر فوزي الشلوي بقصائد مفعمة بالصدق تلتها مشاركة الشاعر المبدع صلاح يوسف بمجموعة من القصائد تفاعل معها الحضور كما شارك الشاعر الشاب مفتاح العلواني الذي عبر عن وحدته، وعن الراعي الذي منحته الأرض لونها، ثم تسلطن الشاعر مفتاح معيزيق عندما تغنى بالوطن في مستهل مشاركته كما عرض لنا دليل العاشقين كما عطر الأمسية الشاعر صلاح اعطير بنصيحة في قصيدة لم تغب عنها الفكاهة وخفة الظل دون أن يقلل من مستوى المشاركة والتي كانت أكثر جزالة وقوة تفاعل معها الحضور ثم تلته مشاركة الشاعر عبدالله علي عمران أستاذ الفلسفة والمغرم بالأدب بقصيدتين الأولى بعنوان مطرود من التاريخ والثانية بعنوان للمرء قلب واحد وختام هذه الأمسية كانت مشاركة الشاعر جادالله العقوري استهلها بمعارضة شعرية في إحدى قصائد الشاعر إبراهيم المسماري بعنوان محاولة البوح ثم دافع عن الرسول صلى الله عليه وسلم ثم ألقى قصيدة موقف حقيقي حدث معه وكانت لا تخلو من الطرافة بعنوان الحزام. وختم مشاركته بقصيدة بعنوان حلم.

فرسان القصة يتبارون في أصبوحة قصصية في اليوم الثاني

التئمت أصبوحة قصصية في صباح الخميس 12 نوفمبر بقاعة المركز الثقافي البيضاء شارك فيها نخبة من فرسان القصة والذين تجشموا عناء السفر وجاءوا لمدينة البيضاء مشاركين في هذه النسخة الأولى من المهرجان.

قدم لهذه الأصبوحة القصصية الدكتور والشاعر عبدالله علي عمران والدكتور والناقد عبدالجواد عباس حيث استهل هذه الأصبوحة القاص حسين نصيب المالكي بعدة قصص من مجموعته الكاملة ومن مجموعته الحطية وكذلك مجموعته الطائر البرونزي كما شارك القاص عبدالرحمن سلامة بعدة نصوص قصيرة جدا من مجموعتيه ود وقلق وثالث هذه المشاركات كانت للقاصة رحاب شنيب حيث شاركت بثلاثة نصوص قصصية اولها نص بعنوان اهتزازات روح والنص الثاني من مجموعتها القصصية العالم ذبابة حطت على أنفها بعنوان لا أحب البطيخ، ونص ثالث بعنوان خشخشة غلاف الحلوى، وكذلك مشاركة من احدى المواهب المشاركة القاصة مروة آدم وكذلك مشاركة عبدالمجيد سالم محمود قاص من المواهب حفظ نصه عن ظهر قلب وكل هذه المشاركات حظيت بتعليق من الناقد الأدبي الدكتور عبدالجواد عباس أستاذ الأدب والنقد وختام هذه المشاركات كانت للقاص عبدالحفيظ المخرم والذي شارك بعدة نصوص منها تركة شهيد وغيرها وختم مشاركته بنصوص شعرية مضفيا ختاما شاعريا وتخلل كل هذه المشاركات أيضا قراءة لبعض نصوص المواهب الفائزة حيث ألقاها كل من القاصة رحاب شنيب والقاص مفتاح معيزيق.

فرسان القصة يلقون بقصصهم في أمسية اليوم الثاني

اليوم الثاني تواصل فرسان القصة والأدب في لقاء مميز بقاعة المركز الثقافي البيضاء حيث شارك نخبة من اصحاب القصة الشباب في هذه الأمسية (على جمعة أسبيق) و (أبوبكر الدرسي) و (محمد الصادق) وشارك فيها أيضا اصحاب النصوص الفائزة (سامي بن صالح) و(محمد الهاشمي)، وختمها القاص والناقد الدكتور عبدالجواد عباس بقصتين تفاعل معهما الجمهور كما حظيت هذه الأمسية بحضور نخبة من الأدباء وفي مقدمتهم الأديب والكاتب إدريس بن الطيب والأديب حسين نصيب المالكي وكذلك الأديب الصديق بودوارة والفنان التشكيلي والمسرحي عبدالعالي شعيب والشاعر سالم الكواش والفنان سليمان عمران

والفنان أسامة عبدالحق والفنان عبدالرحمن عباس والفنان حمدي المسماري عدد من الكتاب والفنانين الشباب.

كانت جلسة ساخنة حينما عبر رئيس المهرجان الدكتور عبدالله علي بن عمران عن استيائه لحال الثقافة في بلادنا ودق ناقوس الخطر ودعا للوقوف حيال أزمة الثقافة في ليبيا، كما تحدث الأديب الصديق بودوارة عن أهمية هذا المهرجان في هذا التوقيت الذي تمر به بلادنا وأن القائمين على هذا المهرجان تحسب لهم أنهم يفسحون الطريق أمام المواهب الشابة وأكد أن مدينة البيضاء طيلة أيام المهرجان هى الأميز فبعيدا عن العنف والبحث عن المصالح الشخصية مدينة البيضاء تتأنق بالمهرجان وبالفن وعبر عن امتنانه لكل من حضر ولبى الدعوة وجاء مشاركا، كما تحدث الأديب والكاتب إدريس بن الطيب عن سعادته بوجود مثل هذه المحافل وهذا الزخم وهذه القاعة التي يعرفها جيدا لما شهدته من إبداعات شارك فيها هو بنفسه منذ زمن قصير كما تحدث الفنان خالد لطفي وألقى قصيدة من قصائد والده الشاعر الراحل لطفي عبداللطيف بطريقة مؤثرة وإحساس عال ودعا الجميع لحضور الأمسية الفنية والتي تقام في مسرح إذاعة صوت ليبيا اف ام، يوم جميل أكد على نجاح هذا المهرجان الأنيق.

حفل فني ساهر

أقيم يوم الأربعاء 13 نوفمبر حفل ساهر على ركح مسرح إذاعة صوت ليبيا أحياه الفنان والموسيقار خالد لطفي وبحضور عدد من الفنانين والعازفين من مدينة بنغازي وكذلك مدينة البيضاء ولقد تغنى الفنان خالد لطفي بمجموعة من الأعمال الجديدة لعدد من الشعراء من بينهم الشاعر سالم الكواش كما كانت أغلب الأعمال التي تغنى بها هى أعمال وطنية وكذلك أعمال تدعو للتسامح والمحبة كما تغنى للمرأة والحب والجمال، اضافة الى عمل جديد بالفصحى للشاعر الراحل لطفي عبداللطيف حفل ساهر رائع حضره نخبة من المثقفين والجمهور المتذوق للفن والطرب الأصيل، حفل مميز ورائع في ليلة دافئة.

اختتام مهرجان الخريف للشعر والقصة بمحاضرتين عن القصة والشعر

اختتمت مساء اليوم الجمعة 13 نوفمبر بقاعة المركز الثقافي البيضاء فعاليات مهرجان الخريف للشعر الفصيح والقصة القصيرة بمحاضرتين الأولى عن القصة القصيرة ماهيتها وأصنافها وتاريخها وروادها في العالم العربي وفي ليبيا قدمها الدكتور والناقد عبدالجواد

عباس وبعد الانتهاء من المحاضرة فتح باب النقاش حول هذه المحاضرة ثم قدم الشاعر والكاتب مفتاح معيزيق محاضرة حول الشعر وتعريفه وتاريخه منذ بدية الخليقة وحتى اليوم كما أثيرت العديد من القضايا الشعرية وتفاعل معها الحضور من الأدباء والكتاب ثم تحدث الدكتور عبدالله علي عمران رئيس المهرجان وأعلن للمرة الثالثة عن استيائه من حال كثير من المثقفين ومن النخب لرؤيتهم الضيقة وإقصائهم لبعضهم البعض بسبب انتماءات سياسية ثم تحدث المدير التنفيذي للمهرجان الفنان حمدي المسماري الذي شكر كل من ساهم في إنجاح هذا المهرجان من اللجان وكذلك من المشاركين وان هذا المهرجان حقق المطلوب منه وهو إتاحة الفرصة للمواهب للتباري بقصصهم وقصائدهم، كما ختم المهرجان الدكتور عبدالجواد عباس هذه الكلمات بالشكر الجزيل لكل من ساهم في هذا المهرجان وعمل فيه، وفي ختام المهرجان تحدث الشاعر والناقد مفتاح الشاعري عضو اللجنة الثقافية والإعلامية عن أهمية هذه المهرجانات مؤكدا أن الاهتمام بالمواهب هو مسؤوليتنا جميعا ولعل من بين عديد الخطوات للاهتمام بهم هى إقامة مثل هذه المهرجانات التي تتيح لهم فرصة التباري بمحاولاتهم الأولى في الشعر والقصة وأكد الشاعري أنه تم اختيار الفائزين من بين أكثر من مائة وخمسين مشاركة جاءت من مختلف المدن الليبية وقال أن مستوى المشاركات كان جيدا وهذا يبشر بمستقبل واعد لجميع المشاركين وقال أن هذه الدورة الأولى جاءت مصاحبة لظروف صعبة صحية وظروف الطقس ويأمل أن تكون الدورة الثانية أكثر ألقا من خلال دعوة المشاركين من المواهب لحضور فعاليات المهرجان حتى يستفيدوا من الشعراء وكتاب القصة لكي يستفيدوا من خبراتهم وملاحظاتهم كما قال الشاعري أن الظروف حالت دون إقامة المعرض وكذلك حالت دون إقامة العرض المسرحي وكذلك جولة في الجبل الاخضر وفي بعض المناطق السياحية وكذلك ورشة عمل متخصصة في عالم القصة والشعر، وحيا كل المشاركين في المهرجان واللجان العاملة وترحم على الشاعر لطفي عبداللطيف والد الفنان والموسيقار خالد لطفي صاحب فكرة المهرجان والذي استلهمه وفاء للفن والأدب.

رحلوا عنا..

التشكيلي محمد التونسي في ذمة الله

أعلن في الـ4 من سبتمبر 2020م، عن وفاة الفنان التشكيلي "محمد التونسي"، ابن واحة سيناون، عن عمر يناهز 71 عاما.

الراحل من مواليد العام 1949م، بواحة سيناون. حاصل على دبلوم صناعي في الزخرفة على الخزف من جمهورية مصر العربية 1973. وهو عضو بنقابة الفنانين الليبيين. وهو يمارس الرسم، والزخرفة، والنحت، والتصوير، والحفر على الخشب.
بدأ اهتمامه بالفنون، في فترة مبكرة، وكان مهتما بشكل خاص بالزخرفة الإسلامية. بدأ الرسم مبكراً وطور أدواته ومهاراته بالاعتماد على نفسه. واهتم بشكل خاص بالزخرفة، وهو يحاول من خلال اعماله التشكيلية الخروج بها من الشكل التقليدي إلى شكل حداثوي.
لديه مشاركات محلية وخارجية في أكثر من 30 معرضاً تشكيلياً، بدأت في العام 1965 بمعرض شخصي بنادي الوحدة بسيناون.

*

الشاعر الغنائي فرج المذبل في ذمة الله

أعلن في ميدنة بنغازي في 6 أكتوبر 2020م، عن وفاة الشاعر الغنائي "فرج المذبل" بأحد مستشفيات المدينة، بعد معاناة مع المرض.

ولد الراحل، في العام 1944، بمدينة درنة. وهو شاعر غنائي ومؤلف، ولاعب كرة قدم، ومخرج ومعد برامج ليبي. عمل في السلك الإذاعي بالإذاعة الليبية في الثمانينيات لمدة من الزمن ثم تفرغ للتأليف الغنائي، كما كان لاعب كرة قدم ولعب في الدوري الممتاز مع فريق النجمة والأهلي في بنغازي، واختير للفريق الوطني الأول. صدرت له عدة دواوين في الشعر

الغنائي منها؛ (رباعيات يا صاحبي) و(حلو العتاب) و(هز الشوق) و(عوالي) و(غريق في بحر لولاف).

*

الفنان أحمد الغزيوي في ذمة الله

بعد معاناة مع المرض، وفي غياب الدولة الليبية، أعلن في 8 أكتوبر 2020م، عن وفاة الفنان والممثل والمخرج "أحمد الغزيوي" بعد أن تدهورت حالته الصحية خلال الـ48 ساعة الأخيرة، بأحد المستشفيات في تركيا.

الفنان أحمد الغزيوي، أحد مؤسسي الإذعة والتلفزيون، وأحد نجوم الدراما الليبية الكبار، خريج معهد التمثيل بالقاهرة، إلى جانب عمله في مجال إدارة البرامج والإخراج المسموع والمرئي والمسرح.

كما عمل في مكتب وكالة الأنباء الليبية في العاصمة الإيطالية روما لمدة 3 سنوات، وعاد إلى ليبيا ليساهم في تأسيس الإذاعات المحلية في الزاوية ومصراتة وطرابلس التي كان مديرًا لها.

كما ساهم الراحل في تأسيس فرقة (الفنون الشعبية)، والفرقة (القومية) للمسرح بطرابلس، وفرقة (المسرح الوطني) بطرابلس، حيث قدم معها عددا من المسرحيات منها: (حسناء قورينا)، و(راشامون)، (الزير سالم)، و(وطني عكا)، و(البخيل).

شارك في عدد من المهرجانات العربية والدولية بالجزائر، وتونس، والأردن، وسورية، والكويت، كما مثّل الإذاعة الليبية في اتحاد الإذاعات العربية، وفي الاتحاد الأوروبي للإذاعات.

*

رحيل صوت الأطفال عبد المطلب المقوب

توفي في 31 أكتوبر 2020م، الكاتب والشاعر "عبد المطلب المقوب" عن عمر ناهز الـ74 عام جراء اصابته بمرض عضال لم يمهله الكثير من الزمن تاركًا للمكتبة الغنائية والأدبية إرثًا كبيرًا من القصائد المغناة وقصص الأطفال، وقد ولد وترعرع الشاعر الراحل في مدينة بنغازي عام 1946م وتحديدًا في منطقة سوق أحداش في حي الصابري.

الجدير بالذكر أن الشاعر الراحل كانت له عدة مساهمات فاعلة في قطاعيّ التعليم والإذاعة المسموعة، ويُعتبر من أبرز من قدموا برامج إذاعية تعني بالأطفال والأدب الطفل في ليبيا وهو أول من كتب ونشر أغان موجهة للطفل الليبي لعل من أهمها ديوان (أطفال بنغازي) عام 1976م وديوان الأحلام عام 1998م.
وتظل رائعته (هات الشنطة وتعال وريني) من أشهر أعماله المغناة والتي أداها المطرب الراحل" محمد السوكني" وكذلك عمل آخر لاقى نجاحًا كبيرًا أداه الممثل السوري الراحل"ياسين بقوش" والذي تنحدر أصوله الأولى من ليبيا فضلاً عن عمله الغنائي المميز (شاعرنا القديم).

*

المستشار الإعلامي إبراهيم العريبي في ذمة الله

أعلن في بنغازي مساء السبت (14 نوفمبر 2020م) عن وفاة الأستاذ "إبراهيم العريبي" عن عمر يناهز الـ79 عاماً، بعد مسيرة طويلة في مجال العمل الصحفي والإعلامي.

الراحل "إبراهيم مفتاح بوقشاطة العريبي"، من مواليد العام 1941م، بدأ العمل الوظيفي عام 1957م، لديه خبرة في مجال إدارة وتسيير وتنظيم الوظائف العليا في مجال الإعلام والثقافة، كذلك وتولى إدارة المهرجانات الكبيرة لمدة تزيد عن 50 عاما من خلال عمله في عديد من المناصب في مجال المسرح والإعلام.

*

نورس الشعر في ذمة الله

أعلن في مدينة طرابلس في 20 نوفمبر 2020م، عن وفاة نورس الشعر الليبي، الشاعر الكبير الدكتور "عبدالمولى البغدادي" عن عمر يناهز الـ82 عاماً، إثر دخوله المستشفى عقب إصابته بفيروس كورونا المستجد.

الراحل من مواليد شط الهنشير بمدينة طرابلس العام 1938م، تلقى تعليمه الأول بمعهد أحمد باشا الديني حيث نال منه الشهادة الثانوية، ثم حصل على درجة الليسانس من كلية اللغة العربية بمدينة البيضاء عام 1965م. وفي العام 1971م حصل على درجة الدكتوراه مع مرتبة الشرف الأولى من جامعة الأزهر.

له مجموعة من الإصدارات، والنصوص المنشورة، وعرف عنه ظرفه وسرعة البديهة. كانت آخر مشاركة له في منشط ثقافي احتفالية توقيع كتاب (أما للكره والبغضاء حد) للكاتب "يونس الفنادي" في قصيدة الشاعر التي حمل الكتاب عنوانها، بمدينة طرابلس.

*

عبد الله كريستة...صديق الطفل الوفيّ في ذمة الله

توفي صباح الجمعة 27 نوفمبر 2020م الفنان الكبير "عبد الله كريستة " عن عمر ناهز الـ85 عاما، بعد صراع طويل مع مرض عضال ألمّ به ولم يمهله الكثير.

يُعد الفنان الراحل أحد الأصوات الفنية الرائدة التي أولت اهتمامًا بالغًا للطفل فهو صاحب أوّل أغنية مخصصة للطفل وهي الأغنية الشهيرة (إحنا صغار ونولوا كبار) التي ذاع صيتها لزمن طويل.

الفنان الراحل من مواليد منطقة باب البحر في مدينة طرابلس القديمة عام 1935م، إذ شهدت أزقة طرابلس العتيقة نشأته وأطوار طفولته الأولى وتحديدًا في شارع سيدي سالم، وتدرّج في التعليم منخرطًا في مدارس المدينة القديمة المختلفة ولاحقًا في ثانوية طرابلس الكائنة في شارع ميزران.

يُعتبر الراحل رائد البرامج الموجّهة للأطفال في الإذاعة والتلفزيون الليبي مغنيًا ومؤلفًا ومخرجًا وإذاعيًا وموسيقيًا في ميادين الفنون كافة في المسرح وفي السينما وفي التلفزيون، وما قدمه من أغانٍ وبرامج للطفل الليبي ساهمت بصورة واسعة في إزدهار شهرته لينتج ما يربو عن 300 أغنية للأطفال ويُقدّر إنتاجه للأعمال الكرتونية بحوالي 2500 ساعة.

وفي مجال المطبوعات يُحسب في مسيرته الإبداعية إصداره لأوّل مطبوعة مخصصة للأطفال تمثلتا في مجلتيّ (الطفل) عام 1961م و(أيمن وأمينة) أوائل السبعينات، فضلاً عن

خوضه لمجال إنتاج وتنفيذ المسلسلات والبرامج الكرتونية، مما أهّله ليتبوّأ موقع الريادة لصناعة الأفلام والمسلسلات الكرتونية في العالم العربي كله لتترجم وتتدبلج بعض أعماله للغة الإيطالية.

وعن مجمل أعماله حصد الفنان الراحل على العديد من التكريمات والجوائز في عدة مسابقات دولية، وتكريمًا لمسيرته أطلق اسمه على دار للنشر في المدينة القديمة تحت اسم دار (عبد الله كريستة لثقافة الطفل).

إصدارات..

تريبوليتانيا

عن مكتبة الكون للنشر والتوزيع صدرت في القاهرة الترجمة العربية لكتاب تريبوليتانيا للكاتب وخبير الإقتصاد الإيطالي "فيتوريو نازاري" ومن ترجمة "حسين حمد الفقيه" أستاذ التاريخ المحاضر في الجامعات الليبية، وقد جاء الكتاب في 155 صفحة من القطع المتوسط.

مجاز تائه إلى الوحي

تحت عنوان (مجاز تائه إلى الوحي)، صدرت المجموعة الشعرية الثالثة للشاعر الليبي "المهدي الحمروني"، عن دار (ك ت ب) ودار (الأدهم للنشر)، القاهرة، وبمقدمة نقدية للدكتور "ناصر أبو عون". صدرت المجموعة في 330 صفحة من القطع المتوسط، وغالبية نصوص الديوان كتبها الشاعر أثناء فترة العزل أو الحجر، المتعلقة بفيروس كورونا.

أتوبيس طرابلس

صدر عن مكتبة الكون للنشر والتوزيع والطباعة، مدينة نصر-القاهرة، كتاب (أتوبيس ذاكرة شوارع طرابلس) من تأليف الباحث والمؤرخ المهندس "عبد المنعم الدبسكي". يقع الكتاب في 312 صفحة من القطع الأوروبي (20سم*14سم)، ويضم ملحقا ملونا للصور.

هكذا صرخت

صدر للشاعرة "حواء القمودي" ديوانها الشعري الثالث المعنون (هكذا صرخت)، بلوحة غلاف للكاتب والفنان التشكيلي "رضوان أبوشويشة". الديوان من الحجم الصغير وجاء في 71 صفحة من القطع الصغير، واحتوى 19 نصا شعريا، المميز فيها أن الشاعرة جعلت من تواريخ النصوص عناوينا لها.

الطريقة المدنية في طرابلس الغرب

ضمن منشورات مجمع ليبيا للدراسات المتقدمة ومؤسسة كلام، صدر كتاب (الطريقة المدنية في ولاية طرابلس الغرب) لمؤلفه الأستاذ "مفتاح رجب محمد إبراهيم"، وهو من توزيع مكتبة الكون– القاهرة. يقع الكتاب في 284 صفحة من القطع المتوسط.

فضاءات تشكيلية

عن مكتبة الكون للنشر والتوزيع صدر في القاهرة كتاب جديد للمصور الفوتوغرافي والفنان التشكيلي الراحل "فتحي العربي"، بعنوان (فضاءات تشكيلية) الكتاب من إعداد "أحمد فتحي العربي"، وقد جاء في 166 صفحة من القطع المتوسط.

السلطة الأمريكية الرابعة

عن مكتبة الكون- القاهرة، صدر كتاب (السلطة الأمريكية الرابعة) في طبعته الثانية، من تأليف "د.عبد الكريم الزياني"، أستاذ الإعلام في جامعة البحرين. وهو يقع في 250 صفحة، من القطع الكبير، والكتاب مهم ولا غنى عنه لكل دارس للصحافة أو مشتغل بها أو صانع قرار.

الوصايا العشر

عن منشورات مجمع ليبيا للدراسات المتقدمة ومؤسسة كلام لبحوث الاعلام صدر كتاب (الوصايا العشر في القرآن الكريم)، من تأليف "د.محمد حامد محمد اليعقوبي". يقع الكتاب في 376 صفحة من القطع الكبير. وتقوم على توزيعه مكتبة الكون– القاهرة.

عراجين حنان وقصيد ليست لي

صدر للشاعرة الليبية "حنان محفوظ" ديوانان دفعة واحدة، جاء الأول بعنوان (قصيدة ليست لي) وهو يقع في 116 صفحة، من القطع المتوسط، ويحتوي على 24 نصا شعريا. أما الديوان الثاني فجاء بعنوان (عراجين حنان)، ويقع في 88 صفحة، ضمت 16 نصا شعرياً.

أما للكره والبغضاء حد

صدر مؤخرًا عن دار إمكان للنشر والتوزيع في طرابلس كتاب جديد للكاتب والناقد "يونس الفنادي" بعنوان (أما للكره والبغضاء حد) وهو يتناول بالدراسة والتحليل قصيدة تحمل ذات الاسم للشاعر "عبد المولى البغدادي" وهي نص عمودي مكوّن من 44 بيتًا يميط فيها اللثام عما لم تفضي به السطور، وقد جاء الكتاب في 80 صفحة.

باقة مشكلة من أبناء الوطن

عن منشورات مجمع ليبيا للدراسات المتقدمة ومؤسسة كلام للبحوث والاعلام، وتوزيع مكتبة الكون، القاهرة، صدر كتاب (باقة مشكلة من بناة الوطن) من إعداد وتقديم كل من "د.إدريس فضل الحداد" و"د.صالح الطيب كمش". يقع الكتاب في طبعته الأولى في 200 صفحة، ويضم سير وتراجم لـ47 علما من أعلام ليبيا في مختلف المجالات.

جريمة هادئة

عن دار غراب للنشر والتوزيع صدرت في القاهرة رواية (جريمة هادئة) للشاعرة والروائية "عزة رجب سمهود" وجاءت في 250 صفحة من القطع المتوسط، وترصد الرواية التاريخ السياسي والواقع الاجتماعي في ليبيا إبّان ثمانينات وتسعينات القرن المنصرم.

أرواح فارغة

عن دار فنون للطباعة والنشر والتوزيع، صدر للكاتب الليبي الشاب "عبدالرحمن امنيصير" كتابه المعنون (أرواح فارغة)، وهو مجموعة من النصوص النثرية. هذا الإصدار هو الثاني لـ"امنيصير" بعد كتاب الأول (كفاك ألما)، والذي صدر في مايو الماضي عن دار كتاب للنشر والتوزيع بالقاهرة.

المنقذ في العملية التعليمية

عن مكتبة طرابلس العلمية العالمية، طرابلس، صدر كتاب (المنقذ في العملية التعليمية.. لمرحلة التعليم الإساسي)، للكاتب والأديب "يوسف الشريف"، في إسهام منه لدعم العملية التعليمة، وهو الذي قدم للطفل العديد من القصص والإصدارات، وللناشئة معاجم مميزة.

بوق

صدرت في بيروت عن دار مسكلياني التونسية رواية "بوق" للروائي "محمد الأصفر". كتبت هذه الرواية عام 2018م، لكنها كانت حاضرة في ذهن الأصفر منذ عام 2003م عندما زار صحبة صديقه (عوض عبدالهادي الشاعري) المقبرة الألمانية في طبرق وهي مقبرة على شكل قلعة بها قبر جماعي وقد نُقشت على الجدران كل أسماء القتلى.

من أعلام المالوف

عن مكتبة الكون للنشر والتوزيع صدر في القاهرة كتاب جديد بعنوان (من أعلام المالوف ورواد فنون الغناء في مدينة طرابلس)، للكاتب "بشير عبد العزيز الغريب" وقد جاء في 160 صفحة من القطع المتوسط، ومن تقديم الدكتور "عبد الله مختار السباعي".

الشيخ الفقيه الهادي المسلاتي

عن دار المالكية للطباعة والنشر والتوزيع، صدور كتاب (الشيخ الفقيه الهادي بن محمد سعود المسلاتي) للأستاذ الدكتور "عبدالسلام الهمالي سعود". والكتاب يتناول بالبحث سيرة الشيخ الهادي بن محمد سعود المسلاتي، وآثاره.

الزعيمان

مكتبة الكون، القاهرة، تصدر كتاب (الزعيمان)، للأستاذ "مراد بلال" والذي تناول فيه بالنقد مسلسل (الزعيمان) الذي عرض على قناة سلام، رمضان الفائت، من خلال الاعتماد على الإحصاء ولغة الأرقام والتوثيق المعزز بالمصادر الأصلية.

همسات زعترة

عن دار فنون للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة، صدر للكاتبة الليبية "عواطف المدني" أو (زعترة الوادي) كتابها الأول (همسات زعترة)، والذي يضم مجموعة نصوصها النثرية، في شكل خواطر، والتي نشرت أغلبها عبر الفضاء الأزرق.

بديوي في كتابين

عن دار النخلة – طرابلس، صدر للدكتور "مصطفى بديوي"، كتابان يجمعان مجموعة من الدراسات والبحوث. جاء الكتاب الأول بعنوان (دراسات في أدب الأطفال)، أما الكتاب الثاني تحت عنوان (واقع المكتبات العامة والمراكز الثقافية في ليبيا).

ربيع الكورونا

صدرت في العاصمة التونسية، عن دار ابن عربي للنشر، رواية (ربيع الكورونا) العمل الأدبي الأول للدكتور "أحمد رشراش"، وأخذت مكانها بمكتبة الكتاب بشارع بورقيبة، ومكتبة المعرفة بساحة برشلونة، بتونس العاصمة.

الإنسان والكون

صدر عن مركز المناهج والبحوث التربوية، كتاب الدكتور "البهلول اليعقوبي" المعنون (الإنسان والكون.. مصادفة أم خلق وخالق). ومن المقرر أن يوزع الكتاب مجاناً على مكتبات المدارس الليبية.

المتغيرات الدولية

صدر في القاهرة عن دار المكتب العربي للمعارف الطبعة الثانية من كتاب: "المتغيرات الدولية وتأثيرها على السياسات الإعلامية الليبية: دراسة نظرية للإعلام المرئي (التلفزيوني)، للكاتب والباحث الليبي "خالد خميس السحاتي"، ويتناول هذا الكتاب: تأثير التغيرات السياسية والإعلامية في النظام الدولي على السياسات الإعلامية للدول النامية، مع التطبيق على الحالة الليبية، خلال الفترة من: (1991-2010).

ليست مجرّد فصول..!

سـالم الهـنـداوي

..لا أدّعي أني كنتُ أحد مؤسسي مجلة "الفصول الأربعة" ولكنّي كنتُ أحد كُتّابها منذ بدايات صدورها المنتظم بحماسة المتعاقبين على تحريرها من أسرة "الكُتّاب والأدباء" في رابطة الكُتّاب والأدباء الليبيين..

..في منتصف سبعينيات القرن الماضي كُنّا نرى "المجلّة" مواداً رصينة في حقيبة الكاتب الراحل "نجم الدين غالب الكيب" الذي كان يطير بها إلى بيروت قبل نهاية كُل فصل، لتعود مطبوعةً دسمةً أنيقة تعانق فضاء الثقافة مع مطلع كُل فصلٍ جديد..

..اللافت الصحفي في سياسة تحرير المجلّة آنذاك، أو أن ذلك كان سياقاً عفوياً، هو الاختصاص في ترتيب مواد الكتابة بين الكُتّاب والأدباء، فتجد أن "الكُتّاب" هُم من يكتبون النقد والدراسات النقدية والمقالات والمتابعات الثقافية، من أمثال الكِبار، خليفة التليسي وعلي مصطفى المصراتي وعلي فهمي خشيم وبشير الهاشمي ويوسف القويري ومحمد أحمد الزوي وكامل عراب وأمين مازن وسليمان كشلاف وفوزي البشتي، وآخرين.. فيما الكتابات النثرية والسردية في الشعر والقصة، فكانت لـ"الأدباء" من أمثال الكِبار، كامل حسن المقهور وعبدالله القويري وأحمد إبراهيم الفقيه وخليفة حسين مصطفى ويوسف الشريف ورضوان بوشويشة ولطفية القبائلي ومرضية النعاس ومحمد بلقاسم الهوني وعبدالسلام بورقيبة، وآخرين في القصة، وفي الشعر من أمثال الكِبار، محمد الشلطامي وعلي صدقي عبدالقادر وعلي الفزاني وجيلاني طريبشان وخالد زغبية وسعيد المحروق وزعيمة الباروني وإدريس بن الطيب، وآخرين..

.. ثم ازدهرت "الفصول الأربعة" بعد ذلك بأسماء الكُتّاب والأدباء الشباب الذين توالوا النشر في صفحاتها دون تردّد، وبذات الاهتمام بادرت المجلّة إلى فتح ملفات ثقافية نقدية وإبداعية مهمّة، وواكبت متابعاتها الثقافية فعاليات "الرابطة" واستثمار عديد المشاركات العربية من خلال استضافتها انعقاد "مؤتمر الكُتّاب والأدباء العرب الحادي عشر" الذي أقيم في طرابلس عام 1977.. ومهرجان "الشعر المقاتل" الذي أقيم في نهاية الثمانينيات بحضور نخبة من أهم الأدباء العرب..

..ربما كان لازدهار الحياة الثقافية في تلك الفترة بالغ التأثير في التشجيع على ظهور وانتشار الصحافة الثقافية، ليس على المستوى المحلي فقط، وإنما على المستوى العربي أيضاً، حيث صدر من ليبيا قبل منتصف السبعينيات أول ملحق ثقافي لصحيفة عربية يومية، وهو ملحق "الأسبوع الثقافي" عن صحيفة "الفجر الجديد" اليومية.. والتي اعتبرها غير رأي التجربة التي سبقت تاريخياً صحيفة "أخبار الأدب" المصرية الصادرة كملحق عن صحيفة "الأخبار" اليومية.. وربما نضيف لهذين الإصدارين الثقافيين في ذروة ازدهار الحياة الثقافية، مجلّة "الثقافة العربية" ومجلّة "المجال" التي صدرت عن جامعة عمر المختار، ومجلّة "قورينا" السابقة الأسبق في ستينيات القرن الماضي التي كانت تصدر عن كلية الآداب جامعة بنغازي.

.. قد لا نجد في هذا الزمان فقراً في صدور المزيد من المطبوعات الثقافية، ولكننا، والعجزُ هنا، نفتقر للمناخ الثقافي العام الذي يستعيد عافية الصحافة الثقافية بتنوّعها، لتكون العضد والرافد الفكري في مواجهة تحدّيات الجهل الثقافي والأمّية المعرفية.. فالمستقبل لابد أن يبدأ بسؤال الثقافة، بما تعنيه "الثقافة" في الراهن المتردّي.